



جامعة دمشق

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحياة التشريعية والإدارية في العصر الراشدي بين

عامي " ١١ - ٢٣ هـ "

دراسة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إشراف

الأستاذة الدكتورة: شكران خربوطلي

إعداد

رجاء علي انجم

(١٤٣٨ هجري / ٢٠١٧ ميلادي)

* دلالة الرموز في هذا البحث:

ت	توفى
(ج) أو (ج)	جزء
د	دكتور
ص	صفحة
ق	قسم
م	ميلادي
هـ	هجري
و	وجه ورقة المخطوط ورقمها

المقاييس (المسافات والأطوال):

الذراع الأساسي (المرسلة)=====	=46,2سم.
القدم=====	=50,69سم.
الميل=====	=4000 ذراع مرسلة=3000 ذراع هاشمية=1848 متراً.
الفرسخ=====	=3 ميل=544 متراً=1200 ذراعاً مرسلة=900 ذراعاً هاشمية.
المرحلة=====	=من 5 إلى 6 فراسخ=من 28 إلى 33 كيلو ومتوسطها 30,5 كيلومتراً.
البريد=====	=4 فراسخ=22,176 كيلومتراً.
اليوم=====	=2 برید=8 فراسخ=44,352 كيلومتراً.

إهداء

إلى من استطاع أن يجمع الحنان والعطف ...

إلى الرجل الذي تحمل المصاعب ..

إلى الرجل الذي عوملنا حنان الأم بعد فقدانها

أبي الحبيب

إلى روحها الطاهرة

أمي الغالية المتوفاة

إلى من أضر بهم وأزداد قوة ..

إلى من يخفون على حياتي القوة والصبر ..

إلى من ساندوني ووقفوا إلى جانبي ..

أخوتي الأعماء وأخوة زوجي

إلى قلبي وروحي

زوجي أسعد وابني تيم

رجاء علي النجم

بطاقة شكر وتقدير

ليس بوسعي إلا الشكر الجزيل والامتنان الكبير أقدمه لدكتورتي وأستاذتي الفاضلة:

الأستاذة الدكتورة: شكران خربوطلي

على ما قدمته لي من علم عظيم، ورأي سديد، وطولة بال، حتى أتمكن من إنجاز هذا العمل بشكل صحيح، وكل ذلك كان بفضل توجيهاتها ونصائحها.

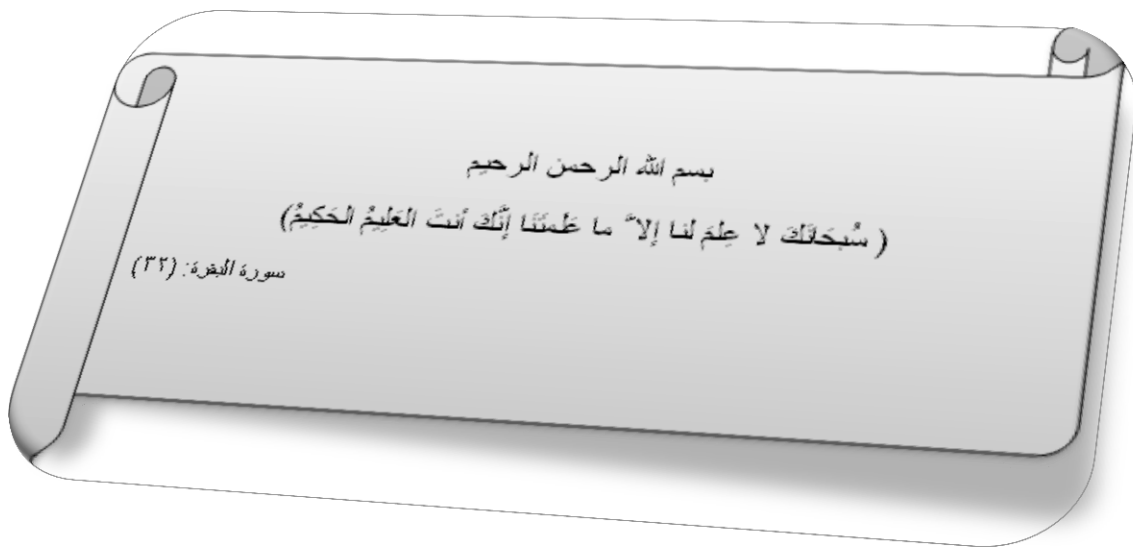
كما أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل شيخ مؤرخي سوريا والوطن العربي الأستاذ الدكتور سهيل زكار الذي كان خير عون لي في دراستي، ووجهني بشكل سليم نحو المصادر التي تمكنت من خلالها إخراج هذا البحث بهذا الشكل، فكانت توجيهاته بمثابة شعلة أضاءت لي طريق بحثي وأنارت لي دربي.

ولن أنسى الأستاذ الدكتور محسن يونس الذي كان خير عون لي في دراستي، والذي تحمل معي المشقة، ووقف إلى جانبي وصوبني نحو الطريق السليم حتى تمكنت من إخراج هذا العمل، فله مني كل الشكر والامتنان.

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور منيف حميدوش، لجهده الذي بذله في تصويب الأخطاء اللغوية والنحوية التي وجدت ضمن الرسالة.

وأتوجه بالشكر لرئاسة قسم التاريخ والأستاذة الكرام الذين سهّلوا الكثير من الأمور ولا سيما فيما يتعلق بالأمور الإدارية وما قدموه لي من دعم معنوي وإصرار على الثقة الكبيرة بالنفس لإنجاز هذا البحث.

رجاء علي انجام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

سورة البقرة: (٣٢)

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣-٢	الإهداء.
٤	بطاقة شكر وتقدير.
٩-٦	فهرس المحتويات.
١٣-٩	مقدمة:
٢٣-١٣	دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث ومراجعته.
٢٤	الفصل الأول الحياة الإدارية والتشريعية في الجزيرة العربية:
٤٢-٢٦	• الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق.
٦٥-٤٢	• الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.
٦٦	الفصل الثاني الحياة الإدارية والتشريعية في العراق:
٧٩-٦٨	• الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق.

٨٠	• الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:
١٠٣-٨٠	- الإدارة العسكرية (الجيش، البريد، اثناء الفتح وبعده).
١١٥-١٠٣	- الإدارة المالية (تنظيم الجزية والخراج والأرض، إدارتها وما شرع بخصوصها).
١١٩-١١٦	- الديوان في العراق (إدارته، وما تم التشريع بخصوصه).
١٣٨-١١٩	- إدارة سكن القبائل المشاركة بالفتح، وسكان البلاد المفتوحة.
١٤٣-١٣٨	- الوظائف الإدارية في الجهاز الإداري في العراق.
١٤٤	الفصل الثالث الحياة الإدارية والتشريعية في بلاد الشام
١٤٦	١- إدارة الفتوح في عهد الخليفة أبي بكر الصديق:
١٥١-١٤٧	- سير الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر الصديق.
١٥٩-١٥٢	- إدارة الجيش في بلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق أثناء الفتح.
١٥٩	٢- إدارة الفتوح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:
١٦٤-١٥٩	- سير معارك الفتح في بلاد الشام وإدارتها.
١٧٢-١٦٤	- دور عمر بن الخطاب أثناء الفتح.
١٩١-١٧٣	• التنظيم الإداري الحربي لبلاد الشام والثغور.

١٩٧-١٩٢	• إدارة التنظيمات الاجتماعية في بلاد الشام(القبائل، سكان المناطق المفتوحة).
٢٠٠-١٩٨	• إدارة الجيش في بلاد الشام وتنظيماته.
٢١٥-٢٠١	• إدارة النظام المالي في بلاد الشام وتشريعاته.
٢١٦	الفصل الرابع الحياة الإدارية والتشريعية في مصر
٢٢٨-٢١٧	• فتح مصر(إدارة الفتح وما رافقه من تشريعات).
٢٤٠-٢٢٨	• إدارة الحياة الاجتماعية والسكانية في مصر وتشريعاتها.
٢٥٤-٢٤١	• إدارة الاقتصاد في مصر وتشريعاته.
٢٦١-٢٥٤	• إدارة الجيش وتنظيمه بعد الفتح.
٢٦٦-٢٦٢	الخاتمة
٢٩١ -٢٦٧	الخرائط- الملاحق
٣١٤ -٢٩٢	ثبت المصادر والمراجع.
٣١٧-٣١٤	ملخص باللغة الإنكليزية.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل ربي زدني علماً

اتّسمت الإدارة العربية الإسلامية في عصر الرسول (ﷺ) بالبساطة، وعلى الرغم من ذلك وضع المجتمع العربي الإسلامي آنذاك جوهر التنظيم الإداري والتشريعي الذي سار عليه المسلمون بعد انتقال الرسول (ﷺ) إلى خالقه.

ونظراً لاتّساع الدولة العربية الإسلامية في الحقبة الزمنية للخليفة أبي بكر، ومن بعده الخليفة عمر رضي الله عنهما، فقد أضافوا إلى التنظيمات البسيطة الإدارية والتشريعية التي اتبعتها الرسول (ﷺ) ما وجدوه لازماً وضرورياً، هذا بالإضافة إلى ما أملتته وفرضته ظروف حياة المسلمين الجديدة، كما أنهم اجتهدوا من أجل خدمة مصالح الدولة العربية الإسلامية الفتية.

فإذا كان الخليفة أبا بكر قد اتبع خطى الرسول (ﷺ) في الإدارة واعتمد على عماله وتشريعاته، في توزيع الغنائم، وفي القضاء، ومعاملة أهل الذمة، فإنّ الخليفة عمر بن الخطاب ومع اتّساع الفتوح اتّجه إلى اتباع سياسة مخالفة لسياسة الخليفة أبي بكر، في توزيع العطاء، حيث قام بتوزيعه على التفاضل، كما سمح للمرتدين بالمشاركة في الأعمال العسكرية و منع في الإدارة الاقتصادية اقتسام الأراضي المفتوحة لكي يوفر للمسلمين مورداً مالياً ثابتاً لأخذ العطاء، كما رأى أن الأهالي أدرى بأرضيهم من المالك الجديد، يضاف إلى هذا أنه أراد إبقاء أفراد جيوش الفتح منشغلين بالأعمال العسكرية، وكذلك لم يرغب بتدمير الزراعة لصالح الرعي، وكان دوماً حريصاً على رعاية الفلاحين وتحريهم.

لقد مثلت تنظيمات الخليفَتين البداية الحقيقية للدولة العربية الإسلامية، والتي وضع أسسها ورتب أمورها الرسول (ﷺ) بوحي من الله، ومن ثم شكلت حقبتَي كلاً من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما مرحلة أساسية لإيجاد الأسباب الرئيسة من أجل تشريع تنظيمات إدارية

تتناسب مع واقع الفتوح وتعتمد بالدرجة الأولى على القرآن والرسالة السماوية، التي قدمت لهم برنامجاً حضارياً يتسم بالعدالة والمساواة واحترام الديانات السماوية.

إنَّ الخليفة عمر بن الخطاب قد أفرد السجلات، ودوّن الدواوين، وعيّن الولاة والعمال والقضاة، وقادة الجيش ونظّم الرواتب وجباية الأموال وحدّد الملكيات، فامتازت حقّبه بالعدالة والتسامح.

ومن هنا اتسمت هذه المرحلة بالأهمية، فكان لابدّ من تسليط الضوء على التنظيم الإداري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي وما جاء معه من تشريعات في كافة النواحي، وذلك لإعطاء صورة واضحة وواقعية للمجتمع والتي أفصحت عن تطوّر وتقدّم في تلك المرحلة بكافة النواحي الإدارية في الدولة العربية الإسلامية الناشئة.

وشهدت حقبة الفاروق نقلة حضارية كبرى في النظام الإداري تمثّلت في مدى اهتمامه وعنايته الفائقة بها، ففي عهده رسخت تقاليد الإدارة الإسلامية، وأعطى على السابقة، وهذا ما يؤكد مدى مرونة العقلية الإسلامية وقبولها للتطوير، لاسيما أن الفتوحات الإسلامية قد أدت إلى امتداد رقعة الدولة العربية الإسلامية وسعة انتشارها في عهده، ففصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، وأكد استقلال القضاء، كما اهتم بأمر الأمصار والأقاليم، ووطّد العلاقة بين العاصمة والولاة والعمال في أجزاء الدولة العربية الإسلامية.

يعالج هذا البحث الحياة الإدارية والتشريعية في عصر الخلفيتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بأطر علمية تحليلية واعتمد منهج استنباط المعلومة من المصادر، وفي بعض الأحيان مقارنة مع مصادر أخرى وفق الأسلوب العلمي المتبع في كتابة البحوث الأكاديمية، وبعد جمع المادة من المصادر والمراجع والمتعلقة بالبحث من جميع جوانبه، وبعد التدقيق تمت دراستها والاطلاع عليها، من أجل الوصول إلى المعلومات المفيدة للبحث، وكان الاعتماد بشكل رئيس على المصادر التي حفلت بإنجازات كلاً من الخلفيتين، إذ تم الحصول من أغلبها على نصوص تبين النواحي الإدارية والتشريعية، وتم استخدامها كما جاءت في المصادر، بهدف المحافظة على النص بما يتضمنه من معلومات تتعلق بالموضوع حتى يسهل فهم الحياة

الإدارية والتشريعية بصورة واضحة معتمدين تقديم الحقائق المحورية والأدلة المبنية التي قام عليها نظام الإدارة والتشريع في عصر كلا الخليفين أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب .

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة وملاحق وثبت بالمصادر والمراجع، حوت المقدمة إشكالية البحث، وأهميته، وسبب اختيار البحث، ثم دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع.

وقدم الفصل الأول: دراسة وافية عن الحياة الإدارية والتشريعية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قام بإدارة حروب الردة في الجزيرة العربية من أجل القضاء عليها وتثبيت الإسلام بين القبائل العربية أولاً ثم الانتقال نحو مرحلة الفتوح ونشر الإسلام بين العرب في المناطق المفتوحة ثانياً ثم نشره بين غيرهم من غير العرب ثالثاً، كما أوضح كيفية إدارة الخليفة أبي بكر دفة الإدارة والتشريع في الجزيرة العربية.

ثم عالج البحث ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أمور إدارية وتشريعية في الجزيرة العربية، فتابع إمداد جيوش الفتوح ودون الدواوين، وعين العمال وراقبهم، وربط بين مقر القيادة الإدارية في الجزيرة العربية في المدينة، وبين المراكز الإدارية في الولايات المفتوحة.

وجاء الفصل الثاني بمعلومات مهمة واضحة عن الحياة الإدارية والتشريعية في العراق، في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والذي أشرف عليها من المدينة المنورة، كإرسال الجيوش، وتزويدها بالخطط العسكرية اللازمة، وقد اعتمد في فتحه على قواد أكفيا أثبتوا كفاءه عالية في قيادة الحروب ضد المرتدين وعلى رأسهم خالد بن الوليد.

وكذلك الأمر عالج الفصل عن الإجراءات الإدارية والتشريعات التي نفذها الخليفة عمر بن الخطاب في العراق، فبين كيفية إدارة الجيش أثناء الفتوح وبعده، وأيضاً بينت ما قام به في المجال المالي من تنظيم الجزية والخراج وإدارتها وما شرع بخصوصها، ثم انتقل إلى الحديث عن الديوان في العراق وكيف نظمته وأداره وما شرع بخصوصه، ولم تغفل الباحثة الحديث عن كيفية تنظيم سكن القبائل المشاركة في الفتوح، ناهيك عن اهتمامه بسكان المناطق المفتوحة، وتنظيم حياتهم بمختلف النواحي.

وخلص الفصل الثالث للحديث عن الحياة الإدارية والتشريعية في بلاد الشام، حيث قسم إلى مبحثين: الأول عن الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، أما المبحث الثاني: فهو عن الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد جرت فيه التنظيم الحربي لبلاد الشام وثغورها، ومن ثم التنظيمات الاجتماعية من قبائل وسكان المناطق المفتوحة، وأخيراً تحدثت عن تنظيم الأمور المالية وإدارتها وما شرع فيها.

وأما الفصل الرابع: فقد جاء بعنوان الحياة الإدارية والتشريعية في مصر، فقدم معلومات مهمة عن كيفية فتح مصر من قبل القائد عمرو بن العاص، وما واجهه من صعوبات أثناء الفتح، وكيف أدار معارك الفتوحات ومن ثم إدارة النواحي الاجتماعية والسكانية في مصر وما اتخذته من تشريعات جديده حول هذا الأمر، كما أنه قدّم صورة لا بأس بها عن إدارة الاقتصاد في مصر بعد الفتح، وذلك تحت إشراف الخليفة عمر بن الخطاب وبتوجيهات منه، وأخيراً تحدثت الباحثة عن إدارة الجيش وما قام به القائد عمرو بن العاص من أعمال نظم من خلالها الجيش وأداره وفق مجموعة من التشريعات مكنته من حفظ الأمن في مصر وتحقيق الاستقرار، وذلك باتخاذ عاصمة جديدة لمصر هي الفسطاط.

ثم خاتمة عرضت فيها الباحثة لمجموعة من النتائج التي تم التوصل إليها بعد البحث والدراسة، ويأتي بعدها قائمة الملاحق، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع العربية والمعرية:

لم يفرد العرب أية مؤلفات تتحدث عن الإدارة، وما لازمها من تطورات إبان العهود الإسلامية الأولى، ولكن في الوقت نفسه لم يغفلوا عن هذه الناحية، وإنما ذكروها في مؤلفاتهم وبالتحديد في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث ورد في البعض منها معلومات جزئية ومتفرقة، وفي البعض الآخر توافرت معلومات واسعة نسبياً في جانب من جوانبها، ولا سيما فيما يتعلق بالمؤسسات الإدارية التي أنشئت، وغيرها من التقسيمات الإدارية.

لقد استندت الدراسة إلى مصادر ومراجع متعددة أسهمت في رسم صورة واضحة عن هذا البحث، وتفاوتت أهمية هذه المصادر فيما حوته من معلومات ، وكان كل مصدر منها يركز على جانباً أو أكثر من جوانب البحث، لذلك يمكن تصنيف المصادر التي اعتمد عليها البحث إلى عدة مجموعات رئيسية بحسب مادتها التاريخية أو أسلوب عرضها للأحداث، وهذه المجموعات هي كتب التاريخ العام، وكتب الفتوح والبلدان، كتب الحديث والفقه، وبعض المراجع الحديثة.

- كتب التاريخ العام:

تأتي أهمية كتب التاريخ العام بسبب اهتمام مؤلفيها بتوثيق النقل ومحاولة الحفاظ على النصوص، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد أورد هذا الصنف عدداً كبيراً من أسماء كبار الموظفين في عهد كل خليفة، كما أدرجوا في نهاية الكلام عن كل خليفة أسماء الرجال القائمين بأعمال الإدارة في زمن كل خليفة، إضافة إلى ما ذكره عرضاً في ثنايا البحث، ومن أبرز من حرص على ذلك هو خليفة بن خياط، واليعقوبي، والطبري، وابن الأثير، والسيوطي.

وعلى الرغم من ذلك فإن الاعتماد على هذا الصنف في دراسة الإدارة والتشريع يواجه بعض الصعوبات لأن مؤلفيها قد عنوا بسرد الحدث التاريخي المختص بالنواحي السياسية، وعرضوا مادتهم مرتبة وفق السنين، أكثر من اعتمادهم على المكان وأساليب الإدارة، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يعرضوا للأماكن أو الأوضاع الإدارية وما يتصل بها من أمور اجتماعية واقتصادية إلا أنها كانت بصورة عرضية، أو يمكن استنباطها من خلال اهتمامهم بسرد الحدث التاريخي الذي قد يكون له أهمية حضارية.

ومن أهم كتب التاريخ العام:

"تاريخ خليفة بن خياط" لمؤلفه خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م): عُرف عنه أنه أورد قوائم بأسماء الدواوين المركزية وموظفيها، وكذلك القضاة ورؤساء الشرطة وولاة الأجناد في نهاية عهد كل خليفة، لذلك كان لابد من الرجوع إليه للتعرف على بعض النواحي الإدارية الحربية، ولاسيما فيما يتعلق بتنظيم الأمصار والأجناد.

"تاريخ الرسل والملوك" لمؤلفه الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تأتي أهمية هذا الكتاب من خلال ما أودعه واحتوى عليه من موادّ إخبارية لا تتوافر في مصنف آخر، حيث استوعب فيه هذا معظم ما كتب من قبل ونقلها نقلاً دقيقاً محافظاً على السند، وبالتالي فقد أصبح الحدّ الفاصل والمصدر الأساسي في الإخبار عن أحداث القرون الثلاثة الأولى للكتب التالية له، والتي صارت تنقل عنه بتفاصيل متباينة ثم يضيف مؤلفوها من موارد أخرى أخبار الأحداث التي تلت تاريخ الطبري حتى عصرهم.

وقد أفاد البحث كثيراً، إذ إنه تحدث عن كيفية فتح المدن التابعة للأجناد، ودورهم في الفتوح؛ لذلك كان من المصادر الأساسية التي لا غنى عن نصوصه والتي ضمّنها في حولياته، لمتابعة التطور المالي والإداري لنظام الأجناد، وكذلك يقدّم معلومات مهمة جداً عن النواحي العسكرية، وخصوصاً فيما يتعلّق بالقيادة وتسلسل المراتب، والخطط الحربية التي كان العرب المسلمون يستخدمونها.

أما في الجزيرة والعراق، حوى مؤلفه صورة دقيقة عن التشريع الإداري الذي اتخذه ولاة وقواد الخليفة عمر بن الخطاب في المناطق الإدارية (الجزيرة، العراق)، وما تبعهما من المناطق أي أن اهتمامه بأخبار الجناح الشرقي من الدولة العربية الإسلامية كان كبيراً، في حين أن الجناح الغربي ليس له نصيب يذكر، ويبيّن تاريخ الرسل والملوك أنّ التشريعات الإدارية كانت تنفذ بأمر من الخيفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، إلا في حالات قتالية تطلبت من القواد إدارة الحروب وإعطاء التشريعات العسكرية التي تعود بالفائدة والنصر ليس على المسلم وإنّما على سكان المناطق المفتوحة.

كما قدّم صورة واضحة عن إدارة الأراضي الزراعية وكيف منع الخليفة عمر تقسيمها، بهدف جعلها مورد ثابت للمسلمين، وكذلك أفاد حول إدارة الناحية الاجتماعية من خلال إبرازه عملية تنظيم استقرار العرب في المناطق المفتوحة، ومن النواحي الاقتصادية من خلال إيضاح ما فرض من جزية وخراج على الرأس والأرض أي إدارة المالية، وتشريعاتها، وحوى معلومات عن

كيفية تقسيم المناطق المفتوحة إدارياً وما شرع فيها؛ لذلك اعتمد البحث بشكل مكثف على تاريخ الرسل والملوك، لإيضاح الأمور الإدارية والعسكرية السابق ذكرها.

كتاب "الكامل في التاريخ" لمؤلفه ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): بدأ كتابه من بدء الخليقة حتى سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)، أي قبل وفاته بسنتين، وقد قام بجمع الأخبار وتمحيصها وترتيبها من دون التركيز على جانب معين، أو إهمال لبعض النواحي أو الأقاليم أو الخلفاء، كما اعتمد المنهج الحولي، ولكن اعتماده على الطبري كان أكثر، واختلف عنه بالتحقق مما ينقله من أخبار، وإذا شك بالروايات أوردها جميعها تاركاً الحكم للقارئ، ويأتي بعد الطبري من حيث الأهمية فيما يتعلق بالبحث، ولا سيما بحث التطورات التي تمت بالنسبة إلى النواحي المالية، وانعكاس ذلك على الجيش وأعطيات الجند ونفقاتها.

كتاب "البداية والنهاية" لمؤلفه ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): يُعدّ هذا الكتاب مصدراً تاريخياً مهماً وموسوعة ضخمة، بدءاً من الخليقة حتى العصر العباسي، وقد أفاد البحث كثيراً ولا سيما فيما يتعلق بقوات الأجناد الشامية وغيرها من المجالات الإدارية في الولايات المفتوحة.

- كتب الفتوح والبلدان:

وتأتي أهمية هذه الكتب لما قدّمتها من معلومات ليست جغرافية فحسب، بل تضمنت معلومات حضارية وسياسية وعسكرية عن كيفية الفتوحات، والمعارك التي دارت خلال الفتوح، كما أنها لم تغفل ما قام به القواد من ترتيب إدارية بعد كل معركة خاضوها وحققوا النصر فيها، كما أن البعض منها رتب بحثه تبعاً للأقاليم وذكر أسماء ولاة الإقليم أو البلد الذي تحدث عنه، ومن تلك الكتب:

كتاب فتوح الشام للواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي ٢٠٧ هـ / ٨٢٢م):

وهو من المصادر المهمة التي أعطت البحث فائدة كبيرة إذ ذكر فيه تاريخ فتوح الشام بلداً بلداً، وتناول كل بلد منها مبيّناً ما تم في فتحها، وأسماء قوادها، وما حدث في المدن بعد فتحها،

وتحدّث عن فتح العراق، وبعض بلدان مصر مثل: الإسكندرية ودمياط ورشيد والمحلة وبيبار والبحيرة وغيرها.

أما الكتاب الثاني الذي اعتمد عليه البحث هو المغازي، والذي بين البحث من خلاله ظهور بعض التنظيمات الإدارية في مكة كتعيين ولاية من القبائل التي أسلمت، وكذلك بين مهامها في جباية الزكاة والخمس، وغيرها من التنظيمات البسيطة.

تاريخ فتوح الشام للأزدي (محمد بن عبد الله ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م):

يتميز كتابه بإسناد الروايات وبيان مصادرها وسلسلة وصولها إليه، لذلك قدّم هذا الكتاب معلومات مهمة عن مشورة الخلفاء والأمراء لاتباعهم، والأخذ برأيهم، وهو مبدأ إداري أساسي سار عليه القادة، كما ورصد الأزدي العديد من المراسلات التي دارت بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبين أمرائه في الشام، وعن تولية خالد بن الوليد قيادة الفتوح بالشام وعزله عنها، وغيرها من الأمور الإدارية المتعلقة بإدارة الفتح في الشام.

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م):

فله كتاب "فتوح مصر وأخبارها"، و"فتوح مصر والمغرب"، وللمصدرين أهمية كبيرة بالنسبة للحقبة المدروسة، وخاصة فيما يتعلق بفتح مصر والمناطق التابعة لها، ولا سيما فيما يتعلق بإدارة العمليات العسكرية، وموقف عمرو بن العاص من الأهالي بعد الفتح، وما اتخذه من تشريعات سواء إدارية أو اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، كما قدّم صورة واضحة عن موقف سكان مصر الأصليين من الفتح، وما قاموا به من دور كبير في الفتح من خلال القيام بالكثير من الأعمال التي أفادت العرب الفاتحين.

كتاب "فتوح البلدان" لمؤلفه البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): ولهذا الكتاب فائدة كبيرة في جميع فصول الرسالة، فقد كان العمود الرئيس للبحث، من حيث تقديمه معلومات وافية ودقيقة عن الأمصار في العراق والأجناد في الشام ومدنها ولاسيما مدن ساحل بلاد الشام من الناحية الإدارية، فأعطى صورة واضحة لما كانت عليه في القرون الأولى من الهجرة، ولم يغفل

الأحداث التاريخية التي جرت فيها، محيطاً بما أحدثه العرب من تعديلات في تنظيمها الإداري الحربي، فبين الفرق بين تنظيم العرب لبلاد العراق والشام، وتنظيم الفرس والروم البيزنطيين لها، كما ذكر كيفية توزيع العطاء في العصر الراشدي، وفصل في منازل الفتح والهجرة ومسالكها؛ من هنا جاءت أهمية كتابه لما ورد فيه من معلومات إدارية واقتصادية وثقافية؛ ولاسيما في كيفية تجنيد الأجناد، والعناية بالشعور والعواصم، وبالتالي كان كتابه من أهم المصادر التي اعتمد عليها، خاصة أنه تابع ما لحقها من تطورات في النواحي الإدارية والمالية كافة، وعناية الخلفاء والولاة بهذه النواحي.

أما المصدر الثاني الذي اعتمد عليه البحث يعود للبلادري هو أنساب الأشراف، تمكن البحث من خلاله معرفة القواد الذين توجهوا إلى الفتوح على كافة الجبهات، كما أعطى صورة واضحة عن الإجراءات الإدارية والتشريعية، وعن كيفية إدارة الخليفة للفتوح وتعامله مع قواد الفتح والعمال وسكان المناطق المفتوحة وما شرع بهذا الخصوص.

كتاب "المسالك والممالك" لمؤلفه الإصطخري، إبراهيم بن محمد الكرخي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): أفاد البحث بذكر معلومات عن الأجناد الخمسة في بلاد الشام، وذكر مدنها وقراها، فهو لم يعط معلومات جغرافية فقط، وإنما اقتصادية أيضاً، وقد وصل في كتابه إلى العصر الإخشيدي، وأورد التعديل الإداري الذي طرأت على الأجناد.

كتاب تاريخ دمشق: ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن ت ٥٧١هـ / ١١٧٥):

هو كتاب ضخيم يقع في ثمانين مجلداً تناول فيه تراجم للأعيان والرواة ومروياتهم لكل من سكن أو جاور أو مر بمدينة دمشق، وترجم لعدد هائل من الأعلام في تاريخ الإسلام منذ ظهوره إلى ما قبل وفاته، وتحدث عن فضائل الشام مع وصفها من الناحية الجغرافية، كما تناول أخبار كثيرة عن الفتوح التي تمت على يد المسلمين، ابن العديم في كتابه بغية الطلب ترجم لأعلام شمال بلاد الشام مرتبة على حروف المعجم، ولم يقتصر على أعلام حقبة تاريخ الإسلام بل تناول أعلام ما قبل الإسلام، وقد اختلف عن ابن عساكر الذي كان محدثاً، أما ابن العديم فقد كان

سياسياً، وكذلك ذكر ابن العديم المدن، وما انطوت عليها من تطورات في النواحي الإدارية والعسكرية، وكيفية فتحها وتحصينها

كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): أفاد البحث كثيراً؛ نظراً لما ورد فيه من معلومات جغرافية وتاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية وكيفية إدارتها، ووصل فيه حتى حقب متأخرة، وقدم صورة تفصيلية عن التنظيمات الإدارية لكافة الأمصار، وتحدث عن مدنها وقراها وضياعها وجبالها وكورها وقلاعها، ولم يُغفل الأحداث التاريخية في صدر الإسلام، لكنه اختلف عن المصادر الأخرى بأنه أخضع مادته للنقد والتحريض.

كتاب "الخطط والآثار" المقرئزي (أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م):

يعد كتاب الخطط للمقرئزي من أهم المصادر التي يعتمد عليها عند الكتابة في التاريخ العربي الإسلامي وخاصة من الناحية الإدارية، إذ تضمن معلومات واضحة ومهمة عن كيفية فتح مصر، وكيف أدار القائد عمرو بن العاص دفة الفتوح هناك، كما أفاد حول بناء مدينة القسطنطين وكيف اختطت القبائل الخطط فيها (أي كيفية توزيع القبائل حول المسجد الذي ما يزال يعرف حتى الآن بمسجد عمرو بن العاص)، وقدم معلومات أخرى عن قرارات ذلك القائد الذي اتخذها في مصر سواء من الناحية الإدارية أو التشريعية.

- كتب الحديث والفقه:

وهي تقدم معلومات تاريخية واسعة ذات أهمية وفائدة، تنفرد بها عن غيرها من المصادر، ولكن المأخذ على هذه الكتب أنها لم تراعى النواحي الجغرافية، وإنما اعتمدت بالدرجة الأولى على القواعد الفقهية التي وضعها الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده، كما أنها تناولت كيفية إنشاء ديوان الجند في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، إذ فصل مؤلفوها في الأسباب التي دعت إلى ذلك، ومن أهم هذه الكتب، تلك المتعلقة بالخراج، لما له من أهمية خاصة في الإدارة، نظراً لأنه المصدر الرئيس لوارد الدولة ولشموله معظم الأراضي الزراعية، فهو في أساسه يتعلق بالمالية وما تتطلبه جبايته من عمليات مسح للأراضي، ومعرفة إنتاجها ووضع العمال فيها،

وطرق الجباية وتقرير الأساليب المستعملة في الجباية وحفظ السجلات وتأمين الجباية، وكل هذه تندرج تحت الأمور الإدارية وأهم كتب الخراج:

كتاب الخراج لأبي يوسف (يعقوب بن إبراهيم بن حبه الأنصاري ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م):

كتب كتابه هذا جواباً عن الاسئلة التي وجهها الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد بحث فيه عن أحكام الأراضي والخراج والعشر والقطائع، وأساليب الجباية وأحكام أهل الذمة وأهل الحرب والمرتدين والجنائيات، وأورد عن كل قضية بحثها نصوصاً كثيرة يرجع بعضها إلى الخلفاء الراشدين، ومع أنه أورد هذه النصوص لتوضيح وجهة نظره وهي ترد في كتب أخرى تناولت هذه المواضيع، إلا أن ما أورده هو عن الأحوال المالية والإدارية معلومات قيمة وفريدة، كما أنه حوى معلومات مهمة من الناحية التاريخية على الرغم من أنه مخصص للحديث عن الخراج فقط، وما رافقه من ضرائب.

كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي (٢٠٣هـ / ٨١٨م) :

قدم فائدة لا يمكن تجاهلها للبحث الذي تمت دراسته، وذلك لأنه بحث في أحكام الخراج والعشور، وأحكام أهل الذمة، وأورد في كل أمر بحثه نصوصاً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحكام للخلفاء الراشدين، وبعض الولاة والقضاة، وبالتالي سار على أساليب الفقهاء ونظامهم.

كتاب "الأموال" لمؤلفه أبي عبيد القاسم بن سلام، بن عبد الله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٧م) : يُعدّ هذا الكتاب أحد أهم المصادر الاقتصادية في التاريخ العربي الإسلامي، وهو يتناول مسائل محددة بناء على ما جاء في الكتاب والسنة وكتب المعاهدات، وهو يركز على مصدرين ماليين للدولة، هما: البشر والأرض، فبحث عن الفئ والجزية وأهل الذمة والأسرة وأراضي الصلح، وكتب الرسول والخلفاء الراشدين، وتحدث عن العطاء والإقطاع والحمى والخمس وصدقات الماشية والتجارة والزراعة، وتوزيع الصدقات، وبذلك أفاد هذا البحث

منه كثيراً ولاسيما فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية، والأمور التي استجبت بعد الفتح العربي الإسلامي لمعظم الولايات.

كتاب "الخراج وصناعة الكتابة" لمؤلفه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م): على الرغم من أنه لم يذكر مصادره إلا أنه يمكن القول أنه نقل عن البلاذري فيما يتعلق بفتوح البلدان، وأخذ عن ابن خردادبه فيما أورده عن المدد والمسافات، وتأتي أهمية كتابه لما قدمه من معلومات عن فتوح البلدان، ومقدار الجباية والطرق والمسالك بين الأقاليم وتنظيم بعض الدواوين، وبسبب ما تضمنه من معلومات أساسية عن أجناد بلاد الشام، والخراج، والطرق، وأنظمة البريد، والفتوحات.

الكتب العربية والمعرّبة:

اعتمد البحث على مجموعة من المراجع العربية والمعرّبة، خدمت البحث وقدمت معلومات واضحة عن إدارة الفتوح، والإدارة المالية، والاجتماعية ومن أهمها:

عبد العزيز الدوري، فقد أفاد البحث بشكل كبير وذلك من خلال مجموعة من المراجع التي قدّمت معلومات وفيرة عن الإدارة والتشريع بكافة المجالات، وخاصة المالية، ومن أهمها: مقدمة في صدر الإسلام، بيروت ١٩٦١م، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي.

كتاب العسكرية الإسلامية في العصر الراشدي للمؤلف محمد قاسم صالح:

عرض فيه لفتح العراق والشام، والخطة التي اتبعتها الخليفة أبو بكر في إنفاذ الجيوش باتجاههما، كما أنه تحدث عن القواد وبالأخص القائد خالد بن الوليد وما قام به من مهام في كل منهما، وركّز بشكل أساسي على معركتي القادسية واليرموك، كما أنه لم يغفل الجانب البيزنطي، وأورد عزل الخليفة عمر بن الخطاب القائد خالد بن الوليد وتولية أبو عبيدة بن الجراح على قيادة الجيوش في الشام، كما أنه بين الفرق بين استراتيجية كل من الخليفة أبو بكر والخليفة عمر، فأبو بكر ترك لقواده حرية التصرف في المعارك ووضع الخطط للوصول إلى ما أمرهم بتنفيذه، على عكس الخليفة عمر الذي كان يأمر قواده بتنفيذ خطته بحذافيرها.

العرب والأرض في العراق للمؤلف جمال جودة:

الذي تضمن معلومات مهمة فيما يتعلق بالإدارة في العراق وخاصة مناطق سكن العرب، وغيرهم، وكيفية تنظيم الأرض هناك.

أما الكتب المعربة فهي ذات أهمية كبيرة لما قدّمته من معلومات مهمة جداً بخصوص الفتح وكيفية تنظيم البلدان المفتوحة، وكيفية فرض الجزية والخراج على الأرض والسكان، وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظرهم عن المؤرخين العرب إلا أن البعض منهم قد كتب بعقلانية، ومن هؤلاء:

دينيت في مؤلفه الجزية والإسلام، وفتح مصر لبتلر، وقد أفاد البحث كثيراً، إذ تضمن تقديم معلومات وفيرة عن كيفية الفتح وبالتحديد فتح الإسكندرية وحصن بابليون، وعن موقف أهل مصر من الفتح، وموقف الروم أيضاً، كما أنه قدم معلومات عن كيفية إنشاء الفسطاط، وتنظيم الخطط فيها.

وأخيراً لإغناء البحث كان لا بد من العودة إلى الدراسات الحديثة والرسائل العلمية، والمجلات والدوريات، وذلك للاطلاع على وجهات النظر المختلفة، والاستفادة منها قدر المستطاع في دراسة النواحي الإدارية (العسكرية والاجتماعية والاقتصادية).

يتبين ممّا سبق أنه على الرغم من الفضل الكبير الذي قدّمته المصادر والمراجع الحديثة من معلومات قيمة، إلا أنّ الكثير منها إن لم تكن أغليبتها، اقتصر على معلومات مقتضبة، ومنفرقة أحياناً، تحتاج إلى استنتاج من خلال متابعة ما ذكرته هذه المصادر والمراجع من أحداث عن الحياة الإدارية والتشريعية، في عهد كل من الخليفة أبي بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب، التي يمكن من خلالها التعرف بالحياة الإدارية، وما رافق التوسعات من تنظيمات إدارية وتشريعية تتناسب مع واقع الفتوح وانضمام ولايات كثيرة تحت جناح الدولة العربية الإسلامية الناشئة.

الفصل الأول

الحياة الإدارية والتشريعية في الجزيرة العربية

- الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق:
- الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:

جاء الإسلام بأسمى مبادئه، وضمّن للناس المساواة مهما كان العرق واللون، وعلى الرغم مما تعرض له المسلمون من العذاب والتهجير، إلا أن الرسول (ﷺ) صبر مع المسلمين، وهاجر إلى المدينة المنورة، ليضع أسس دولته الناشئة إدارياً وتشريعياً وليكمل بعده الخلفاء الراشدون ملتزمين بتشريعاته أو مطورين لها بما يتناسب مع الوضع السائد.

الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق:

كان للهجرة النبوية إلى المدينة قيمة خاصة في تاريخ الإسلام لأنها كانت حداً فاصلاً بين مرحلة كان الإسلام فيها دعوة دينية يحملها نفر قليل مستضعفون وبين مرحلة جديدة أصبح الإسلام فيها دولة قوية مرهوبة الجانب، فلم يكتف الرسول (ﷺ)، منذ وصل المدينة بتبليغ الوحي الذي نزل عليه خاصاً بالأمر التشريعية العامة بل رأى أن يعني الوسائل التي ينظم بها الحياة فيها لأنه قائد لجماعة من العرب لهم صفة سياسية بجانب كونه نبياً مرسلًا عليه أن يبلغ رسالة ربه لذلك أخذ الرسول (ﷺ) يهتم بالأسس الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والعلمية، التي يجب أن تقوم الدولة عليها، ولم تكن مهمته سهلة، لأن له أعداء ظاهرين ومستترين، فماذا عساه يفعل في هذه الظروف الصعبة؟.

دعا الرسول (ﷺ) إلى المساعدة ورص الصفوف وآخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمساواة^(١)، وكان هدفه من وراء ذلك أن يذهب عن المهاجرين وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة والنسب، وكانت المؤاخاة منهجاً جديداً في حياة العرب وعلى أساس ذلك تم إنشاء نواة أمة جديدة ستتطور لتصبح أمة عظيمة تولى محمد (ﷺ) السيادة الزمنية فيها والقضاء مع صفات النبوة التي يحملها، فامتزج المفهوم الديني بالمفهوم الدنيوي في الإسلام، وهذه ناحية تفرد بها هذا الدين، وبذلك وضع حداً لمفاهيم المعبد والقصر، وصارت السيادة

(١) ابن هشام: (جمال الدين ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر ١٩٥٥م، ط ٢، ج ٢، ص ١٠٩.

للتشريعة ولم تعد مقصورة على الحكام ورغباتهم، ثم أن النبي محمد (ﷺ) أول مُشرّع في التاريخ جاء بالنظرية من عند الله وتولى تطبيقها برعاية من الله وتوجيه.

وحين تولى النبي محمد (ﷺ) سيادة الأمة الجديدة ظل محافظاً على صفته الأساسية وهي أنه نبي مرسل لا يملك الحق في التشريع لأن المُشرّع هو الله وكل ما كان عليه تبليغ ما كان يأمره الله بتبليغه، والسهر على الأوامر الإلهية، وعلى هذا فالدولة التي أقامها محمد (ﷺ) كانت دولة سيدها الله، والله وحده هو الحاكم.

والمفيد ذكره هنا أن الإسلام جاء حاملاً إلى العالم أحكاماً تتلخص في أنه عقيدة وعبادة وتنظيم.

ومن الثابت أن الرسول (ﷺ)، فكر في تأسيس الدولة الإسلامية منذ تباشير الوحي وأنه وضع بالفعل أركانها، فأكد على حقوق "المواطنة" وسيادة القانون مع إقرار سيادة الدولة، إذ غدت الدولة سياجاً يحمي المواطنين جميعاً، ويجعلهم صفاً واحداً في مجابهة الأخطار التي تواجههم، بذلك قد أرسى قواعد الدولة المنظمة، وقد حدث ذلك تبعاً وحسب الحاجات وتنفيذاً للوحي الذي نزل عليه، ومما اقتضته المصلحة العامة التي قدّرها الرسول محمد (ﷺ)، وقد واجهته العديد من المشاكل والأمور الإدارية، أولها ما يتعلق بتأمين السكن للمهاجرين الجدد، لذلك شرّع بعض الحلول الإدارية لتلافي هذه المشاكل، فبعد أن آخى بين المهاجرين والأنصار ووحد صفوفهم عن طريق تألفهم حتى لا تنثر العداوة القديمة بينهم، آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وقد منح الأنصار بعض أموالهم للمهاجرين، فبدأ (ﷺ) بقطع القطائع لهم من الهبات التي وهبها له الأنصار^(١).

(١) الزبيدي (زين الدين ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م): التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، مؤسسة الرسالة، دمشق ٢٠٠٩م، ط ١، ص ٤٤٧. السمهودي (نور الدين أبو الحسن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ، ط ١، ج ٥، ص ٢.

ونظراً لتعاضد المشاكل التي ظهرت آنذاك أسس الرسول (ﷺ) مسجداً ليس من أجل العبادة وأداء الصلاة فقط^(١)، وإنما اتخذها مركزاً إدارياً للبت في هذه المشاكل سواء أكانت تخص المهاجرين أو الأنصار ومن ثم تشريع وإيجاد الحلول لها، من خلال اتباعه مبدأ الشورى، وكان فيه يجتمع المسلمون لمناقشة أخطر الأمور، وبالتالي غدا هذا المسجد مقراً إدارياً ومركزاً تشريعياً ومكاناً للشورى^(٢)، ومن ثم اتجه إلى وضع دستور لدولته من أجل تنظيمها إدارياً، فهدف من ورائه تنظيم العلاقات الاجتماعية بين سكان المدينة جميعاً من يهود وأنصار ومهاجرين، فسميت بالصحيفة، أو المودعة، إذ نقل الرسول صلى الله عليه وسلم قومه من شعار القبلية والتبعية لها إلى شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، عندما تضمنت الصحيفة ضمن بنودها أن المسلمين «أمة واحدة»^(٣)، أي أصبح الولاء للدولة الناشئة وللدين الجديد بدلاً من الولاء للقبيلة، وأصبحت العصبية للدين وليس للنسب.

وترأس الرسول (ﷺ) قمة الهرم الإداري، فكانت بيده الأمور الدينية والدنيوية، ومن ثم تلاه في المرتبة العديد من خيرة الصحابة، ممن شهد لهم برجاجة العقل وقوة البصيرة، ولم يرغب عن ذهن الرسول (ﷺ) الأسبقية في الإسلام، وهؤلاء تسموا بمجلس الشورى أو مجلس النقباء^(٤).

وما كاد وضع المدينة يستقر حتى انتقل الرسول (ﷺ) إلى بارئته، دون أن يترك خلفاً له إلا بضع كلمات رسمت السياسة التي سيسير عليها من يخلفه بقوله: (إني تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي)، وقد شكّل انتقاله للرفيق الأعلى حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل حياة الدولة الإسلامية الوليدة مرحلة النبي (ﷺ) الذي يوحى إليه، ومرحلة

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) يوسف (وائل محمد): الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، المكتب المصري الحديث، القاهرة، د ت، ص ١٤١.

(٣) الصلابي (علي محمد): السيرة النبوية-عرض وقائع وتحليل أحداث-، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٨م، ص ٣٢٧.

(٤) المباركفوري (صفي الرحمن ت ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م): الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط ١، ص ٢٧٧. يوسف: الدولة، ص ١٤١.

الدولة التي تتطلع إلى حاكم لا نبوة له، ولكن لا بد أن يكون قادراً على السير في الطريق التي اختطها صاحب السيرة، وكان على المسلمين مهاجرين وأنصار أن يُنظِّموا دولتهم، فواجهتهم مشاكل عديدة وأكبر مشكلة إدارية هدّدت وحدة المسلمين هي مشكلة الحكم، أي البحث عن شخص يخلف الرسول (ﷺ) ويتّأسس الهرم الإداري والتشريعي بعده، وبعد مناقشات حادة بين المهاجرين والأنصار، حسم عمر بن الخطاب الأمر بأنّه سارع وبائع أبا بكر فقبل أبو بكر التكليف خوفاً أن تقع الفتنة، وبالتالي أوجد حلاً لمشكلة من يخلف الرسول (ﷺ) وحفظ الامتيازات الإدارية للمهاجرين^(١)، وهكذا جاءت إلى الوجود مؤسسة الخلافة العتيدة.

وكان تولي أبو بكر للخلافة قد أحدث عَصراً جديداً في التاريخ الإسلامي، عرف بالعصر الراشدي، وهو العصر الذي اكتملت فيه بعض الأمور الإدارية التي بدأها الرسول (ﷺ)، ولاسيما أن الخليفة أبو بكر كان المستشار الأول للرسول عليه الصلاة والسلام في الأمور الإدارية والتشريعية^(٢).

شرع المسلمون ما يسمى بالبيعة الخاصة، وقد تمت في البداية على يد عمر، ومن ثم تبعه الصحابة ومن كان موجوداً في السقيفة، ثم اتجهوا إلى ما يسمى بأخذ البيعة العامة من جمهور المسلمين في مكة والمدينة التي كانت بمثابة عقد مبرم بين الخليفة والأمة ففي اليوم التالي بايع

(١) ابن منظور (جمال الدين ت ٧١١هـ / ١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق ١٩٨٤م، ط ١، ج ١٨، ص ٣٠٨.

(٢) البستاني (ابن حبان بن أحمد ٣٥٤هـ / ٩٦٥م): صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣م، ط ٢، ج ١١، ص ٢١٧. النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني ٣٠٣هـ / ٩١٥م) : السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠١م، ط ١، ج ٨، ص ١٠٢.

عامة المسلمين لأبي بكر الصديق رضي الله عنه^(١)، وبالتالي أُوجدت حسب المفهوم الإداري للدولة في تعيين الخليفة بيعتين، الأولى بيعة خاصة، ومن ثم تليها بيعة عامة.

وما أن تسلم أبو بكر الخلافة حتى قطعت غالبية القبائل صلتها بالمدينة، ذلك أن بعضها كانت تعد نفسها مرتبطة بسيد المدينة لا بنظام قائم بذاته ودولة مركزية، وانفسح المجال أمام المناهضين وأعداء قريش من العرب لإظهار ما يخفون من نوايا انفصالية ونزعات، وظهرت مظاهر الصدام العنيف بين النظامين القبلي والإسلامي في الحركة المعروفة بالردة.

والواقع إن ارتداد بعضهم حدث في عهد الرسول (ﷺ)، ولكن ذلك كان لا يتعدى الأشخاص، أما في حقبة أبي بكر فلقد ارتدت معظم القبائل واختلفت في ردتها وامترجت بذلك العوامل السياسية بالدينية والاقتصادية، بحيث لا يمكن الفصل بينها فما هي الوسائل والطرق التي استخدمها أبو بكر الصديق وواجه المرتدين بها؟.

اتجه الخليفة أبو بكر إلى حل مشكلة ارتداد القبائل العربية عن الإسلام، فبدأ بوضع الخطط الإدارية والعسكرية لمواجهتها، وكانت أكبر مشكلة واجهته كيفية جباية الزكاة، حيث ارتدت أغلب القبائل بإسقاط ركن من أركان الإسلام، وهو امتناع القبائل عن الزكاة، وكان ارتداداً جزئياً، في حين ارتدت قبائل أخرى ارتداداً كلياً، فصمم أبو بكر على المواجهة على الرغم من معارضة الصحابة أثناء مشورتهم حول كيفية التصرف مع هذه الأزمة، ولم يكن أحد أشد على أبي بكر من عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حنيفة وجعلوا يكلمون أبا بكر، ويقولون ترفق لهم واترك صدقة أموالهم، فجعل أبو بكر يقول: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ مَنَعُونِي عَقَلاً وَاحِداً مِمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ عَلَيْهِمْ لَفَاتَلْتُهُمْ أَبَداً، أَوْ يُنْيَبُوا إِلَى الْحَقِّ)، وصمم على محاربة المرتدين وبالوقت نفسه على إنفاذ جيش أسامة بن زيد الذي

(١) الواقدي (أبو عبد الله ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م): كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م، ط ١، ص ٤٦، ٤٧.

أعدّه الرسول (ﷺ)^(١)، وعندما حاولت بعض القبائل أن تساومه على جمع الزكاة التي تحت نفوذهم مقابل ما يخصصهم به أبو بكر، رفض المساومة^(٢).

لذلك اتخذ الخليفة أبو بكر العديد من الإجراءات الإدارية والعسكرية لمواجهة المرتدين: حيث عد الزكاة ركناً من أركان الإسلام لا يجوز إنكارها، وأنها تشكل مورداً أساسياً لمواطني الدولة الإسلامية، كما رفض مساومة المؤلفة قلوبهم، في طاعة الله وفروضة، وقرر تطبيق كافة الإجراءات المالية بقوة التشريع الإسلامي.

ومن أجل حرب المرتدين عين الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد لقيادة الجيش العربي الإسلامي، كما خرج بنفسه مودعاً الجيش، وليطمئن على أنه لم يبق أحد من المهاجرين أو الأنصار إلا خرج مع الجيش، وأوصى خالد ألا يتهاون في قتال أي مسلم ينقض ركناً من أركان الإسلام^(٣).

ووضع خطته على الوجه التالي:

جعل من المسجد مقراً عسكرياً ألزم أهل المدينة على البقاء فيه حتى يتمكن من تجهيزهم على أكمل وجه، كما نظم الحرس حول المدينة للدفاع عنها في حال حاولت إحدى القبائل الإغارة عليها بشكل مفاجئ، ومن ثم حدد أمراء الحرب، وكانوا جميعاً من الصحابة ممن وافقه على قراره الإداري والعسكري وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم^(٤).

(١) الواقدي: كتاب الردة، ص ٤٨، ٦٦. الصنعاني (أبو بكر عبد الرازق بن همام ت ٢١١هـ): مصنف عبد الرازق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند ١٤٠٣هـ، ط ٢، ج ٤، ص ٤٣.

(٢) (البكري) (حسين بن محمد بن الحسن الديار ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م): تاريخ الخميس، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٣) (البكري): تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤) (الطبري) (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت ١٣٨٧هـ، ط ٢، ج ٣، ص ٤٨١.

فأثبتت الخليفة أبو بكر بذلك عبقريته في إدارة الأزمات والحروب، فقد اعتمد على من ثبت على الإسلام من القبائل من أسلم وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة وكعب، التي قبلت بجهاد أهل الردة، فاجتمعت أعداد كبيرة في المدينة، معهم خيولهم وجمالهم التي وضعوها تحت تصرف الصديق^(١)، فجهينة وحدها قدمت على الخليفة في أربعمئة من رجالها ومعهم الخيول والجمال، وساق عمرو بن مرة الجهني مائة بعير لإعانة المسلمين، فوزعها أبو بكر في الناس^(٢).

أما الولايات البعيدة حيث كانت القبائل المرتدة لا تشكل خطراً على مقر السلطة الإداري والتشريعي في المدينة، بعث بالكتب إلى ولاتها، يحرضهم على قتال المرتدين، ومن أمثلة ذلك رسالته لأهل اليمن حيث المرتدة من جنود الأسود العنسي التي قال فيها:

"أما بعد، فأعينوا الأبناء على من ناوأهم، وحوطوهم، واسمعوا من فيروز، وجدوا معه، فأني قد وليته"^(٣)، وقد أثمرت هذه الرسالة، حيث قام المسلمون من أبناء الفرس بزعامة فيروز، يعاونهم إخوانهم من العرب بشن ما يتناسب مع أهل الردة، وبذلك أعيدت اليمن للسيطرة المركزية^(٤).

ولقد اعتمدت سياسة الصديق في القضاء على الردة على ركائز قوية من القبائل والزعماء والأفراد الذين توافدوا من كافة أنحاء الجزيرة العربية، وثبتوا على إسلامهم، وقاموا بأدوار مهمة ورئيسية في القضاء على فتنة الردة^(٥)، أي أنه اعتمد في إدارة الجوانب العسكرية على مشورة الصحابة، إلا أنه رجح رأيه، كما اعتمد على القبائل المتمسكة بإسلامها في قتاله ضد القبائل المرتدة.

(١) رزق الله (مهدي): الثابتون على الاسلام أيام فتنة الردة، دار طيبة، الرياض ١٤٢٠هـ، ط ٢، ص ٢١.

(٢) البكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٥ م، ج ٤٩، ص ٤٩٣.

(٤) ابن الاثير (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م، ط ١، ج ٢، ص ١٩٧ - ١٩٩.

(٥) رزق الله: الثابتون على الاسلام، ص ٤.

كما اعتمد الخليفة أبو بكر على التوعية وتوضيح حجم الخطر الكبير الذي سيلحق بالإسلام في حال ارتدوا، وبالتحديد على التخاذل منها، فقد كان يعد الأمة لمواجهة منظمة مع المرتدين عندما تأتي الفرصة المناسبة، فقد راسل الصديق زعماء قبائل الردة ليعودوا عن ردتهم، وزعماء القبائل الثابتة على الإسلام ليستعدوا لقتالهم في حال امتنعوا عن العودة، ولتحقق بعض الأهداف ككسب الوقت حتى يرجع جيش أسامة بن زيد، فكتب إلى من كان قد كتب لهم الرسول صلى الله عليه وسلم باليمن وغيرها، ليبذلوا جهودهم لدعوة الثابتين إلى الإسلام، وطلب منهم التجمع في مناطق حددها لهم حتى يأتيهم أمره العسكري، وكان هذا الترتيب بداية للخطة العسكرية القادمة^(١).

وقد نجحت هذه الخطة في تكوين قوى مسلمة مرابطة في بعض المراكز التي حددها لهم لتتضم بعد ذلك إلى الجيوش القادمة من المدينة، وبالتالي القضاء على بعض مناطق الردة ولو بمحدودية ضيقة مثل ما حصل في جنوب الجزيرة العربية.

ولما رجع جيش أسامة، خرج أبو بكر الصديق لقتال المرتدين بنفسه، فعرض عليه الصحابة أن يبعث غيره على القيادة، وأن يرجع إلى المدينة ليتولى إدارة أمور الأمة، فرجع^(٢)، وقد قسم أبو بكر الجيش العربي الإسلامي إلى أحد عشر لواء وجعل على كل لواء أميراً^(٣)، وأمر كل أمير جند باستتفار من يمر به من المسلمين التابعين من أهل القرى^(٤).

فكانت قرية (ذي القصة) مركز انطلاق وتحرك للجيوش المنظمة إلى مواطن الردة للقضاء عليها^(٥)، ومن خلال تقسيم الألوية وتحديد المواقع، يتضح أن الصديق رضي الله عنه كان

(١) الشجاع (عبد الرحمن): دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م، ص ٣١٩.

(٢) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار الفكر، ١٩٨٦م، ج ٦، ص ٣١٥.

(٣) شاكر (محمود): التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط ٤، ٢٠٠٠م، ج ٩، ص ٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ٢٤٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٥) الشجاع: دراسات في عهد النبوة، ص ٣٢١.

جغرافياً دقيقاً خبيراً بالتضاريس، والتجمعات البشرية، وخطوط مواصلات جزيرة العرب، فكانت الأخبار تأتيه بسرعة إلى مقرّ القيادة في المدينة، من خلال التواصل المستمر بينه وبين قواده^(١).

وكانت الجيوش التي بعثها متماسكة وهي إحدى إنجازات الدولة الهامة في الإدارة العسكرية، إذ جمعت تلك الجيوش بين مهارة القيادة وبراعة التنظيم، والالتزام بالانضباط، فضلاً عن الخبرة في القتال، صهرتها الأعمال العسكرية في حركة السرايا والغزوات التي تعدى بعضها شبه الجزيرة في زمن النبي عليه السلام، فقد كان الجهاز العسكري لدولة الصديق متفوقاً على كل القوى العسكرية في الجزيرة^(٢). هذا الجهاز وهذه الأداة صُنِعَت من قبل النبي (ﷺ) وتدريب رجالها على يديه لعشر سنوات وخلال معارك كثيرة وكانت هذه الأداة حسنة التسليح جيدة النظام، تحسن فنون القتال الصاعق السريع، وكان لديه قادة أكفاء وأكثرهم كفاءة خالد بن الوليد.

وقد جعله القائد العام لحروب الردة، نظراً لعبقريته في إدارة الحرب، وقد أراد الخليفة أن يحاربهم بضربات مفاجئة تقضي على شوكتهم قبل أن يجتمعوا في نصره باطلهم، وخاصة أنها كانت ما تزال متفرقة ولم تدرك مدى قوة المسلمين وقدرتهم الحربية^(٣)، فعاجلهم قبل استفحال فتنتهم ولم يترك لهم فرصة يطلون منها برؤوسهم^(٤).

وفي تاريخ التشريع الإسلامي وضع الخليفة الصديق أسس شرعية قتال المرتدين، وجاء بعده الإمام علي بن أبي طالب ليضع شرعية قتال المتمردين على الشرعية من أهل الإسلام، وعادت محاربة المرتدين بنتيجة مهمة في صالح الدولة العربية الإسلامية، حيث ضمنت موارد الدولة وثبتت فريضة من فرائض الإسلام، وأوجدت قاعدة صلبة للمجتمع، وخلصت الدولة العربية

(١) أبو خليل (شوقي): في التاريخ الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٦م، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) بيضون (إبراهيم): من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩١م، ط ٢، ص ٢٨.

(٣) شاكر: التاريخ الإسلامي، ج ٩، ص ٥١.

(٤) الواقدي: كتاب الفتوح، ص ٣١٢.

الإسلامية الناشئة من كل الشكوك التي أثّرت بعودة الرسول (ﷺ) إلى بارئه، والخوف من تصدع البنيان بغياب الباني، كما كان تثبيتاً للإسلام ومداً له إلى الأطراف التي بدا وكأنها لم تكن قد تلقت الدين كما أخذته المراكز القريبة من مكة والمدينة، أضف إلى ذلك جهزت الجزيرة العربية كقاعدة للفتوح العربية الإسلامية، لأنه لا بد من ذلك قبل أن ينطلق العرب إلى الشام والعراق ومصر، ولقد كان انتصار أبي بكر، انتصاراً لوحدة بلاد العرب دون التفكك والانفصال والعصبية القبلية ولعودة السلطة المركزية المفروضة من المدينة، فقد جمع أبو بكر الأمة العربية الإسلامية بحزمه الجاد وفهمه العميق للإسلام وتماسكه في الشدائد، لأنه يدرك أن العصبية ليست قضية مجموعة من الناس التبت عليهم الأمور، وإنما هي قضية أساسية تستوجب علاجاً حاسماً، إذ أنها تنبعث من فهم مشوّه للإسلام، ولو سكت على ذلك لجنى الإسلام جناية ستبقى آثارها إلى يوم القيامة، ولو لم يقم بتصحيح التصور الإسلامي في أذهان الناس جميعاً وبذلك أثبت للبشرية جمعاء أن الإسلام ليس مجرد شعائر وإنما هو نظام يشمل التقليل في التفسير والعمل في الواقع.

كما وقد سار التنظيم الإداري في حقبة أبي بكر الصديق على المنهج نفسه الذي كان عليه في العصر النبوي، وعلى الرغم من قصر حقبة الخلافة البكرية إلا أنها كانت حقبة حافلة بالعديد من التراتيب الإدارية الجديدة سواء بالنسبة للمجتمع أو فيما يتعلق بمهام الخليفة.

فلم يغير أبو بكر شيئاً في إدارة وسياسة حكومته، بل أصر على المضي في سياسة الرسول (ﷺ)، وبالتالي اعتمد على العمال أنفسهم الذين عينهم الرسول (ﷺ) في مختلف الجهات سواء لجباية الأموال، أو تسيير الشؤون العامة^(١).

واعتمد الخليفة أبو بكر على الشورى في اتخاذ القرارات المتعلقة بالإدارة، فعندما قرر قتال المرتدين شاور الصحابة، فمنهم من أشار عليه بقتالهم، ومنهم من أشار عليه بعدم ذلك كما سلف ذكره، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، حيث قال: (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ مُحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوا فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا،

(١) الهوني (فرج): النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام حكومة الرسول في المدينة حتى نهاية الدولة الأموية، الشركة العامة للنشر والتوزيع، بنغازي ١٩٧٦م، ص ٧٦.

وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)، لكن أبو بكر لم يتطلع لكلا الطرفين، وإنما اتخذ القرار بنفسه على أساس أنه لا مشاورة في حكم معروف وصادر عن الرسول (ﷺ) في أنه وجب قتال من فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الأحكام^(١).

وبالتالي كانت المشورة تظهر في الأمور الإدارية والتشريعية التي لا نص صريح لها في القرآن، وليست في حكم من أحكام الدين جاء فيه نص لا خلاف عليه.

وأدار الخليفة أمور دولته من حاضرة الخلافة في المدينة المنورة، في حين ترك إدارة الولايات والأمصار لولاة يعينهم من قبله، يحرصون على تنفيذ سياسته، وعلى الرغم من ذلك لم يعتمد نظاماً خاصاً، أو منهجاً معيناً في تعيين ولاته، وإنما راعى المكانة الاجتماعية، فمنهم من كان من "المسلمين الأوائل"، ومهمتهم تعليم القرآن الكريم، وتأمين الصدقات^(٢)، أما زعماء القبائل فهؤلاء بقوا قادة على قبائلهم^(٣)، وأسند لهم الإدارة في مواطنهم^(٤).

والسمة الثانية التي اعتمدها الخليفة في اختيار عماله كانت الصحة والهجرة المبكرة، والتي جاءت كنتيجة لتوحيد الجزيرة العربية على دين الإسلام، وانطلاق حركة الفتوح العربية الإسلامية، فكان لابد من تشريع مثل هذه المزية في الإمارة.

(١) الواقدي: كتاب الفتوح، ص ٥١.

(٢) ابن هشام: السيرة، ج ٤، ص ١٨٢. ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م): المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ١٢٣.

(٣) البلاذري (أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، ط ١، ج ٢، ص ١٩١. ابن الأثير: أسد الغابة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٩م، ج ١، ص ١٢٨.

(٤) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ط ٢، ص ٥٧. ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م): الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م، ط ١، ص ١١١.

لذلك أقر الخليفة أبو بكر عمال الرسول صلى الله عليه وسلم، في وظائفهم وأعمالهم نظراً لما توفر فيهم من المزايا، فترك أبو عبيدة بن الجراح على المال، وعمر بن الخطاب على القضاء وعلي أمر الفتوى في النوازل والمشكلات، كما أنه ترك أصحاب الشورى الذين اختارهم الرسول (ﷺ) إلا أنه غير البعض منهم، بسبب تعيينه لهم على الأمصار المفتوحة، أو على القضاء في الولايات الأخرى^(١).

بعد أن أخضع الخليفة أبو بكر الصديق المرتدين في شبه الجزيرة العربية^(٢)، ظهرت المناطق الإدارية التالية:

١- المدينة: وهي حاضرة الخلافة السياسية ومركز الخلفاء الراشدين^(٣).

٢- مكة: وهي الحاضرة الدينية الأولى، وقد كان يعين عليها ممثل عن الخليفة^(٤).

٣- الطائف: وقد كان يعين عليها ممثل عن الخليفة^(٥).

سار الخليفة أبو بكر على نهج سيرة الرسول (ﷺ) في التجنيد وتنظيم الجيوش: بالتطوع والندب، لكن ظهر في بعض كتبه لعماله خلال حروب الردة ما يشبه صيغ الإلزام، فقد كتب إلى عثمان

(١) كرد علي (محمد): الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٣٤م، ص ٢.
(٢) البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨م، ص ١١٩. الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج ٣، ص ٤٠٨.
(٣) ابن خياط (أبو عمرو بن الخياط الشيباني ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة، دار القلم، دمشق ١٣٩٧هـ، ط ٢، ١٣٩٧هـ، ص ١٥٤.
(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٥٣. اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، تعليق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٧٤م، ط ٤، ج ٢، ص ١٦١.
(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ٢٤١.

ابن أبي العاص على أهل الطائف أن يضرب بعثاً على كل مخالف حسب قدرته^(١)، وكتب إلى عامله على مكة: "أن اضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مقاتل، وأبعث عليهم رجلاً تأمنه، فسمى من يبعث"^(٢).

لم يُكره الخليفة أحداً على القتال والجهاد، ولم يعتمد على أهل الردة، وإنما قصر الجهاد على المهاجرين والأنصار ممن خبروا الحرب وفنونها بعد قتالهم القبائل المرتدة^(٣)، وبقي أبو بكر على موقفه طيلة خلافته، حيث قال لكل من خالد بن الوليد وعياض بن غنم عندما سيّرهما إلى العراق: "وإذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستقنحا بمتكاره.... واستنفروا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام.. ولا تغزون معكم أحد أرتد حتى أرى رأيي"^(٤).

أما إدارته فقد تراوحت ما بين المركزية واللامركزية، ولا سيما فيما يتعلق بالقرارات المصيرية على جبهات القتال إذ كانت تتم في مركز الخلافة الإداري والرئيسي في المدينة المنورة، يتوصل إليها الخليفة بعد مداورات ومشاورات مع الصحابة والمختصين، وكانت أهم القرارات المتخذة (واقعة القادسية ونهاوند)، فهاتين الواقعتين تم اتخاذ قرارهم في المدينة، حيث وضعت خطة الحرب و نقلها البريد يومياً ما بين المدينة والقادسية قبل خوض المعركة^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٢٢. العلي (صالح أحمد): القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين، مجلة دراسات تاريخية، الأردن ١٩٨٧م، مجلد ٤١، عدد ٤، ص ١٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٣) البلاذري: فتوح، ص ١١١. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٤م، ج ٢، ص ٣٠٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٦.

(٥) الصنعاني: مصنف عبد الرزاق، ج ٩، ص ٢٤٠. ابن أبي شبة (أبو بكر بن أبي شبة ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م): مصنف ابن أبي شبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الراشد، الرياض ١٤٠٩هـ، ط ١، ج ٦، ص ٥٥١.

امتلئ المسلمون معرفة ممتازة بجغرافية كل من بيزنطة والإمبراطورية الساسانية مع أوضاعها السياسية والإدارية والعسكرية والاجتماعية، وبناء على ذلك وضعت خطط الفتوحات، ومن ذلك أن الإمبراطورية الساسانية مؤلفة قبيل الفتح من أربعة أقاليم هي: العراق وفارس، وخراسان وميديا، فالقادية فتحت العراق، وجرى فتح ميديا في نهاوند، وخراسان بقيادة الأحنف بن قيس، وفتحت فارس بجرأ من قبل العلاء بن الحضرمي.

وكان أبو بكر يوزع الغنائم والفيء على مستحقيها مباشرة كما فعل رسول الله (ﷺ)، فطريقته في منتهى البساطة وعلى أساس التوزيع المتساوي بين الناس، لقد ساوى في العطاء بين السابقين في الإسلام وبين من أسلم بعد الفتح، وبين من شهد بجرأ وبين من حارب رسول الله (ﷺ) قبل إسلامه، وبين الحر والعبد والذكر والأنثى، على الرغم من اعتراض بعض الصحابة على هذه الطريقة التي تسوي بين من حارب مع الرسول (ﷺ) وبين من حاربه، وبين من دخل الإسلام قبل الهجرة وهاجر مع الرسول وبين من أسلم بعد الفتح وبعد حنين^(١).

لكن هذا الأمر الإداري الذي اتخذه الخليفة لم يكن يخلو من معترضين، إلا أن التسوية كانت مقبولة من قبل الأغلبية العظمى، لأن أغلب المقاتلين كانوا من الصحابة وأهل الأيام، ولكن اختلف الوضع بعد أن كثرت الروادف لدرجة أنه تجاوز عددهم عدد الفاتحين، مما ولد شكوى من المساواة ونقداً كبيراً لها^(٢).

أما هو فقد خصص له عطاء من بيت المال ليتفرغ لقيادة المسلمين ولينفق على نفسه وبيته، وكان قدره حوالي ستة آلاف درهم سنوياً^(٣).

لقد سار الخليفة أبي بكر على الأسس التشريعية التي وضعها الرسول (ﷺ) في الإقطاع^(١)، والتي كانت تهدف إلى تدعيم العقيدة الإسلامية وإصلاح المجتمع، واستثمار الأراضي ومكافأة العاملين

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م): الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، د.ت، ط ٢، ج ١٥، ص ١٢٠، ٢٣٤.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٧٠.

في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، لكن وجد اختلاف في تطبيق الإقطاع بين الخليفين الأولين فالخليفة أبو بكر كان مقلداً في المنح الإقطاعية، في حين توسع الخليفة عمر في منحها.

وقد أقطع أبو بكر الصديق للزبير بن العوام قطيعة، وهي أرض موات ما بين الجرف والقناة التي تأتي من الطائف، وهذا لم يكن إقطاعاً جديداً، بل كان مقطوعاً للرجل نفسه من قبل الرسول (ﷺ)^(٢).

كما اقتطع الخليفة أبو بكر قطيعة لطلحة بن عبيد الله، وأقطع أيضاً عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، وأشهد الشهود ومن بينهم عمر، لكن عندما أرادا ختمها رفض عمر القيام بذلك، ولم يشأ أبو بكر أن يجدد شيئاً رفضه عمر^(٣).

ولكن الملفت للنظر أن عمر قد رفض ختم الإقطاعات في زمن أبو بكر لكنه توسع في منحها في عهده وذلك بسبب كثرة المسلمين وكثرة أراضي الصوافي، فقد أقطع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قطيعة ينبع^(٤).

وبعد القضاء على الردة كان لابد من تنظيم وإدارة الجزيرة العربية ديموغرافياً ، فكان هدف أبو بكر من توجيه القبائل العربية من الجزيرة نحو الفتوح، هو تحقيق وحدة الجزيرة سياسياً ودينياً، من أجل المحافظة على المسلمين من الانقسامات، فوجه نظرهم نحو الخارج، وهذا ما دفعه إلى تشريع وإدارة الفتوح، لذلك رفض أي تساهل بمبادئ الإسلام، أو أن تمس سلطة الحكم المركزي في المدينة^(٥).

(١) يحيى بن آدم: الخراج، ص ٧٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢، ص ٣٠. الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م): أدب الكتاب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ، ط ١، ص ٢١١.

(٣) ابن سلام (أبو عبيد القاسم ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م): الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ص ٣٥٢.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ج ٤، ص ١٦٦.

(٥) الواقدي: كتاب الفتوح، ١٩٦.

واتجه أبو بكر إلى إرسال المسلمين لفتح العراق والشام، وبدأ يمدّهم بالإمداد تلو الآخر من جزيرة العرب، وقد خاطب الناس: "وقد رأيت أنني أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا"^(١)، فبهذا التشريع العسكري والإدارة القوية استطاع الوصول إلى روح القبائل النائرة، بعد أن حال بينها وبين الحرب والخصومات، معتمداً على رابطة الدين الإسلامي لا القبلي^(٢).

وقد ترك إجراء أبي بكر بتشجيع القبائل على الخروج من الجزيرة أثراً سلبياً عليها من الناحية الديموغرافية، فقد تناقص سكان جزيرة العرب، حتى أن العديد من الجهات اققرت، وجهات أخرى لم يبق فيها إلا الكهول والأطفال والنساء، وهذا ما دفع بعض الشعراء للحنين إلى الحقب السابقة للفتوح، عندما كانت الجزيرة تعج بالحيوية والنشاط^(٣).

الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:

عندما أحس الخليفة أبو بكر بدنو أجله، رأى أن يحفظ مؤسسة الخلافة من الشقاق، وأن يجنب الأمة الإسلامية ما تعرضت له عند انتقال الرسول (ﷺ) إلى بارئه، فجمع الصحابة وعرض عليهم تولية عمر بن الخطاب، فعمر أظهر منذ زمن الرسول (ﷺ) وفي خلافة أبي بكر، اهتماماً كبيراً بشؤون الحكم، وكان واسع النفوذ زمن خلافة أبي بكر الصديق، لدرجة أن أبا بكر الصديق أجاب بعض المحتجين على تدخل عمر في أمور الحكم قائلاً: إن عمر هو الأمير لكن الطاعة لأبي بكر الصديق.

والسؤال الذي يطرح نفسه على طريقة تولية عمر بن الخطاب، ألم يكن في ذلك مخالفة للتقاليد العربية؟ أو مخالفة لما يعرضه نظام الحكم في الإسلام؟

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٦٣.

(٢) حتى (فيليب): تاريخ العرب المطول، دار الكشف، بيروت ١٩٦٥م، ط ٤، ص ١٩٧.

(٣) محمود (عبد القادر عبد الله) وآخرون: الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٩م، ص ٢٣٧.

إن الأسلوب الذي تولى به عمر الخلافة يختلف عن الأسلوب الذي تولى فيه أبو بكر الصديق من حيث الشكل، لكنه يتفق معه من حيث المضمون، لأن الأصل أن يقترح الخليفة أو أن يرشح شخصاً يتولى الخلافة من بعده، فإن شاعوا أخذوا به، وإن شاعوا أهملوه، ويتبين رأي المسلمين بالأخذ أو الإهمال حين البيعة، فالبيعة الصحيحة هي التي تتحقق فيها شروط الحرية الكاملة التي لا أثر فيها للضغط والإكراه.

وقد كان اختيار أبي بكر لعمر مجرداً من كل غرض أو هوى شخصي إذ لم تربطه بعمر أية قرابة، وهذا ما ينفي فكرة الوراثة في الحكم، كما أنه كان من فخذ متواضع من قریش يبعد ما قد يوجهه بعضهم من اتهام بأن السیادات القرشية القديمة عادت لتتسلم مقاليد السلطة، فاخياره بسبب مؤهلاته وقدراته، وفي ذلك إبعاد لشبهات استمرار وجود التقاليد العربية قبل الإسلام كعامل في اختيار الجماعة، فدخل عمر في الإسلام كان فتحاً وسبباً في انهيار للحلف القرشي الذي كان مناوئاً لحلف الفضول.

أضف لذلك أن عمر كان في سن تسمح له الحكم مع العلم أنه ليس للسن شأن وما زال عند العرب وغير العرب في ولاية رئاسة الدولة، وعلى الرغم من كل ما ذكر، لم يستأثر أبو بكر برأيه ولم يفرض عمر فرضاً، وإنما شاور الكبار من الصحابة، ففتح بعمله هذا باب الاجتهاد، فالمبايعة جاءت على شكل توصية خاضعة لموافقة الأمة، وأبو بكر في الحقيقة لم يكن يوصي بفرد بمقدار ما كان يوصي باستمرار منصب الخلافة على النهج الذي أخذ به.

وهكذا بوصية أبي بكر يمكن القول بأن ذلك كان بداية تحول في الفكر السياسي لدى العرب، فأدى هذا التحول مع الأيام إلى القبول بفكرة الملكية الوراثية. إذ ألقى أمر ترشيح عمر للخلافة موافقة الغالبية العظمى من الصحابة، في حين أن بعضاً منهم خشوا على المسلمين من غلبة عمر وفضاظته على حد قولهم^(١).

(١) الأصبهاني (أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن موسى ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) : فضائل الخلفاء الأربعة، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ١٩٩٧م، ط ١، ص ١٦١.

فالخليفة أبو بكر أعطى للأمة الإسلامية في المدينة المنورة دوراً في تنصيب الخليفة، إذ تتم المبايعة العامة من قبلهم، وبالتالي جعل من الجزيرة مركزاً إدارياً و مقراً تشريعياً، في حين غيب دور الولايات المفتوحة وحرمتها من حقها سواء في اختيار الخليفة، أو حتى في مبايعته، وهذا الدور سوف يتم تفعيله بشكل أساسي بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وتولي الخليفة علي بن أبي طالب، فيهمش دور الجزيرة الإداري والتشريعي، في حين يعلو نجم بقية الأمصار.

فكانت مبايعة عمر بن الخطاب لأبي بكر، ومن ثم ترشيح أبو بكر لعمر بن الخطاب تطوراً كبيراً في مفهوم الإدارة والتشريع لدى المسلمين، ولكن حتى ذلك الوقت لم تكن فكرة الانتخاب قد أصبحت تنظيمياً أو مؤسسة لها تشريعاتها، وهذا ما جعلها تتخبط رهناً بالأحداث التي حصلت بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب والتي شهدتها التاريخ العربي الإسلامي فيما بعد.

بعد تولي عمر بن الخطاب للخلافة بدأ بتطوير النواحي الإدارية من خلال مجموعة من التشريعات التي تناسب ظروف وواقع الجزيرة العربية، فكانت نظريته للإدارة والتشريع أكثر شمولاً، وقد تابع الإسلام انطلاقه خارج الجزيرة، فأحتك بدول عظمى ذات أنظمة، وعراقية في القوانين والحكم والإدارة، فوضع تشريعات تتلاءم مع تعاليم الإسلام والصالح من النظم السائدة لدى الدول المغلوبة، وساعده في سلطته الدينية السياسية المطلقة مجلس شورى يضم أهل الشورى، ويعقد جلساته في مسجد الرسول (ﷺ)، ويساعدهم أعيان المدينة وزعماء الأعراب، وكان للحاضرين في المسجد إبداء الرأي، وسيشكل ذلك تقليداً معروفاً منذ أيام الرسول (ﷺ) وسيشابه تقريباً ما يسمى بالملأ في عصر ما قبل الإسلام، وهو لم يتخذ قصراً ولا حراسة بل احتفظ بالمسجد مقراً لجميع النشاطات، لأنه تميز بنظرة مستقبلية للأمور، من خلال ما قام به من الخطط العديدة التي هدف من ورائها تنمية شاملة للدولة الإسلامية لذلك يمكن وصفه بالمخطط الإداري العبقري، ففي الجزيرة العربية وخاصة في مكة والمدينة قام بتوسيع الحرم المكي في مكة، كما وسع المسجد النبوي في المدينة وفرشه بالحصى وأضاءه بالقناديل^(١).

(١) (البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٥١).

عرف عن الخليفة عمر بن الخطاب استخدامه **الشورى** كمبدأ لاتخاذ القرارات، فسار في ذلك العمل الإداري والتشريعي على سياسة الخليفة أبو بكر، وغالباً ما كانت تتم الشورى في المدينة المنورة، العاصمة الدينية والسياسية للدولة الإسلامية الفتية، فقد شاور الخليفة عمر الصحابة في خوض الحرب ضد الفرس في سواد العراق، بعد اجتماع أهل فارس مع ملكهم يزدجرد، فجاء رد الصحابة بالغزو من قبل أحد القواد، على أن يبقى أمير المؤمنين في المدينة، كما عاد وطلب مشورتهم في تحديد قائد يستطيع أداء المهمة بشكل جيد، فأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص^(١).

واتخذ الخليفة المسجد في المدينة المنورة مقراً للإدارة والتشريع، يجلس فيه بعد الصلاة للنظر في حاجات الناس، وبالتالي لم يكن حتى ذلك الوقت يوجد ديوان للحسبة أو المظالم^(٢)، وقد أدرك أن الدولة الإسلامية المتسعة باستمرار تحتاج إلى تنظيم، فقام بإنشاء الدواوين التي تشبه الوزارات في عهدنا الحالي، ومن بين تلك الدواوين ديوان الجند الذي كان يعني بشؤون الجند ورواتبهم، وديوان الخراج الذي كان ينظم جمع الأموال من أصحاب الأراضي وديوان العطاء الذي كان يهتم بشؤون توزيع الأموال على المستحقين من الناس، ورتب البريد كي يصل بصورة منتظمة إلى الأمكنة التي تريد أن يصل إليها وسيتم تفصيل ذلك فيما بعد.

وكان من واجبات الخليفة إقامة الصلاة والمداومة عليها، لأن الرعية على دين ملوكها، فقد كان الخليفة إمام الناس على الصلاة في المدينة، كما كان من مهامه الإدارية تهيئة المساجد وتوسيعها وفرشها وإضاءتها وتوظيف المؤذنين وتوفير المياه لاستعمالات المصلين^(٣).

ولما ارتدت بعض القبائل عن الإسلام بسبب منع الزكاة كان على الخليفة عمر أن يهتم بهذا الجانب، لذلك أدار الزكاة بطريقة تمكنه من صرفها في وجوها الحققة، ففي المدينة لم يُسقط الخليفة عمر سهم المؤلفة قلوبهم، وخاصة أنه عُرف بتمسكه بالقرآن والسنة وبالتالي من

(١) العمري (أكرم بن ضياء): عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٩م، ص ٣٥٨.

(٢) ابن سعد (محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٦م، ط ١، ج ٣، ص ٢١٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٤.

المستحيل أن يقوم بإسقاط نصّ قرآنيّ، إلا أنه منع إعطاء أناس كانوا يأخذونه في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعهد الصديق، فعّد أن إعطاء الشخص ليس حقاً مكتسباً بل موقوفاً بحال الشخص وحال المسلمين^(١).

أما هو فقد تلقى أجراً على أداء مهامه الإدارية والتشريعية، بعد أن بقي مدة لا بأس بها يأكل من ماله الخاص، ولم يكن يقرب مال المسلمين لولا الصحابة، حيث أشاروا عليه وعلى رأسهم علي ابن أبي طالب أن يكون أجره غداء وعشاء، فأخذ عمر بما أقره الصحابة الممثلين الشرعيين عن الأمة الإسلامية^(٢).

وقد أخذ مبلغاً صغيراً من المال يومياً وأنفق في حجه من المال العام، فقد أنفق في كل يوم درهمين له ولعِياله^(٣)، وبالتالي استطاع الخليفة أن يبقي الجهاز الإداري الوظيفي مستقراً، ورفع كفاءته، بما يتناسب مع القواعد الإسلامية الخاصة بالإدارة والتشريع والتي اعتمد فيها على العدل والتقوى والاخلاص لله، أي كان الجميع في السلك الإداري يعمل من أجل إرضاء الله وتحقيق الصالح للمسلمين .

فإذا كان الخليفة في أعلى الهرم الإداري، فقد كان يعمل تحت إمرته عدد من العمال منهم الوالي والقاضي، وكان قد اتبع سيرة الرسول (ﷺ) وسلفه أبو بكر في اختيار الولاة في بعض الأمور كالصلاح والتقوى، واشترط إضافة إلى ذلك الكفاءة والذكاء بالدرجة الأولى، أي وضع أسس وصفات يجب أن تتوفر في الشخص حتى يتم تعيينه والي ولاسيما في الجزيرة حيث ظهر

(١) محمد صقر (شحاتة): دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية، د.ت، ج ٢، ص ٤٧٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ٣٦١. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ط ١، ج ٤، ص ١٤٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص ٣٠٨.

الإسلام، فوجدها في الصحابة الأوائل، فولى على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص^(١).

ولكنه كان يسارع إلى عزلهم إذا ما لمس منهم أي تقصير^(٢)، وهدف من خلال سياسته تجديد دم الإدارة العامة، وتنشيطها، لكن لم يقم بعزل ولاية الجزيرة العربية على عكس بقية الأمصار، إذ لم ترد أي شكوى ضدهم من قبل الرعية.

وكان الخليفة عمر يختار الأفضل إدارياً وذي الكفاءة في تصريف الأمور عاملاً أو والياً، وكان الخليفة عمر يستعمل قوماً ويدع أفضل منهم لبصرهم في العمل^(٣)، أي أن الخليفة عمر لم يكن يؤكد في اختياره على السابقة في الإسلام وإنما كان ينظر إلى قدرته السياسية والإدارية ومن ثم قدرته في تصريف الأعمال، على عكس الخليفة أبو بكر الذي كان يشدد كثيراً على الأسبقية في الإسلام والابتعاد عن المرتدين.

كما كان عمر يتجنب أن يولي قرابته الولاية لأنه لم يكن يرغب في أن يحملهم على رقاب المسلمين، لذلك كان يقر على ولايته من كان متصفاً بالقدرة والخبرة والحنكة السياسية، ولا يبعث معه معاوناً في حال كان يتميز بحنكة سياسية عالية وقدرة فائقة على الإدارة واتخاذ التشريعات المناسبة في الوقت المناسب^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ٢٤١. ابن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٥٣.

(٢) محمود عبد الله (خالد)، عيد سعيد (عبد الله): عقوبات الولاية عند الخليفة عمر، مجلة تكريت، مج ١٩، العدد ٤، ص ٤٢٤.

(٣) شراب (محمد حسن): المدينة النبوية فجر الإسلام، الدار الشامية، بيروت ١٩٩٤م، ط ١، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٣٦.

ومن إجراءات الخليفة الإدارية عدم الاعتماد على الصحابة في مناصب الإمرة والولاية، مثل علي وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، حيث كان يرغب بعدم تدنيهم في العمل^(١)، ورفض لهم الانتقال إلى الأمصار، لأنه كان يرغب أن يستشيرهم في شؤون الحكم لما يملكوا من عقل راجح وحنكة في إدارة الأمور، كما أنه خاف من أن يصبحوا مصدر فتنة إذا ما تفرقوا في الأقاليم نظراً لمكانتهم وسبق جهادهم في الإسلام^(٢).

كما أخضع عمر بن الخطاب ولاته للمراقبة الشديدة والصارمة في الجزيرة وغيرها، أحياناً وهم يمارسون واجباتهم اليومية في ولاياتهم عن طريق العيون أو البعوث التي كان يبعثها لتراقب أعمالهم واستطلاع آراء الرعية فيهم، ونقلها إلى حاضرة الخلافة مباشرة، فكانوا عرضه للعزل إذا ما ظهرت منهم أية إشارة للخروج عن وصاياه، أو إذا لمس منهم أي قسوة أو عنت مع الرعية^(٣)، ويقال أنه اتخذ الدرة (عصا صغيرة) وأدب بها، حتى إن الصحابة قالوا: "لِدُرَّةِ عُمَرَ أَهْيَبُ مِنْ سَيْفِكُمْ هَذَا"^(٤).

ومن أجل توجيه الولاة وإجراء دورات تدريبية لهم اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب من الجزيرة مركز إدارياً^(٥)، من خلال دعوته لهم في موسم الحج من كل عام للاجتماع بهم، وكان هذا الاجتماع وسيلة لمناقشة أوضاع الدولة واستطلاع الآراء، ووسيلة للمراجعة والمحاسبة، ومكانا تعرض فيه شكاوي الناس تجاه ولايتهم، فقد ذكر الطبري قائلاً إنه "وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ عُمَرَ وَسِيرَتِهِ أَنْ يَأْخُذَ عُمَّالُهُ

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٨٢ - ٢٨٣. الطرطوشي (أبو الوليد الفهري ت ٥٢٠هـ/ ١٢٦م): سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر ١٨٧٢م، ص ٢٦٧.
(٢) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م): الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، ص ٢٣٧، ٢٦٠.

(٣) البيهقي (عبد الجبار الستار): التنظيم الإداري للولايات في عصر الراشدين، مجلة كلية الآداب، العدد الرابع، ص ٣٥٦.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٣٢٢.

(٥) الطنطاوي (علي)، وناجي الطنطاوي: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ط ٨، ص ١٦٧ - ١٦٨.

بِمُؤَاَفَةِ الْحَجِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ لِلْسِّيَاسَةِ، وَلِيَحْجِزَهُمْ بِذَلِكَ عَنِ الرَّعِيَّةِ، وَلِيَكُونَ لَشَكَاةِ الرعية وقتًا وَغَايَةً يُنْهَوْنَ فِيهِ إِلَيْهِ" ^(١)، وكذلك كان يقول: ((إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَبْعَثُ إِلَيْكُمْ عُمَالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلَا لِيَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنِّي أَبْعَثُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيَعْلَمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّةَ نَبِيِّكُمْ...)) ^(٢).

يتبين مما تقدم أن هذا الاجتماع كان وسيلة للحد من طغيان الولاة أو العمال على الرعية، ومن أجل التداول في شؤون المسلمين، والنظر في مظالمهم بعد أن يرفعوا إليه شكاوهم على أمرائهم ليحكم فيها، لذلك كان البعض منهم يخشى أن يُفتضح أمره أمام الناس والخليفة، ولاسيما في موسم الحج، حيث يتجمع أغلب المسلمين، وبالتالي كان هذا الإجراء الإداري رادعاً للكثير من الولاة ممن فكروا في استعباد الناس أو التسلط عليهم في أرزاقهم وأموالهم.

ومن أهم التطبيقات الإدارية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب هو التفويض فقد فوض الخليفة محمد بن مسلمة بحق التصرف مع العمال في الجزيرة من خلال محاسبتهم والتحقق معهم في قضايا إدارية وشكاوى الناس عليهم ^(٣). وفي حال خرج الخليفة من المدينة إما إلى الحج أو الشام، أو غيرها، كان يستخلف عليها مفوضا يحق له التصرف مكان الخليفة إلى أن يعود، فيقيم الصلاة، ويحكم بين الناس، وكثيراً ما كان يستخلف من ينوب عنه إماماً مثل علي بن أبي طالب ^(٤).

وعلى الرغم من التفويض لبعض الولاة في الجزيرة، إلا أنه ألزم الخليفة عمر وهو من مركز الإدارة في المدينة جميع قواده وأمرائه بمشورة أهل الرأي وعدم التفرد بقراراتهم ^(٥)، وكان يرى نفسه مسؤولاً عن الأمة الإسلامية، وعن كل شيء يخص الدولة الناشئة، وأكثر ما يوضح ذلك عندما

(١) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم بن حبه الأنصاري ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م): الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ص ١٢٨.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٢٩. البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٣٦٩.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٥، ٥٥ - ٥٦.

(٥) الطرطوشي. سراج الملوك، ص ٥١٤.

قال: "لو ماتت سخلّة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها"^(١)، وفي الوقت نفسه عبر عمر عن اللامركزية في سياسته عندما قال: "إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة، التي لا جبرية فيها ولا باللين الذي لا وهن فيه"^(٢).

وفيما يتعلق بولاته خارج الجزيرة، فقد فوّض لهم من المدينة، بأن يتخذوا القرارات المصيرية، ومن ثم يتم إعلامه بها وهو في المدينة، عن طريق البريد، وفي حال قد تأخروا عن إعلامه بما جرى لأشهر، كان هو من يقوم بإرسال من يتقصى له الأخبار، ويطلع على أسباب التأخر من أجل إخبار الخليفة، وطمأنته عن أحوال الجيوش الإسلامية في الأمصار المفتوحة^(٣).

وبالإضافة إلى العمال والولاة في الولايات التابعة للمدينة كان لابد من تعيين قاضي، وبالرغم من أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يستقضى أحداً بل كان هو نفسه قاضياً للناس، ولكن الخليفة أبو بكر استقضى عمر بن الخطاب في المدينة فقط، وعندما تسلم عمر بن الخطاب الخلافة كان أول من استقضى في الولايات الأخرى^(٤).

كما أورد ابن سعد أن الخليفة عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له الرزق^(٥)، لكن الخليفة عمر لم يجعل القضاء مستقلاً في بداية خلافته وإنما كان يباشر بنفسه هذه المهمة، إلا أن اتساع رقعة الفتوح وانشغال الولاة دفع الخليفة عمر إلى تشريع نوع من المؤسسات المستقلة للدولة، ففصل القضاء عن الولاية في بعض الأمصار.

(١) الطوسي (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ/١١١١م): أحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٥، ص ١٩٨.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة، ص ١٥٣.

(٤) الهيثمي (نور الدين ت ١٣٣٥هـ/١٤٠٥م): مجمع الزوائد، القاهرة ١٣٥٣هـ، ج ٤، ص ١٩٦.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٧٤.

وعين الخليفة عمر في المدينة يزيد بن أخت النمر قاضياً للمهاجرين^(١)، وذكر الطبري أن علي بن أبي طالب كان قاضياً في عهد عمر " وَعَلَى فِرْجِ الْكُوفَةِ وَمَا فَتَحَ مِنْ أَرْضِهَا الْمَثْنَى ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ - فِيمَا ذَكَرَ - عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ لِعُمَرَ فِي أَيَّامِهِ قَاضٍ"^(٢)، لكنه ربما لم يكن بمعنى القاضي الحقيقي، وإنما يقدم المساعدة للخليفة، وعلى الرغم من قيامه بتكليف القضاة في جزيرة العرب إلا أنه كان يقضي بنفسه، فقد ذكر الشعبي أن عمر " كان يقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم"^(٣)، وبالتالي كان عمر هو الذي يقضي بنفسه بين الناس، إلا أنه كما ذكر ابن خلدون كان أول من فصل القضاء عن الولاية، وجعلها مستقلة في بقية الأمصار^(٤)، وهذا عائد إلى كثرة المسائل والخلافات التي تتطلب الحل والتي لم يكن بإمكان الوالي أن يتفرغ لها لأنه كان منشغلاً بإدارة المعارك^(٥).

أشارت بعض المصادر إلى أن الخليفة عمر لم يقيم بتعيين قاضي على مكة في الوقت الذي كان الوالي فيها نافع بن عبد الحارث الخزاعي، وعلى الطائف وقد كان واليها سفيان بن عبد الله الثقفي^(٦)، وهذا راجع إلى أن ظروف الولاية في تلك الولايات كانت تسمح لهم بمباشرة القضاء مع السلطة التنفيذية، إذ لا يوجد أية أمور أخرى تشغلهم عن شؤون الحكم، فلا يديرون معارك ولا حروب التحرير ولم يكونوا قادة عسكريين في ولاياتهم، وخاصة أن هاتين الولايتين كانتا تابعتين إدارياً لمقر الخلافة في المدينة، كما أن بعض المسائل القضائية كانت تعرض على عمر بن الخطاب أو أحد قضاته التي تم تعيينهم في المدينة.

(١) وكيع (أبو بكر محمد بن خلف الضبي البغدادي ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) : أخبار القضاة، تحقيق:

عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٧م، ط ١، ج ٢، ص ١٩٠.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٧٩.

(٣) ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدين بن عبد ربه بن حبيب ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد،

دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ، ط ١، ج ٥، ص ٢٣.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٢٧٥.

(٥) بطاينة (محمد ضيف الله): القضاء في الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٣٢، بغداد

١٩٨٧م، ص ١٩٦.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٤١.

من كل ذلك يمكن القول إنَّ الخليفة عمر بن الخطاب نظَّم أمور القضاء الإسلامي لأنه أدرك أهمية القضاء في الإسلام، وضرورة أن يكون منظماً محكوماً بضوابط وشروط، فتعيين القضاة على الأقاليم كان وفق شروط معينة ومستقلين عن الولاة والعمال، وأجرى لهم رواتب محددة تكفيهم، ومنعهم من التجارة الخاصة حتى لا ينشغلوا عن القضاء ويتبين من ذلك رسالة أرسلها عمر بن الخطاب، إلى أبي موسى الأشعري وضع بها أسس القضاء السليمة ومبادئه، ومن بينها المساواة بين الناس والابتعاد عن الهوى وتطبيق قاعدة البينة على من أدعى واليمين على من أنكروا وغير ذلك من المبادئ التي تضمن وجود قضاء نزيه يرتضيه المسلمون في شؤون دينهم ودنياهم^(١).

أما الوظائف الإدارية الأخرى التي شرعها الخليفة عمر بن الخطاب في جزيرة العرب هي العسس، فكان عمر أول من عس في الليل^(٢)، ولم تكن موجوده على زمن الرسول (ﷺ) ولا خليفته أبي بكر، لكن هذا التنظيم الإداري كان في بدايته ولم يكن منظماً وإنما كانت بادرة فردية من الخليفة يقوم بها مع بعض الصحابة، حيث لم ترد أية إشارة في المصادر تؤكد وجود شرطة حتى عهد الخليفة عمر إلا فقط إشارة واحدة وردت عن اليعقوبي قال فيها: "إن عبد الله بن عباس كان على شرطه"^(٣)، لكن هذا ليس دليل على وجود جهاز للشرطة في عهده منظم كما أصبح عليه في العصر الأموي.

ولم يكن يوجد في جزيرة العرب سجنٌ لسجن مرتكبي الجرائم، حتى كان عهد الخليفة عمر، فابتاع داراً من صفوان بن أمية وجعلها سجناً يحبس فيها ليس خصومه وإنما مرتكبي الجرائم^(٤).

(١) ابن رجب الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد) ٧٩٥هـ/١٣٨٦م: جامع العلوم والحكمة، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، ص ٢٣٠.

(٢) أبي الفداء (عماد الدين بن اسماعيل) ٧٣٢هـ/١٣٣١م: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط ١، ج ١، ص ١٦٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ص ٢٢.

(٤) ابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن سعد بن شمس الدين) ٧٥١هـ/١٣٥٠م: الطرق الحكمية، مكتبة دار البيان، د.ت، ص ١٠٢.

لكن الذي يجول في التفكير كيف جعل الخليفة عمر سجناً في مكة ولم يوجد سجن في المدينة، وهي مركز الخلافة، ففي هذا دليل أن السجن لم يكن تنظيمياً عاماً في جزيرة العرب.

ولإدارة الجيش في الجزيرة، وإمداد الفاتحين اتجه الخليفة عمر إلى مجموعة من التشريعات والإجراءات الإدارية التي ضمنت للفاتحين سهولة في الإمداد، فكان أول عمل شرعه عمر هو السماح للمرتدين بالمشاركة في العمليات العسكرية خارج جزيرة العرب، لذلك كتب: "من ظهرت توبته من المرتدين فأدعوهم للجهاد"، فجاءوا من كل حذب وصوب وتوالت القبائل من اليمن ونجد والحجاز، من بجيلة وضبة والأزد وكنانة وعبد القيس، وانضمت إلى الجيوش في الشام والعراق^(١).

إن هذا الإجراء الإداري الذي شرّعه عمر قد وَحَدَ القبائل العربية تحت راية واحدة ومهمة واحدة هي الفتح وإعلاء كلمة الله، وكانت قد فرضته التطورات الطبيعية التي شهدتها المعارك القتالية في المناطق المفتوحة، وعلى الرغم من ذلك لم يكن هذا المد البشري كافياً لتغطية جبهات القتال، فلجأ عمر إلى إجراء آخر إداري هو ترغيب المسلمين في الجهاد، كما فعل مع بجيلة عندما وعدهم بالسواد^(٢).

ولم يعتمد الخليفة عمر بن الخطاب ولا سلفه على أشراف القبائل في قيادة جيوش الفتح، ولا سيما القبائل التي اشتركت في الردة، فلم يكن لها أي شأن، فيقول الطبري: " لا يَسْتَعِينُ أَبُو بَكْرٍ فِي الرَّدَّةِ وَلَا عَلَى الْأَعَاجِمِ بِمُرْتَدٍّ، وَاسْتَنْفَرَهُمْ عُمَرُ وَلَمْ يُؤَلِّ مِنْهُمْ أَحَدًا"^(٣)، فكان لا يؤمر منهم أحد إلا على النفر أو ما دون ذلك، فكان يؤمر صحابة الرسول (ﷺ)، فإذا لم يجد من هو كفاء، اتجه إلى تأمير التابعين بإحسان، وبالتالي كان رؤساء أهل الردة في تلك الحروب عبارة عن حشوة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٦٠-٤٦٤. فيصل (شكري): المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، بيروت ١٩٧٨م، ص ٤١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٦٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٨٩.

إلى أن ضرب الإسلام بجرانه^(١)، لأن المهاجرين كانوا هم النخبة، وخاصة أن الخلافة حتى ذلك الوقت كانت تشدد على الإخلاص في العقيدة وعلى الولاء بالدرجة الأولى.

كما وقد أعطى الخليفة عمر في الجانب العسكري للقادة حرية التصرف، ولم يبلغ شخصيتهم أمام جنودهم، فكان يضع الخطوط العريضة، في حين يترك للقائد الميداني حرية اتخاذ التفاصيل كما تقتضيه ظروف القتال^(٢)، وأكبر دليل على ذلك عندما كتب إلى أبي عبيده من المدينة "لقد وليتك جماعة المسلمين قُبْتُ سراياك في نواحي أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام، انظر برأيك ومن حضرك من المسلمين ولا يحملنك قولي هذا أن تغري عسكريك فيطمع فيك عدوك"^(٣). وبالتالي كان الخليفة عمر سياسياً محنكاً ركز السلطات بيده، مع اتباع مبدأ الشورى، وبالتالي كان صاحب الإدارة الحديدية أوقف حياته لإدارة الدولة ورفع شأن الإسلام^(٤)،

ولتنظيم وضع المقاتلة الذين انطلقوا من جزيرة العرب اتجه الخليفة إلى إنشاء ديوان خاص بالجند، ولاسيما بعد أن كثرت الفتوحات، فكان لابد من معرفة عدد المقاتلين على كافة الجبهات، وبالتالي واجه مشكلة إدارية كبيرة تتعلق بتوزيع الغنائم والجزية والخراج على المسلمين، ولاسيما أنهم كانوا مصدر الرزق الوحيد لهم، ولاسيما بعد أن منع تقسيم الأراضي المفتوحة بين المقاتلين، ومنعهم من العمل بالزراعة، خوفاً من أن يتركوا عملهم الأساسي الذي هو الجندية والاتجاه إلى الاستقرار، فتتوقف الفتوح، ويتوقف نشر الدين الإسلامي^(٥).

(١) الطبري: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣١١.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٠٧. خطاب (محمود شيت): عمر بن الخطاب، الفاروق القائد، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦م، ط ٢، ص ١٠٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٢٥. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤) (بيليبييف، ي، أ: العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة: أنيس فريحة، محمود زايد، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣م، ط ١، ص ١٨٦.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٦.

لقد أخذ الخليفة عمر هذا التنظيم من الفرس، لأنهم كانوا يدونون الدواوين ويعطون الناس عليه- أي سجلوا فيه أسماء الناس ومقادير استحقاقاتهم المادية-، لذلك اتجه الخليفة عمر إلى تدوين ديوان شبيه بديوان الفرس، فبدأ بقرابة الرسول (ﷺ) ثم الأقرب فالأقرب، وإذا تساوى الناس في القرابة اتجه الخليفة عمر إلى أهل السابقة في الإسلام، وبالتالي فضل الخليفة عمر أهل السابقة والمشاهد في الفرائض، وبالتالي اختلف مع أبي بكر الذي ساوى بين الناس في قسمة الأموال الواردة إلى بيت المال العام في الجزيرة العربية، وعندما استشاروا عمر في الأمر قال : ((لَا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ))^(١).

دَوّن الخليفة عمر ديواناً في المدينة المنورة، ومنها انطلق هذا التنظيم الإداري إلى بقية الأمصار المفتوحة. أي جعل من الجندية المصدر الرئيس للرزق للمقاتلين العرب، عندما أصدر قراراً يمنع فيه العرب من مزاوله الزراعة في الأراضي المفتوحة أو حتى في جزيرة العرب، وبالتالي جعل عمل المقاتل الوحيد هو الجهاد ونشر الإسلام^(٢)، فيكون بعمله هذا قد كون جيشاً حمى الحدود، إضافة إلى أنه أمر بالتجنيد الإجباري للشباب والقادرين وحرس الحدود بالجند، ولم يكتف بذلك فَنَظَرَ إلى الوضع الإنساني للمقاتلة، وحدد مدة التجمير -أي غياب الجنود عن زوجاتهم- أربعة أشهر كحد أقصى إضافة إلى إقامته قوات احتياطية نظامية، جمع لها ثلاثين ألف فرس وأمر قواده بموافاته بتقارير مفصلة مكتوبة بأحوال المقاتلين، أضف إلى ذلك أنه أمر الأطباء والمترجمين والقضاة والمرشدين بمرافقة الجيش، وأنشأ المخازن للأغذية للجيش، وترك للجيش خمس الغنائم وأمر أن تستأثر الدولة بالفيء الأراضي التي تركت لأصحابها نظير الإتاوة، ولقد رأى المحاربون أن يشتركوا في الفيء ولكن صوته لم يرتفع في أثناء حكمه، وبعد انتهاء حكمه تنمروا وثاروا.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٣. ابن أبي شبة: مصنف بن أبي شبة، ج ٦، ص ٤٥٢.
(٢) ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن ٢٥٧هـ/٨٧٠م): فتوح مصر، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، ط ١، ص ١٦٢. الجنحاني (الحبيب): الحياة الزراعية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين-وقائع النظم الإسلامية، مكتبة التريبة العربي لدول الخليج العربي، الرياض ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٩٨.

ورد في أحد المصادر أن الخليفة عمر قد رأى كثرة المال في أيدي بعض الناس وقتلها في أيدي مسلمين آخرين، فاقسم الخليفة عمر أنه لو كتب الله له الحياة ليساوي الناس في العطاء^(١)، فتوفي قبل أن ينفذ سياسته الإدارية هذه^(٢)، أي أراد أن يساوي فيما بينهم بعد أن أيقن أن سياسة الرسول والخليفة أبي بكر هي الأصح.

والمفيد ذكره أن الخليفة عمر وضع لكل قبيلة ديواناً، فقد كان لخزاعة ديواناً، وكان عمر ينزل في قديد وتأتيه النساء والبنات الثيب يعطينهن حقهن في أيديهن^(٣)، وكذلك كان لقبيلة حمير ديواناً، وكان الخليفة يفرض لأمرء الأجناد والقواد كلاً حسب ما يبذله من جهود سواء في الحروب أو في إدارة البلاد، فتراوحت رواتبهم ما بين تسعة آلاف وسبعة آلاف^(٤).

وعندما اتسعت أراضي الدولة العربية بعد الفتوحات الكبيرة التي أنجزها قواد المسلمين، أصبح من الضرورة سرعة الحركة بين الأمصار، وكذلك لتقديم الإمدادات السريعة^(٥)، كل ذلك جعل الخليفة عمر بن الخطاب يركز اهتمامه بالخيول واقتنائها والعناية بها، لذلك استغل كثرة الغنائم والأموال من أجل شراء الخيل لتزويد الجيش فيها عند الحاجة، فيذكر الطبري، أن عمر قد " اتخذ في كل مصر على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدّة لكون إن كان"^(٦).

(١) ابن سلام (القاسم الهروي أبو عبيد ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م): غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦هـ، ط ١، ج ٣، ص ٢٦٨.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ٥٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٥٧.

(٥) بدر (أحمد): التنظيم العسكري عند العرب المسلمين، مجلة دراسات تاريخية، دمشق ١٩٨١م، عدد ٤، ص ١٣١.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١. النجار (عبد الوهاب): الخلفاء الراشدون، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص ١٨٠.

فقد خصص الخليفة عمر حمى للخيل في جزيرة العرب، فكان يحمي النقيع^(١)، لخيل المسلمين ويحمي الربذة لإبل الصدقة، وفي اعتماده هذا الإجراء الإداري دليل على أن الخليفة عمر قد حمى الحمى لصالح الدولة^(٢)، لذلك منع أي شخص من الرعي فيها إلا إذا كانت الخيل موقوفه لصالح الجيش الإسلامي، فعندما حاول عبد الله بن أبي ربيعة رعي خيولاً بالمدينة منعه عمر ابن الخطاب فكلموه أن يأذن له قال: " لا آذنُ له، إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة فارتبط أفراساً، وكان يحمل إليها علفاً من أرض له باليمن^(٣)".

اهتم كذلك بالجمال من أجل حمل الأثاث والأحمال الخاصة بالجيش والمقاتلين، حيث كان الخليفة عمر " يُصْلِحُ أَدَاةَ الْإِبِلِ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِرَازِعِهَا وَأَقْتَابِهَا. فَإِذَا حَمَلَ الرَّجُلُ عَلَى الْبُعِيرِ جَعَلَ مَعَهُ أَدَاتَهُ"^(٤).

ومن أجل الاهتمام بعائلات المقاتلين اتجه الخليفة عمر إلى رعايتهم وتوفير حاجياتهم في حال غياب الغازي عن بيته، فقد كان يقف على الأبواب ويسأل ((ألكن حاجة وآيتكن تريد أن تشتري شيئاً؟ فيرسلن معه بحوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده. وإذا قدم الرسول ﷺ من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب أزواجهن ويقول: أزواجكن في سبيل الله وأنتن في بلدة رسول الله، إن كان عندكن من يقرأ وإلا فاقترين من الأبواب حتى أقرأ لكن. ثم يقول: الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتن حتى نبعث بكتبكن. ثم يدور عليهن بالقرطيس والدواة ويقول: هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكن. ويمر بالمغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن))^(٥).

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٣٥٥. ابن سلام: الأموال، ص ٣٥٧.

(٢) ابن سلام: الأموال، ص ٢٩٩. الدوري (عبد العزيز): في التنظيم الاقتصادي في صدر الإسلام، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت ١٩٨١م، ص ٧٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢١٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٥) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ١٣٤.

ولم يقتصر في إدارته على الاهتمام بأوضاع المقاتلين، وإنما اتجه إلى فرض العشر على الأرض في الجزيرة العربية، لتكون مصدراً للمقاتلين في رزقهم، وشجع الناس على الخروج منها من أجل الجهاد وترسيخاً للفتوح، لذلك استمرت الحياة فيها هادئة لأن الجماعات الطموحة خرجت للانضمام إلى المقاتلة في الأمصار^(١)، وبالتالي ما شرعه عمر بن الخطاب دل على سماحته، ودقته في تقدير الضريبة، كما عكست تشريعاته مدى عدالته في المعاملة والمساواة بين الناس.

كما أنه اعتمد في إدارته على الإقطاع بهدف تشجيع المجاهدين على الجهاد، وانتهج في سبيل ذلك ما يسمى بأحياء الموات للصالح العام، فتجمع المصادر أنه خرج يقطع الناس ومعه الزبير بن العوام، حتى مر بالعقيق، فقال: " أَيْنَ الْمُسْتَظْعُونَ؟ " - أي طالبوا الإقطاع -^(٢).

وعلى الرغم من اعتماده الإقطاع إلا أنه تشدد في ذلك، حيث جعل له شرطاً أساسياً وهو مرور ثلاث سنوات على أحيائه جرياً على سنة الرسول (ﷺ)، سواء كانت حيازتها بالإقطاع من ولي الأمر أو بالتحجير من غير أذن ولي الأمر، حتى أنه كان يسترجع ما عجز المقطع عن إحيائه حتى ولو كان مقطعا من الرسول (ﷺ)، وهذا ما حدث مع بلال بن الحارث المزني، حيث أجبره على ترك ما أحياه بيده، وإقطاع ما تم تحجيره لغيره من المسلمين، على الرغم من أن بلال قد تمسك بقطيعته من الرسول (ﷺ)، لكن الخليفة عمر أجبره إجباراً^(٣)، حيث قال له: ((أنظر ما قويت عليه فأمسكه، وما لم تطق وما لم تقو عليه، فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين))^(٤).

(١) محمود: الجزيرة في عصر الرسول، ج ١، ص ١٩٥.

(٢) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م): السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣ م، ط ٢، ج ٦، ص ٢٤١.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٧. يحيى بن آدم: الخراج، ص ٨٧.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٤٢٧.

يتبين مما تقدم أن الإقطاع وضعت أصوله في زمن الرسول (ﷺ)، وحتى نهاية عهد الخليفة عمر التزموا بشروط الرسول (ﷺ) في الإقطاع، فأغلب الإقطاعات في الجزيرة العربية، كانت من أجل تأليف الناس على الإسلام، سواء كان الإقطاع منح لأول مرة أو جاء إقرار على ما باليد.

ولإدارة مجتمع الجزيرة من الناحية الديموغرافية، اتبع الخليفة عمر مجموعة من التشريعات، فلم يكن يسمح للقبيلة بأن تخرج بأكملها في البعث، وإنما جعل قسماً منها في الجزيرة وقسماً آخر سيره نحو الفتح، وهؤلاء استقروا في المناطق التي فتحوها بالتدريج^(١).

ومن أجل توفير الأمن للدولة الإسلامية الناشئة وإبعاد الخطر المحدق بها رفع الخليفة عمر ومن قبله سلفه، من معنويات المسلمين ومن أجل ذلك اتخذ الخليفة قرار بإخلاء الجزيرة من اليهود والنصارى عملاً بقول الرسول (ﷺ) لا يجتمع دينان في جزيرة العرب^(٢)، فإذا كان الرسول (ﷺ) قد حض على إخراج اليهود من الجزيرة، فإن الخليفة عمر بن الخطاب هو من نفذ الأمر، حيث أجلاهم من الحجاز إلى الشام^(٣). وكان الهدف من نقل اليهود إلى الشام، هو تخفيف أذاهم عن المسلمين في الحجاز.

أما في نجران فقد كان يسكنها النصارى، ممن وفدوا على النبي (ﷺ) وكتب لهم عهداً استمروا عليه في خلافة أبي بكر، ولكنهم نقضوه في خلافة عمر فاستحقوا الجلاء، ودفع لهم عمر تعويضاً مضاعفاً عن أملاكهم وأسكنهم العراق ناحية الكوفة. لكنه اسقط عنهم الجزية، سنتين،

(١) محمود: الجزيرة، ج ١، ص ١٩٥.

(٢) الراوي (اسماعيل): تاريخ الدولة العربية، بغداد ١٩٧٦م، ص ٨٦.

C. Chahen, L'Islam des origines au I empire ottoman (Histoire Universelle 1 ((4)), paris, bosdas, 1970), p. 23.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٣٥٠. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م): تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، ط ٢، ج ١٨، ص ٨٦.

ومنع عنهم الظلم، وجاءت هذه المعاهدة في فتوح البلدان، أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به فأصابوا الربا في خلافة عمر^(١).

وبالتالي إن تعامل عمر مع أهل الذمة في جزيرة العرب كانت تنفيذاً لوصايا الرسول (ﷺ)، حيث قال: "وَأَوْصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ، أَنْ يُؤْفِيَ لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ"^(٢).

كما عمل الخليفة عمر على تحويل القبائل المنتصرة مثل كلب، الغساسنة، بني تنوخ، وتغلب إلى الإسلام، فاشتراط على بني تغلب عدم تنصير أبنائهم، مقابل التعهد بإمدادهم بالعتاء ومضاعفة الصدقة بدلاً عن دفع الجزية، وقد جاءت في رواية اسماعيل بن مهاجر أن عمر اشترط على بني تغلب "أن لا ينصروا أولادهم"^(٣)، وفي رواية أخرى أن عباده بن نعمان التغلبي أشار على عمر بن الخطاب أن يخصص عطاء لبني تغلب، حتى لا يظاهروا الروم، على العرب، فصالحهم عمر على أن لا يغمسوا أحداً من أولادهم في النصرانية، وبضاعف عليهم الصدقة وزيادة في حثهم على اعتناق الإسلام، لم يضع على أرضهم الخراج، وإنما عدها أرضاً عشوية عند اسلامهم^(٤).

وعندما فرض عمر الأرزاق في الجزيرة لم يطبق المساواة وإنما راعى السابقة إلى الإسلام، والبلاء فيه، فجعل المهاجرين والانصار ممن شهدوا بدرًا خمسة آلاف درهم، في حين أنقص العطاء تدريجياً حسب المكانة في الإسلام وحاجة المسلمين، حتى انتهى إلى ألف درهم للذين أسهموا في اليرموك والقادسية.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ٧٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١١٢.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٣، ص ٤٨٨.

(٣) ابن سلام: الأموال، ص ٣٦.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ١٣٤.

لكن تطوّر المجتمع نتيجة الفتوح، وإجراء عمر الإداري والمالي هذا أدى إلى تفاضل الناس في المكانة وهذا ما لمسّه في أواخر حياته وحاول الحد منه، وقد قال: "ولئن بقيت ليلغن الراعي بصنعاء نصيبه من الفيء"^(١).

ومع كثرة الفتوح ظهرت جماعات سكانية جديدة في مجتمع الجزيرة، بدأت منذ عهد عمر حيث أصبح أغلبهم من الموالى والأسرى والعبيد، وهذه الطوائف حملت معها عاداتها وتقاليدها ومهاراتها اليدوية والفنية، ولا سيما في المدينة المنورة عاصمة الخلافة الراشدة، التي استقطبت القسم الأكبر، فتغيرت ملامح الحياة الاجتماعية فيما بعد، وظهر التحيز الإقليمي والانتماء المذهبي^(٢).

ولكن أهم عمل إداري قام به الخليفة عمر بن الخطاب في الجزيرة، ولم يكن يوجد قبله هو تنظيم التاريخ، ففي البداية كان الخليفة عمر وقبله أبي بكر يرسلان الكتب إلى أمراء الأمصار دون تأريخ، فكتب له أبو موسى الأشعري، ((إنه تأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندري على أيها نعمل^(٣)).

واستشار الخليفة عمر بن الخطاب الصحابة في توقيت قسمة الأموال، ولاسيما أنها قد كثرت، فقال بعضهم: أكتبوا على تاريخ الروم، وقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس، فاستحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك، فأجابه عند ذلك، قال: إن لنا حسابا نسميه ماه روز، (أي حساب الأشهر والأيام)، ثم اختلفوا أيكتبون من مبعث الرسول (ﷺ)، أو من وفاته، أو من مولده، فأشار عليهم علي بن أبي طالب : يوم خرج النبي (ﷺ) من أرض الشرك، يعني يوم هاجر، فاتفقوا على

(١) المطيري(حاكم): تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٩م، ط١، ص٤٤٦

(٢) محمود: الجزيرة العربية، ص٢٣٨.

(٣) الطنطاوي وآخرون: أخبار عمر، ص٢٥٥.

أن يكون المبدأ من سنة الهجرة، ثم اختلفوا من أي شهر نبدأ السنة ، فأشار عثمان أن يكون محرم أول السنة، لأنه شهر حرام، لأن العرب قبل الإسلام يحرمون فيه القتال^(١).

ومنهم من قال بأن الذي أشار على الخليفة عمر عاملاً كان له على اليمن، قال له ((أما تؤرخون، أني رأيت باليمن شيئاً يسمونه التاريخ، يكتبون من عام كذا وشهر كذا، فقال عمر: إن هذا لحسن، فأرخوا))^(٢).

لكن السبب الأول الذي دفع عمر إلى اتخاذ تقويم ثابت يرجع بالدرجة الأولى إلى توسع الدولة وتعدد أمورها الإدارية وحاجتها إلى التشريع لحل المسائل، وبذلك احتاج إلى مخاطبة الولاة والقادة وذكر تواريخ كتبهم ، فجعل (واحد محرم من سنة ١هـ يقابله ١٥ تموز من عام ٦٢٢م)، وكان هذا بداية للتقويم الإسلامي وبداية للتأريخ الإسلامي، كما اتخذ السنة القمرية أساساً له استناداً إلى الآية الكريمة (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)^(٣).

ولقد حظي القرآن الكريم باهتمام الخليفة عمر، فأكمل ما بدأه سلفه أبو بكر بجمع القرآن في الصحف مما كان مكتوباً أيام الرسول، لتكون هذه الصحف تحت تصرف الخليفة كما قام عدد من الصحابة بجمعه أو كتابته لأنفسهم، وبعدها انتقلت هذه الصحف إلى الخليفة الثاني عمر ثم إلى ابنته حفصة، ثم قام بإرسال بعض من الصحابة من المدينة إلى مراكز الأمصار لإقراء المقاتلين، حيث أثرت اللهجات في الأداء، فقد رغب الخليفة عمر من هذا الإجراء الإداري الحفاظ على لغة قریش وإلزام الأمصار بها ، وأكمل هذه المهمة فيما بعد الخليفة عثمان بن عفان^(٤).

(١) ابن خياط: تاريخ خليفة، ج ١، ص ٥١.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١، ص ٤٥.

(٣) سورة يونس، الآية (٥).

(٤) ابن تيمية الحراني (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م): المستدرک علی مجموع فتاوی شیخ الإسلام، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ٢، ص ٢٤٩.

أما إدارة جزيرة العرب من الناحية العمرانية، فقد اتجه في البداية إلى تنظيم أماكن العبادة، من خلال توسيع المساجد، حيث وسّع المسجد الحرام، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، كما ذكر البلاذري أن عمر آخر مقام إبراهيم إلى موضوعة اليوم، وكان ملصقا بالبيت^(١).

أما مسجد الرسول فقد هدمه وبناه ووسعه كذلك، عندما كثر المسلمون بالمدينة^(٢)، كما أن الخليفة عمر أمر بوضع الحصى في أرضية المساجد لأنها كانت مغطاة بالرمل وإذا ما رفع الحاج رأسه أثناء الصلاة نفضها، فخشي أن تصبح سنة^(٣).

وأوجد عمر بن الخطاب في جزيرة العرب دار الدقيق، ولاسيما في مكة والمدينة لمكانتهما الدينية، أي دار للضيف والمنقطع، وجعل فيها السويق والتمر والزبيب والحنطة والشعير، وما يحتاج إليه الضيف^(٤). وهذه العادة كانت موجودة عند أهل مكة الذين تسلموا مهمة إطعام وسقاية الحاج إلى الكعبة قبل الإسلام.

لقد مهد الطرق، فوضع السبل في الطريق ما بين مكة والمدينة، يصلح لمن ينقطع من الماء، وله كلمة مشهورة يقول فيها: "لو عثرت بغلة في العراق لسألني عنها الله تعالى: لِمَا لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر"، وعندما جاع الناس في عام الرمادة ١٧هـ / ٦٣٨م، وفرّ لهم الطعام من مصر

(١) فتوح البلدان، ص ٥٤.

(٢) ابن إسماعيل الكاندهلوي (محمد يوسف بن محمد إلياس ت ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م): حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٩م، ط ١، ج ٢، ص ٣٣٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٢. السيوطي (جلال الدين ت ٩١١هـ / ١٥٠٦م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م، ط ١، ص ١١٠.

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١١٠. العقاد (عباس محمود): عبقرية عمر رضي الله عنه، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩٤٨م، ط ٥، ص ٤٨.

ومن الحجاز أيضاً، وذلك عندما كتب لعمر بن العاص والي مصر: " لأبعثن إليك بغيراً أولها عندك وأخرها عندي"^(١).

إضافة لذلك فقد أنشأ نظام الحسبة ، وأول من ضرب الدراهم، وأول من أخذ الزكاة على الخيل، وأول من جعل نفقة اللقيط من بيت المال، وأقرض الفائض من بيت المال للتجار .

يتضح مما سلف أن الإنجازات التنظيمية التي قام بها عمر، قد حلت مشكلة كبيرة كانت عالقة بالنسبة للمسلمين سواء المصلين أو المتوجهين للحج، وكان عادلاً في إعطاء كل ذي حق حقه من المال، كما رتب أمر مكة والمدنية من أجل تأمين حاجات المتجهين للحج أو للعمرة، أو لأغراض أخرى.

وبالتالي أظهرت إدارة عمر وتشريعه للقوانين مدى تحمله حس المسؤولية، فدّون الدواوين من أجل الحفاظ على حق المسلمين، ووسع المساجد ليحل مشكلة المصلين والحجاج وهي أساسية بالنسبة للدين الإسلامي، وعس في الليل ليعلم احتياجات الناس، وليضبط المجتمع أمنياً وأخلاقياً، فكان إدارياً بارعاً ومشروعاً فذاً، ساعده في تشريعاته جميع الصحابة، وعلى وجه الخصوص علي بن أبي طالب.

بالإجمال لقد حمّل الخليفة عمر نفسه المسؤولية ما جعله يهتم بكل صغيرة وكبيرة في أمور المسلمين، يتفقد رعيته ويدرس أمورهم، يداري أشجانهم، ويقضي حوائجهم، بما أوتي من طول أناة وفكر ثاقب وقد وطن نفسه إن أمد الله بعمره أن يجعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً يسوده الأمن والعدالة الاجتماعية، وترفرف عليه أجنحة السعادة إلا أن حياته لم تطل حتى يحقق غايته فتشده في تنفيذ الإسلام والتزامه بفكرة الدولة والقانون أدت إلى ازدياد الناقمين عليه فاغتيل من قبل أبي لؤلؤة عبد للمغيرة بن شعبة وجاءه بخنجر مسموم.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٣٦.

الفصل الثاني

الحياة الإدارية والتشريعية في العراق:

- الحياة الإدارية والتشريعية في عهد أبي بكر:
- الحياة الإدارية والتشريعية في عهد عمر:
- الإدارة العسكرية (الجيش، البريد، أثناء الفتح وبعده):
- الإدارة المالية (تنظيم الجزية والخراج والأرض ، ادارتها وما شرع بخصوصها):
- الديوان في العراق (إدارته، وما تم التشريع بخصوصه):
- إدارة سكنى القبائل المشاركة بالفتح، وسكان البلاد المفتوحة:
- الوظائف الإدارية في الجهاز الإداري في العراق:

انطلق الخلفاء بعد انتقال الرسول (ﷺ) إلى بارئه، إلى تنظيم الدولة الإسلامية الناشئة إدارياً، وذلك من خلال مجموعة من التشريعات الإدارية والعسكرية والاقتصادية، وأول عمل تشريعي شرعه الخليفة الراشدي الأول، هو متابعة الفتوح لنشر الدين الإسلامي والجهاد في سبيل الله وتحرير الإنسانية من الشرك والظلم ونقل بني البشر من عبادة الأوثان والبشر إلى عبادة الله الواحد الأحد.

فقرر بعد عدة مشاورات ومداولات مع الصحابة ومن أجل تأمين الإسلام في حدوده، الموافقة على تكليف المثنى بن حارثة الشيباني لفتح العراق، وأمره أن يتابع ما بدأه العرب من فتوح، فكان هذا الأمر الإداري أول خطوة للخليفة اتخذها في سبيل إتمام الفتح، أما الإجراء الإداري والعسكري الثاني هو قرار دعمه لخالد بن الوليد وتعيينه على القيادة العامة لجيوش الفتح^(١).

حيث كتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة: (إن فتح الله عليك، فسر إلى العراق وابدأ بالفرج حتى تلتقي عياض بن غنم). وكتب أبو بكر إلى عياض بن غنم وكان في منطقة بين النجاف والحجاز على بعض قوات حروب الردة (سر حتى تأتي المصبيخ فأبدأ بها ثم أدخل العراق حتى تلقى خالد بن الوليد)^(٢).

من خلال الرسائل التي أرسلها الخليفة أبو بكر الصديق إلى القواد تبين أنه حدد لهم مهمة واضحة، وهي فتح المدائن عاصمة الإمبراطورية الساسانية، ومعنى ذلك أن أبا بكر أصدر قراراً بإعلان الحرب ضد الإمبراطورية الساسانية إحدى أعظم دولتين في العالم في ذلك الزمن. وضع الخليفة أبو بكر للقواد الذين انتخبهم لفتح العراق خطة الحرب أو خطة فتح عاصمة الفرس حيث جعل تنفيذ هذه الخطة على مرحلتين:

١- المرحلة الأولى هي حروب الأيام، وتم خلالها فتح الحيرة وذلك بمهاجمتها من اتجاهين أيضاً: - الاتجاه الأول من الجنوب وينفذه خالد بن الوليد من جهة الأُبلة ثم التوجه شمالاً نحو الحيرة وأوصاه أن يتألف أهل فارس ومن كان في مملكتهم من الأمم. - والاتجاه الثاني من الشمال وينفذه عياض بن غنم من جهة المصبيخ.

٢- المرحلة الثانية: يقوم أحد الجيشين بمهاجمة المدائن بينما يبقى الجيش الآخر في الحيرة كقاعدة للإسناد وتأمين الحماية ومنع التدخل من قبل الفرس ضد الجيش الذي ينفذ عملية

(١) الواقدي: كتاب الردة، ص ٢١٨ - ٢٢٥. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٧، ص ٥٢٤ - ٥٨٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٦.

فتح المدائن. وبالتالي أسلوب المناورة محدد وغير متروك أمره لاجتهاد قادة الميدان إلا أنها لم تنطرق للتفاصيل المعقدة التي تترك القادة أو تحدد إبداعهم.

يتبين أن التوجه لفتح العراق لم يتخذ شكل الحرب التعرضية الصريحة التي تهدف إلى إزالة الدولة والتعامل مع الشعوب بشكل يضمن نقل العقيدة إليهم وإدخالهم في الدولة الإسلامية كمسلمين أو كرعايا ذميين.

ولإدارة جيش الفتح المتجه إلى العراق، اتخذ الخليفة أبو بكر أمراً إدارياً يقتضي بالاعتماد على محاربين عرفوا بحسن إسلامهم، ومن صفوة أبناء المجتمع الإسلامي ممن تطهرت قلوبهم وزكت نفوسهم وباعوا أرواحهم في سبيل الله وآثروا الآخرة على الدنيا، وأبلوا في حرب المرتدين، وعرفوا بالشجاعة، لذلك فقد ركز في رسالته على تسريح من لا يرغب في الذهاب قائلاً لهم: ((أن يأذن لمن شاء الرجوع وألا يستفتح بمتكاره))^(١). كما أنه منع المرتدين عن الإسلام من المشاركة في الجيش، فكتب إلى خالد: "استنفر من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله"، ونظم مسائل إمداد المجاهدين وقت الحاجة، فعندما طلب خالد بن الوليد المدد، أمده بالقعقاع بن عمرو التميمي^(٢)، وأخذ خالد بنصائح الخليفة، ونفذها بحذاقها^(٣).

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، ج ٤، ص ١٠١. ابن موسى الكلاعي (أبو الربيع سليمان بن موسى ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٧م): الاكتفاء، عالم الكتب، بيروت ١٤١٧هـ، ط ١، ج ٤، ص ١٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن ربيع ت ٨٥٢هـ / ١٤٢٢م): الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ط ١، ج ٥، ص ٣٤٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٨.

بأشرك كل من خالد بن الوليد وعياض بن غنم أداء مهمتهما بتسريح كل من يرغب في العودة إلى المدينة ولم يبق مع خالد سوى ألفين فكتب إلى أبي بكر يطلب المدد، فأرسل له بالمدد^(١)، ثم سار خالد نحو الأبله وكتب إلى حاكمها هرمز يدعوه للإسلام أو الجزية ثم حذره قائلاً (أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)^(٢).

رفض هرمز الرسالة وبدأ بتعبئة جيشه، وسار نحو الحفير، عندها مال خالد بالناس إلى كاظمة، وكانت حركة خالد تعبوية كمن يتقدم في أراضي العدو حيث قسم جيشه إلى أربعة مجموعة كمايلي:

- ١- المقدمة جعل عليها المثنى بن حارثة وأمره بالحركة قبل يومين من حركة الجسم الرئيس للجيش وكان دليله رجل يدعى ظفر.
 - ٢- المجموعة الثانية جعل عليها عدي بن حاتم الطائي، ودليله رجل يدعى مالك بن عباد.
 - ٣- المجموعة الثالثة جعل عليها عاصم بن عمرو التميمي وكان دليله رجل يدعى سالم بن نصر، وقد أمره بالحركة بعد يوم واحد من حركة المجموعة الثانية.
 - ٤- المجموعة الرابعة بأشرك قيادته بنفسه، ودليله رافع ثم واعدتهم جميعاً الالتقاء بالحفير لأنه (مكان فيه نبع ماء لبني باهلة يبعد عن البصرة أربعة أميال جنوباً)^(٣).
- فحدثت بين الطرفين معركة ذات السلاسل انتصر فيها المسلمون، وقتل من الفرس عدد كبير، وذلك بعد أن دوح خالد هرمز وانتقل به من مكان إلى آخر حتى انهك جيشه^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٦. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٨.

(٤) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٣٥.

يتبين من خلال رسالة خالد إلى هرمز ومن ثم تشكيل جيشه وتحديد مكان المعركة، أن خالد اعتمد مبدأ المفاجأة في قتاله مع الفرس، لأنه كان لا يريد أن يخوض معهم حرب مدن لأنها تحتاج إلى مدة زمنية أطول كما يؤدي إلى خسائر أكثر وجهد أكبر، وهو لا يملك لا الوقت ولا الجنود لدخول حرب المدن، فهدفه هو فتح الحيرة كمرحلة أولى، لذلك اعتمد مبدأ استفزاز هرمز لإخراجه من المدينة حتى يتمكن من فرض المكان والزمان المناسبين له ولقواته. ومن خلال الرسالة تبين أنه لعب على وتر الحرب النفسية فقد جعل من الفرس وقائدهم جيش دائم القلق والتفكير، كما أنه اعتمد التضليل والخداع حول المكان المحتمل للمواجهة وجعله في حركة دائمة وقلق مستمر فأربكه وأفقده ثقته بنفسه.

بعدها اعتمد خالد بن الوليد أسلوب المطاردة في إدارة حرب العراق وذلك بعد انتصاره على هرمز حيث اتجه إلى منطقة المذار على نهر دجلة، وأمر المثنى بن حارثة بمطاردة قوات الفرس وإدامة التماس فلوله، وهذا القرار لم يكن خروج عن الإدارة العليا في المدينة وإنما كانت تنوياً لانتصاره في معركة كاظمة^(١).

لقد كانت معركة المذار ضرورية من الناحية الأمنية للقوات العربية الإسلامية في هذه المنطقة القريبة من شط العرب، والتي تشكل تهديداً خطيراً ضد أية قوات إسلامية تتوغل شمالاً على نهر الفرات، وكان ملتزماً أشد الالتزام بمهمته المحددة في فتح الحيرة كمرحلة أولى لاحتلال المدائن عاصمة الفرس وما تتطلب خطة فتحها اثناء حركة القوات العسكرية إليها من الاحتياطات الأمنية اللازمة.

ومن أجل ذلك بدأ خالد بوضع حامية في كل منطقة يفتحها من أجل حمايتها، كما تقوم بتمرير المعلومات له عن أي تحشدات أو تحركات معادية في المناطق القريبة من الخطوط الخلفية التي تعمل عليها القوات العربية الإسلامية^(٢).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٥٠.

(٢) صالح (محمد قاسم): العسكرية الإسلامية في العصر الراشدي، مكتبة المهتدين، السعودية ١٩٨٩م، ط ١ ص ٥٤.

وبالتالي اعتمد خالد في إدارته العسكرية مبدأ أمن القوات من خلال المعلومات التي تزوده بها قواته الموجودة في المناطق الخلفية، كما أنه حرص أثناء تنفيذ خطته على تحقيق المفاجأة مع عدوه في الخطوط الأمامية التي يتقدم عليها قواته، معتمداً في ذلك على مبدأ الاستطلاع، لذلك أرسل المثنى بن حارثة الشيباني على رأس قوة من حرس المقدمة وحركه قبل الجيش الرئيس بيومين على الأقل وطلب منه أن يزوده بالمعلومات اللازمة عن قوات العدو وتحركاته في المناطق التي سيتوجه إليها^(١).

أدرك الخليفة أبو بكر وكذلك الأمر خالد بن الوليد أن التوغل في عمق الأراضي الفارسية سيجعل من الفرس والقبائل العربية الموالية لهم والتي تقيم في السواد بين النهرين خطراً على الجيش العربي الإسلامي، فيصبح بين فكي كماشة يمثل طرفها نهرا دجلة والفرات ويكون خالد بن الوليد تقدم على هذا المقترِب، كما أدخل نفسه بين فكي الأسد الفارسي، وليس من سبيل بعد ذلك إلا أن يهزمه ويقضي عليه^(٢).

لذلك كان من مصلحة الجيش العربي الإسلامي أن يقاتل مستنداً إلى الصحراء والتي كانت الحيرة تشكل أقرب وأخطر فيها بحيث يتمكن المسلمون من خلالها مهاجمة المدائن حاضرة الإمبراطورية الفارسية وهم مطمئنون أنهم إذا لم يستطيعوا فتحها فأنهم يستطيعون العودة بسرعة للاحتماء بالصحراء العربية التي لا يستطيع الفرس مقاتلتهم ولهذا كانت الحيرة تشكل هدف المرحلة الأولى بالنسبة للمسلمين، وبالتالي رسم الخليفة أبو بكر الهدف الاستراتيجي الحاسم وحدد المهمة لقواته فقد سعى إلى تضليل العدو عن قصده الذي دفع بهذه القوات إليه ولذلك أصدر أوامره إلى خالد وعياض أن يقوموا على الفور بمهاجمة العراق من جنوبه وشماله في آن واحد، فبدأ خالد بالأبلة وبيدأ عياض بالمصيخ، كما سلف الذكر.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) الصالح: العسكرية الإسلامية، ص ٥٥.

أراد الخليفة أن يضلل العدو عن معرفة المقصد الرئيس للقوات، وأن يشتت العدو بين الشمال والجنوب، وبالتالي يدمر الجزء الأكبر من قواته قبل المعركة الفاصلة بحيث لا يتمكن بعدها من القيام بحشد أية قوات مرة أخرى.

عندما وصل خالد إلى المذار كان عليه أن يعود مسرعاً إلى الأبلّة حتى لا يقع بين فكي كمشة الفرس من جهة والقبائل العربية الموالية للفرس من جهة ثانية، لذلك ترك سويد بن مقر في منطقة الحفير وأمره بالحذر وقلة الغفلة وترك الغرور ثم خرج سائراً في جنوده نحو الولجة لمواجهة الجيش الفارسي^(١).

وبعد أن وصلت الأخبار والمعلومات من المثني بن حارثة بتحركات الجيش الفارسي وما وصله من تعزيزات بدأ خالد بوضع خطته الحربية لينصب كمين لعدوه في الولجة، حيث أخذ بالاعتبار عاملين اثنين هما: أولاً أن يكسب عامل الوقت فيخوض معركة الولجة مع جيش الفرس على انفراد وذلك قبل وصل الامدادات، وثانياً أن يضع جيش الفرس بين فكي كمشة وذلك من خلال كمين منظم ينصبه لعدوه على التلال المحيطة به من الخلف ويكون هذا الكمين بمثابة احتياط قوي مرن مؤلف من الفرسان وقادر على الحركة في الوقت والاتجاه المناسب ولذلك فقد قسمه إلى قسمين الأول بقيادة بسر بن أبي رهم والثاني بقيادة سعيد بن مره العجلي^(٢).

دارت معركة بين الطرفين، انتهت بإنهك الجيش الفارسي، هذا أولاً ثم الإطباق عليه من قبل بسر وسعيد بأمر من خالد بن الوليد، ففر قائد الفرس هارباً بعد أن أدرك أن النصر حليف المسلمين^(٣).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٥١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٥١. محمود السامرائي (عبد الجبار): معارك خالد

بن الوليد ضد الفرس، الدار العربية للموسوعات، بيروت د.ت، ص ٦٦.

(٣) كمال (أحمد عادل): الطريق إلى المدائن، دار النفائس بيروت، ص ٢٣٠. الصالح: العسكرية الإسلامية، ص ٥٨.

حاول الفرس بعد ذلك استمالة القبائل العربية بعد أن قتل لهم اثنان من ابنائهم في معركة الولجة، وهما (جابر بن بجير ، وعبد الأسد العجلي)، لذلك قرر زعيما القبيلتين مساندة الفرس، وقد وصلت الأخبار لخالد بن الوليد عن تجمع العرب النصارى في أليس فنهض لهم^(١).

وقد رأي خالد أن يفاجئهم في غدائهم ودارت معركة حامية الوطيس أبلى فيها الفرس والعرب الموالون لهم بلاء شديداً فنذر خالد (لئن مكنه الله من أعدائه فإنه سيجري النهر بدمائهم)، وقد حقق الله له ما أراد، فبر بنذره. وعرفت تلك الوقعة بوقعة أليس أو وقعة نهر الدم^(٢).

كان لهذه المعركة أهمية كبيرة إذ تابع خالد تقدمه نحو أمغيشيا ولم يجد بها أحد حيث رحل أهلها طالبين النجاة بأنفسهم ثم واصل تقدمه إلى الحيرة فدخلها وصالح أهلها^(٣).

لكن الجيش الإسلامي بعد فتح الحيرة كان عليه التوجه إلى المدائن إلا أن جيش عياض لم يصل، وبالتالي كان من المستحيل أن يتابع خالد خطة أبي بكر الصديق الحربية بالتوجه نحو المدائن، لأنه لن يستطيع وضعها بين فكي الكماشة الإسلامية التي يمثل فكها السفلي الجيش القادم من أسفل العراق بقيادة خالد بينما يمثل فكها العلوي الجيش القادم من أعلى العراق بقيادة عياض بن غنم^(٤).

والحيرة حسب خطة أبي بكر ستكون هي نقطة الارتكاز والإسناد خلال تنفيذ المرحلة الثانية، لذلك اتخذ خالد قراراً بالتوجه إلى عياض وانجاز المهمة، فوجه المثنى في مهمة استطلاعية ليشكل قاعدة متقدمة باتجاه المدائن شرقاً وترك الزبرقان بن بدر نائبه في الحيرة ثم توجه نحو

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٤١، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م، ط ٢، ج ١، ص ٣٢٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣٤٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٤) الصالح: العسكرية الإسلامية، ص ٦٤.

الأنبار غرباً إلى عين التمر ففتحها ثم توجه إلى عياض في دومة الجندل ففتحها وصالح أهلها^(١).

وبالتالي يتبين أن خطة خالد في إدارة الحرب وإنجاز المهام تقوم على مبدأ اتباع الطريق ذي الخط المستقيم نحو الهدف لأنها تكون دائماً أقصر الطرق المؤدية لتنفيذه.

لم ينتظر خالد ورود تعليمات جديدة من الخليفة إذ أن تعليماته واضحة منذ البداية، فمن يصل إلى الحيرة أولاً يكون قائد الجيش المتجه لفتح المدائن بينما يبقى الجيش الآخر في الحيرة لحماية هر الجيش المنفذ للخطة، لذلك أرسل خالد نحو المدائن المثنى بن حارثة في مهمة استطلاعية كما سلف ذكره، قبل أن يتوجه لنجدة عياض بن غنم في دومة الجندل ومعنى ذلك أن خالد كان مصمماً على تنفيذ المرحلة الثانية من خطة الخليفة أبو بكر. ولكن وفي هذه الأثناء التي كان خالد يتجهز فيها لتنفيذ المهمة وصلته رسالة فورية من الخليفة أبي بكر تأمره بمغادرة أرض العراق إلى الشام فوراً وبدون تأخير لتسلم قيادة الجيوش الإسلامية فيها لأن الموقف في بلاد الشام يتطلب ذلك^(٢).

بعد رحيل خالد حدثت معركة الجسر، إذ استطاع المثنى بن حارثة الشيباني أن يصنع ما صنعه خالد بن الوليد في معركة مؤته (حيث استطاع أن يضمن انسحاب أربعة آلاف من جيش المسلمين بعد أن تأكد أنه يخوض بهم معركة خاسرة)^(٣).

والمثنى نفسه كان متديراً على يد قائده فقد برهن ذلك في معركة البويب حيث فعل ما فعله، فبعد مضي أشهر على معركة الجسر استعاد زمام المبادرة ورفع معنويات جنوده وحطم معنويات أعدائه بعد أن كانت قد ارتفعت في معركة الجسر^(١).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ج ٣، ص ٣٧٦. ابن حبيش (أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م): الغزوات، تحقيق: الاستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، لبنان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ط ١، ج ٢، ص ٤٣٥ - ٤٣٦، ٤٤١.

(٢) ابن حبيش: غزوات، ج ٢، ٤٤٣. الصالح: العسكرية الإسلامية، ص ٦٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٢.

توفي الخليفة أبو بكر الصديق والذي كان يشكل نموذجاً للقيادة الديمقراطية التي تترك مجالاً كافياً للقيادة الميدانية للتصرف والعمل بمطلق الحرية والصلاحيات دونما تدخل.

كان الخليفة أبو بكر قد أدرك منذ بداية الفتوح أن العراق سيكون ركيزة مادية أساسية لتقوية الدولة العربية الإسلامية من خلال وجود مساحات زراعية واسعة تتميز بالخصوبة عرفت بالسواد، لذلك شرع أمر إدارياً وعسكرياً رغب من خلاله الحفاظ على هذا المورد المادي والبشري، فأمر قواده عندما سيرهم بأن لا ينالوا العرب الفلاحين بسوء، ولا يقتلوا أحداً منهم، ولا يأسروا، ولا يسيئوا إليهم في أمر يتصل بهم فهم عرب، ويجب أن يعيهم العدل^(١). فهذا الإجراء الذي اتخذه يدل على بعد نظر وسياسة حكيمة، إذ أن المعاملة الحسنة هي أساس النصر وهذا ما طبقه قواد الفتوح.

فقد طبق خالد توجيهات الخليفة الإدارية في المجالات كافة، فعندما فتح خالد بن الوليد الحيرة ١٢هـ/٦٣٣م، بدأ بتنظيم أمورها بعد مشورة الخليفة، فاستعرض العدو، وبعث بخمس الفيء إلى المدينة، والسبي إلى أبي بكر، فلم يملك أبو بكر أن صاح: «عجزت النساء أن يلدن مثل خالد»^(٢).

كتب خالد بن الوليد الصلح، فوضع الجزية، التي بلغت تسعين ألف ومائة ألف درهم، وكتب بينه وبين نقبائهم كتاباً عاهدوا فيه برضا أهل الحيرة وأمرائهم على هذه الجزية، تدفع كل سنة مقابل حمايتهم والدفاع عنهم ضد أي خطر، ولكن في حال خالفوا هذا الصلح وغدروا به فلا ذمة لهم عنده. ثم جعل الحيرة قاعدة عسكرية يدير منها عمليات الفتوح^(٣).

(١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مج ٢، ص ٨٩-٩١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٥٠.

(٣) الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م): الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ، ط ٢، ج ٧، ص ٤٥٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٤٠. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٣-٣٤٧.

ثم ترك إدارة الحيرة بيد الزعماء من أبنائها بعد أن نظم أمورها المالية، وبالتالي أخذ برأي الخليفة أبي بكر، فترك الفلاحين على أرضهم ولم يتعرض لهم، وترك لأهل البلاد المفتوحة إدارة مناطقهم، ورفع عنهم ما كان نازلاً بهم من ظلم الدهاقين، وحفظ للجميع حقوقهم، الأمر الذي جعل هؤلاء يطمنون إلى حكمه، ففكروا في مصالحته والانطواء تحت لوائه^(١).

أي أن خالد بن الوليد بأمر الخليفة ترك لأهل البلاد المفتوحة في العراق مهمة إدارة مناطقهم، في حين احتفظت الدولة بسياستها وتوجيه شؤونها العامة، ولم يكن ذلك تنظيماً للحكم، وإنما ضرورة اقتضتها الظروف في تلك الحقبة، بسبب وجود الخطر الفارسي بالقرب من تلك المنطقة، فكان الأمر فيه للقيادة العسكرية^(٢). وقد اتخذ من الحيرة مقراً لقيادته العليا ومركزاً رئيسياً تتلقى من جيوش الإسلام أوامر الهجوم والدفاع والأمراء والنظم وجعلها قاعدة عامة للتدبير والسياسة التي يقوم عليها تنظيم ما وقع في يد المسلمين، ثم أناه أمر أبي بكر بالتحول إلى بلاد الشام.

وعندما توجه خالد بن الوليد إلى الشام لمساندة جيوش الفتح هناك ضد البيزنطيين، تسلم المثنى بن حارثة إدارة فتح العراق، فاستشار المثنى أبو بكر أن يسمح له الاستعانة بالمرتدين، حيث تأمل أن يغير الخليفة رأيه بهذا الأمر، فحاول اقناعه أن المرتدين هم الأصلح في حرب الفرس بسبب طمعهم في الغنائم والأموال^(٣).

ولكن عندما تأخر أبو بكر بالرد، اتجه المثنى إلى حاضرة الخلافة في المدينة لمقابلته والدفاع عن رأيه، وعلى الرغم من أن الخليفة كان على فراش الموت إلا أنه استمع له واقتنع برأيه

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٤٠. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٣ - ٣٤٧، ص ٣٥٧.

(٢) الطنطاوي (علي): أبو بكر الصديق، دار المنارة، جدة ١٩٨٦م، ط ٣، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م): فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ط ١، ج ١، ص ٢٢.

وأوصى عمر بالقيام بهذا الإجراء الذي وحد صفوف المسلمين ووسع رقعة الفتوح^(١). وسيتم معرفة ذلك في موضعه.

لقد شكلت كل من خمس الغنائم وصدقات المسلمين وجزية أهل الذمة أساس بيت المال في العراق، فكانت الأساس التي اعتمدته سلطة الخلافة في توزيع أرازي العمال، وتجهيز الفاتحين، ورزق منها أيضا الفقراء والمحتاجين^(٢).

فقد كانت أرازي الجند تصرف مباشرة من الغنائم التي يغنمونها أثناء المعارك، فكان القائد هو من ينفل لهم كلا حسب ما أبلى في المعركة، وبالتالي لم تكن تكلف بيت المال الكثير، ولا سيما أن العراق بلد غني بمصادر الرزق، وكثيراً ما كانت الغنائم والأسلاب تغري المتخلفين عن الجهاد، وهذا ما قام به خالد بن الوليد عندما وجهه أبو بكر نحو العراق وافتتح ما دون فارس^(٣).

وبما أن الجيش لم يكن جيشاً منظماً، وإنما كانت القبائل تخرج للقتال إذا ما نودي للقتال، فكانوا يخرجون بنسائهم وأطفالهم، ومعهم أكلهم وشربهم وأكل دوابهم^(٤). فقد كانوا يطبقون شرع الله في اقتسام الغنائم، يأخذون أربعة أخماس حين الحرب، ويرسل الخمس إلى الخليفة ليرده إلى بيت المال، وكان الخليفة أبو بكر حريصاً أن يوزع الغنائم على كل ذي حق، وكان مركز بيت المال في بيته بالسنة، فلما انتقل إلى المدينة نقله معه، ولم يجعل عليه حراس ولا خزنة، لأنه كان لا يخشى عدوان^(٥).

أما العطاء فقد وزع الخليفة أبو بكر على المقاتلين في العراق بالتساوي، فلم يميز بين واحد وآخر، وقد سوغ هذا التشريع الإداري بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفاضل بين الناس بالعطاء؛ لأنه أعلم بوجوه المصلحة، وأجر العطاء مردود إليه يصنع فيه ما يشاء، وبالتالي كانت

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤١٤. الكاندهلوي: حياة الصحابة، ج ٢، ص ٢٦.

(٢) النجار: الخلفاء الراشدون، ص ١٠٨.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٥٨-١٦١. النجار: الخلفاء الراشدون، ص ١٠٨.

(٤) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٥١.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ١٥٨.

حكومة أبي بكر عربية صرفة لم تتأثر بنظم الفرس ولا الروم، وكانت تعتمد منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الإدارة والتشريع، فأخذوا عنه الاجتهاد، وخاصة في إدارة أحوال المسلمين، واستطاع الخليفة مع قواده فتح بعض مناطق العراق، ثم مهد بقراراته لحكومة عربية موحدة، قائمة على الشورى، في حدود الله وما نهى عنه، لم يتزمت في أمر ولم يفرط، فاعتمد على القرآن والسنة^(١).

لكن الخليفة أبو بكر توفي قبل أن يتمكن من إتمام فتح العراق وتنظيم البلاد إدارياً وكل ما قام به من إجراءات إدارية وتشريعية متبعاً فيها خطى الرسول صلى الله عليه وسلم، فعندما توفي ترك للخليفة عمر بن الخطاب أمر التطوير والتغيير، بعد أن قدم له مجموعة من النصائح الإدارية والعسكرية بخصوص الأخطاء التي وقع فيها من جراء سياسته الإدارية، والتي كان يرغب أن يتفادها، لكن المنية وافته قبل ذلك^(٢).

الحياة الإدارية والتشريعية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب:

عندما تولى الخليفة عمر (رضي الله عنه) الخلافة عمل في البداية بمخططات أبي بكر دون أن يجري أية تغييرات جذرية عليها، ولكنه ما لبث أن اعتمد على المرتدين عندما تخرج الموقف، لكن إدارته العسكرية في هذا المجال كانت تدريجية وحذرة، ففي البداية اعتمد على نخبة صغيرة محاربة من الأنصار، واقنع بجيلة الاستقرار بالعراق ثم اتجه نحو المرتدين بحذر، بعد أن تماسكت جبهة الفرس وقويت سلطتها، فكان لابد من تكثيف عدد الجنود للحفاظ على ما فتحوه وهذا ما سيتم توضيحه فيما بعد.

الإدارة العسكرية (إدارة الجيش أثناء الفتح وبعده):

(١) الطنطاوي: أبو بكر، ص ١٤٩. ديوان خليفة رسول الله أبي بكر الصديق، تحقيق: عمر الطباع، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٠٨ - ١١٤.

(٢) الصلابي (علي محمد): الانشراحُ وَرَفْعُ الضِّيقِ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ شَخْصِيَّتِهِ وَعَصْرِهِ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٣٣٥.

كان أول عمل قام به عمر بن الخطاب أن أرسل جيشاً إلى الحيرة بقيادة أبي عبيده بن مسعود الثقفي وأمره أن يجند في طريقه أكبر عدد من أبناء القبائل بصرف النظر عن نشاطاتهم خلال حروب الردة^(١)، لقد كان هذا القرار خطيراً جداً، يستتبع تغييرات عميقة في شبه الجزيرة العربية، لقد كان خطوة لها الأثر الأكبر في توحيد العرب، حيث أن أي فرد لن يستثنى بعد الآن من الاشتراك بنشاطات الأمة الإسلامية عامة وسواء أكان أفراد هذه الأمة من أهل القرى، أو من البدو الرحل فإن لهم جميعاً مصلحة مشتركة وحصصاً متعادلة من مكاسب نظام المدينة، وبقرار واحد بسيط عفا عن الاثنين، وأفسح المجال أمام طاقاتهم المكبوتة، وبذلك أعاد توطيد التضامن الإسلامي بين جميع المسلمين بعد أن كان محصوراً بصورة مؤقتة بأقلية منهم، وبذلك اتسع نظام المدينة ليشمل العرب جميعاً، ولولا هذا القرار لما كانت هناك دولة عربية كبرى، ومن استقراء المصادر يتبين أنها تخلو من أدنى اعتراض على هذه السياسة الجديدة بدليل أنها حظيت بموافقة جميع المعنيين إن لم يكن بدعهم التام الصادق، فخاض أبو عبيده معركة ضد جيوش الفرس سميت بموقعة الجسر سنة ١٣هـ / ٦٣٤م، استشهد فيها^(٢).

عندما تعرض جيش المسلمين إلى هزيمة على الرغم من جهد المثني التنظيمي والتزامه بنصائح السلطة في المدينة لأن الفرس استخدموا الفيلة في الحرب لأول مرة والمسلمون لم يكن لهم دراية بمواجهتهم في الحروب، فكانت المفاجأة إضافة إلى الخطأ الذي ارتكبه أبو عبيدة بعبور الجسر ولم يأخذ بنصيحة القادة الآخرين^(٣)، إلا أن الخليفة عمر قرر متابعة الفتوح، لأنه كان يدرك تمام الإدراك أن هذه الهزيمة لم تدل على ضعف أو هشاشة في هيكله الإداري التنظيمي، ولا إلى تقاعس الجند الإسلامي، ولا إلى عدم الالتزام بتوجيهاته الإدارية العسكرية^(٤).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٥٨. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٢-٢٥٣.

ابن حبيش: الغزوات، ج ٢، ص ٤٩٣.

(٣) أول ديورانت (ويليام جيمس ديورانت ت ١٩٨١ م): قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨ م، ج ١٢، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٤٧-٢٤٨.

وعلى الرغم من الهزيمة اتجه الخليفة عمر إلى متابعة توطيد أركان دولته الناشئة من الناحية الإدارية والتشريعية، فاتجه إلى إجراء تشريع إداري عسكري غاية في الأهمية، وهذا التشريع كان حداً فاصلاً بين إدارته وإدارة أبو بكر، إذ خالف تماماً إدارة سلفه في تجنيد المجاهدين، فلم تعد دائرة التجنيد محصورة بمجاهدي المدينة، والعرب المخلصين للقيادة، بل شملت القبائل والعشائر داخل الجزيرة العربية، حيث كانت تجري عادة حسب نظام التطوع وبمساعدة شيوخ العشائر، ولم يتم استنفار العناصر المرتدة، لذلك اتجه الخليفة عمر إلى استنفارها وشجعها على الهجرة إلى العراق^(١).

وبالتالي توسعت الإدارة العسكرية في حكومته، لأنها لم تعد قادرة على توجيه فرق صغيرة من دولة المدينة، فاتجهت إلى المرتدين من القبائل العربية، وكان هدفها الاستفادة من الأطر البشرية والسياسية والعسكرية لنصرة الإسلام.

وبالفعل بدأ الخليفة بالاعتماد على قبيلة بجيلة اليمانية، التي تشتت بسبب حروب الردة، ونجح في ذلك بسبب تبادل المصالح بينه وبين زعيمها جرير بن عبد الله البجلي، الذي رغب في إعادة مكانة قبيلته القوية، في حين أن الخليفة عمر كان يريد الحصول على مهاجرين ومحاربين أوفياء للقيام بمهمة الفتح في العراق، بالرغم من ذلك رفض جرير لأنه كان يرغب بوجهة الشام إلا أن عمر وبإدارته الفذة استطاع اقناعه من خلال إغرائه بربع الخمس من الغنيمة، وربع البلدان المفتوحة^(٢).

على الرغم من قوة الخليفة وما عرف عنه بشدته على الولاة، فإنه منح المثنى نوعاً من الاستقلال عن سلطة المدينة، لذلك سارع المثنى إلى دمج عناصر من عبد القيس، والنمر في جيشه الخاص والقبلي، أما باقي القبائل التي شاركت في قتال الفرس فهي من كنانة، وضبة،

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٤٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٦٠ - ٤٦٤.

والرباب وبني سعد، فقد حثتهم السلطة المركزية بالمدينة على التنقل وخاصة أنهم تورطوا في حروب الردة^(١).

اعتمد الخليفة عمر قبل معركة القادسية على سعد بن أبي وقاص فولاه وأوصاه بجمع الجباية الشرعية، وأن يقسم الغنائم بين المقاتلين وكذلك الفيء، ثم أمره بترك الأرض دون قسمة، وهو، والملاحظ أن سعد ينتمي إلى هوازن وهذه القبيلة بالذات كانت من أكبر القبائل المرتدة^(٢)، فقد رغب الخليفة من هذا الإجراء أن يستفيد من الطاقة البشرية المتحمسة، وبالتالي يرغبهم في التمسك بدينهم من خلال ما يقدم لهم من عطايا وغنائم، وهذا ما سيؤدي إلى توسيع رقعة الفتوح، وبالتالي نشر الإسلام على رقعة أوسع في تلك المنطقة.

و على الرغم من أنه لم يضع في البداية أي تشريع يسمح لقواد القبائل المرتدة أن يتولوا القيادة في معارك التحرير لأنه كان لا يثق بهم، فقد خرجوا إلى الجهاد بصفتهم جنود في صفوف الجيش العربي الإسلامي، ومن هؤلاء الاشعث بن قيس، وعمر بن معد يكرب^(٣)، إلا أنه ما لبث فيما بعد أن سمح لقواد الأعشار ومن ثم الأسباع، أن يكونوا أمراء تعبئة على الميمنة والميسرة و القلب و المشاة و الفرسان، لإسلامهم، فمثلا فضل شرحبيل بن السمط الكندي على الاشعث من قبيلة كندة الذي كان أكثر شرفا منه لكنه ارتد عن الإسلام أيام الردة^(٤).

أما الأسس الإدارية التي اعتمدها الخليفة وقواده في العراق من أجل تنظيم الجيش بعد جمع المقاتلين أثناء الفتوح، ووصولهم إلى أرض المعارك، فقد أقاموا خطة إدارية عسكرية في تنظيم القبائل المشاركة في فتح العراق^(٥). فتكون من قسمين : القلب وهو من المشاة، والجناحين حيث

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٢. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٠٦، ص ١٣٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٤٥، ص ٥٣.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٠ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ١٩.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٢٦.

الفرسان وهناك فريق من الرماة وكان هذا في معركة أحد، فالرسول أوجد نظاماً قائماً على التفكير، لا كما فعل من جاء بعده بأن نظموا الجيش على أساس قبلي^(١).

المهم كان الخليفة عمر يتابع مواقف الجيوش في كل الجبهات بكل اهتمام واحساس بالمسؤولية وفهم عميق وتقدير سليم للقوى التي ينازلها المسلمون، فرأى أن جبهة الفرس تستحق الاهتمام خاصة بعد أن وصلته تقارير المثني عن وضع المسلمين في العراق، فعزم على قيادة الجبهة بنفسه، لكن الصحابة لم يوافقوا على رأيه قائلين: "إن من الافضل له وللمسلمين أن يبقى في المدينة يدير أمور الدولة، ويشرف على تجهيز الجيوش ويختار لقيادة الحرب ضد الفرس قائداً محنكاً"، ففضل نصيحتهم وأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص، فاستدعاه على الفور وأمره على جيش كبير عدته أربعة آلاف مقاتل، وأتبعه بمثلها وأعطاه عهداً شرح له فيه خطة القتال وأسلوب العمل وغير ذلك من الأمور ووجهه إلى القادسية، وفي القادسية جمع سعد إليه جيش المثني وكانت عدته ثمانية آلاف وعبأ الجيش تعبئة جديدة فجعل على كل عشرة عريفاً وجعل في الرايات رجالاً من أجل السياسة ورتب المقدمة والساقة والطلائع والمجنبات، فأوجد سعد الرجال وصفاً الرماة، وصفاً للخيول أمام الرجالة، وميمنة وميسرة، فبدت القبائل وكأنها وحدات قائمة بذاتها^(٢).

وكتب إلى الخليفة يخبره بما فعل، فرد عليه حاضاً على الصبر والبلاء في القتال^(٣)، وبالتالي إذا كان الخليفة أبو بكر يمثل النموذج الديمقراطي فإن الخليفة عمر اختلف عنه بشكل كلي، فكان لا يصلح أن يترك المثني على قيادة العراق، لذلك عندما جاء يزف له بشرى انتصار المسلمين على الفرس في البويب، ويطلب منه المدد، فكافأه بتعيين سعد بن أبي وقاص أميراً عليه^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥٠٨.

(٢) الصنعاني: مصنف، ج ٥، ص ٤٨٣.

(٣) ابن حبيش: الغزوات، ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٤) الصالح: العسكرية الإسلامية، ص ١٥٣.

توفي المثنى قبل وصول سعد إلى العراق، لكنه ترك له وصية وضح له أسلوبه في إدارة العراق والذي استخدمه في حرب الفرس وحقق النصر من خلاله، كما أنه أرشده إلى ما هو ضروري ومناسب في قتالهم، والذي كان يقول فيها " أن لا يقاتل الفرس إذا استجمع أمرهم في عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم وعلى أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم فأن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وأن يكن الأخرى فاؤا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم"^(١).

يتضح أنه على الرغم من انتقال الخلافة إلى الخليفة عمر بن الخطاب لكن استراتيجية الفتح وكل ما حدث من تغيير كان مقتصرًا على قادة فتح العراق والشام ولم ينتج عن هذه التغييرات التي طرأت على القيادة السياسية أو الميدانية آثاراً سلبية بارزة اللهم سوى ذلك الأثر الذي نتج عن عزل المثنى وتعيين أبي عبيد الثقفي في معركة الجسر، ولم يمض وقت طويل حتى أعاد المثنى الكر على الفرس في معركة البويب وثأر لشهداء معركة الجسر كما سلف الذكر.

ففي العراق تولى فتحها خالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة، وهذين القائدين تميزا بقيادة خلافة مبدعة ، أما من تولى الفتح في عهد الخليفة عمر هم أبو عبيد الثقفي، وسعد بن أبي وقاص فقد تميزوا بقيادة ملتزمة منفذة لتعاليم الخليفة فقط.

ويتضح ذلك الأمر من خلال تخطيط الخليفة عمر لمعركة القادسية، فهو الذي اختار مكانها وبرمج لسعد زمانها، كما أن سعد لم يكن يتصرف أي تصرف دون الرجوع إلى الخليفة والحصول على موافقته، وبالتالي اختفت خطة الميدان، واختفت معالمها في الاستراتيجية العليا^(٢)، حيث استطاع المسلمون أن يفرضوا على الفرس المعركة في القادسية، حيث جروا الفرس إليها من خلال الغارات التي شنها المسلمون على أهل السواد بين النهرين فضجوا واستغاثوا عندها اضطر ملك الفرس أن يعين رستم قائداً للجيش وطلب منه التوجه إلى القادسية للقضاء على المسلمين فيها، وكان رستم ينجح إلى حرب الاستنزاف ويخشى مواجهة المسلمين لذلك هدد كسرى بأنه

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ٤٩١. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مج ٢، ص ٩٢.

(٢) الصالح: العسكرية الإسلامية، ص ١٥٩-١٦٠.

إذا أصر على أسلوبه هذا أن يسير هو إليهم: "لتسيرن إليهم أو لأسيرن بنفسي"^(١). فتحرك رستم، وهذا ما أكسب العرب ميزة ذهبية كان لها تأثير كبير على مجرى القتال أي اختاروا المكان المناسب لهم.

ومن الأسباب التي دفعت الخليفة عمر إلى اختيار المكان والذي برهن فيه على حسن إدارته للحروب على الرغم من بعده عن ساحة المعركة، هو قربها من الصحراء أولاً وثانياً حصر العدو في مكان لا يتسع لقواتهم، حيث سبقهم المسلمون بالتوجه إلى القادسية وبالتالي المكان الذي ترك لهم كان أضيق من أن يستوعب كافة قواتهم، وثالثاً الاستفادة من الأماكن الهامة مثل السيطرة على القنطرة التي كانت على النهر فقد حاول الفرس الدخول منها ولكن سعداً منعهم من ذلك، وبقي مسيطراً عليها طوال مدة المعركة وبالتالي حرّمهم فرصة الهروب والانسحاب، فقتل عدداً كبيراً من جنوده غرقاً، كما أن المسلمون وظفوا الشمس كعنصر مهم في القتال إذ كانوا يقاتلون والشمس في ظهورهم في حين أن الفرس قاتلوا والشمس في وجوههم^(٢).

ولكن واجه المسلمون أثناء المعركة الفيلة، والتي بلغ عددها ثلاثة وثلاثين والتي كان لها الدور الأكبر في خلخلة الصفوف المنيع للمسلمين والتقليل من فاعلية سلاح الفرسان^(٣)، لذلك اقترحت قبيلة تميم على سعد خطة تتلخص في تشكيل مجموعات لمواجهة الفيلة بحيث تتوجه كل مجموعة إلى فيل ثم تنقسم إلى قسمين: قسم يتولى مشاغلة من يركب الفيلة، والقسم الآخر يلتف حول مؤخرة الفيل ويقومون بقطع الأحزمة التي تثبت التوابيت المحملة على هورها، وقد قبل سعد خطة بني تميم وأوكل زعيمهم عاصم بن عمرو مهمة تنفيذها ونجحوا في أداء المهمة، فخرجت الفيلة من ميدان المعركة بعد أن أحدث خروجها خلخلة في صفوف الفرسان^(٤).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥١٠-٥١٢.

(٣) كريستنسن: إيران في العهد الساساني، ص ١٩٨.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٤٠، ٥٥٥.

وبعد مرور ثلاثة أيام على المعركة أعاد الطرفين تعبئة جيوشهما، وهذا المرة اعتمد سعد كما خالد بن الوليد أسلوب إنهاك الفرس وذلك باستشارة من القعقاع الذي كان بصوته يثير المسلمين ويدب في صفوفهم الحماس، واستطاع أن يدق أسفينه في قلب الجيش الفارسي^(١).

وعندما وجد قائد الفرس أن الخطر قد أحاق به، حاول الفرار لكن كانت نهايته القتل، ولما علم جنوده بالأمر ولوا الأدبار فغرق من غرق ونجا من نجا منهم من تمكن من عبور النهر وكان عددهم قليلاً لكن سعد لم يفسح لهم المجال للهروب إذ أقفل جميع المعابر وكلف القعقاع وأخيه بمطاردتهم^(٢).

وقد تم النصر في معركة القادسية وقتل رستم وهرب أتباعه وغنم المسلمون أموالاً كثيرة^(٣)، وكتب سعد إلى الخليفة يشره بالنصر، فطلب منه أن يكتفي بذلك وأن يتخذ للمسلمين داراً للهجرة، فأسس سعد الكوفة وبنى الجامع واختط المنازل، وقد تمت هذه المعركة على الأرجح ١٥هـ/٦٣٧م، وكان لها آثار كبيرة على معنويات المسلمين لأنها أدت إلى سحق الإمبراطورية الساسانية، ومن ثم إزالتها من الوجود^(٤). ولتكون نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة.

وتلاحقت الأحداث بعد معركة القادسية، وجرى فتح سريع نسبياً ويسير شمل السواد كافة وطرد الفرس من العراق، وكان لابد من التوجه نحو المدائن عاصمة الإمبراطورية الفارسية التي كانت المقر الرئيسي للسلطة في العراق، لذلك قرر العرب التوجه إليها^(٥)، فقد تقدم العرب على الطريق الرابط بين الحيرة وبابل، فالمدائن، فالنهر، ثم جلولا في اتجاه حلوان والري، وكان

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٦٧. كمال (أحمد عادل): القادسية، دار النفائس، بيروت، د.ت، ص ١٩٦.

(٣) ابن حبيش: الغزوات، ج ٣، ص ٥٧٧.

(٤) زكار: تاريخ العرب والإسلام، ص ٧٧.

(٥) جعيط (هشام): الكوفة - نشأة المدينة الإسلامية -، جماعة الدراسات العربية، الكويت

١٩٨٦م، ط ١، ص ٦٧.

لابد من عبور الفرات وسورا ودجلة، أي في قلب السواد حيث تجري قنوات جانبية كثيرة رابطة بين الفرات ودجلة في اشتباك مكثف^(١).

أما القيادة فقد بقيت بيد سعد بن أبي وقاص في أعلى مستوى، ينوب عنه هاشم بن عتبة بن أخيه، لكن كوكبة القادة التي كانت حول سعد وهاشم لم تتضمن قادة الردة، لكنها اشتملت على ثلاثة رجال، رئيسين هم زهرة بن حوية قائد الطليعة وعبد الله بن المعتم وشرحبيل بن السمط، وقد كان المشاة ينتمون إلى صفوف الأساورة والحمراء، وبقي سعد في المؤخرة على عادته مع أكثر الجيش، لكنه كان يلحق دائماً بالمقدمة^(٢).

قام العرب بحصار بهرسير وذلك من أجل الدخول إلى المدائن، فقد كانت مفتاح المدائن، لذلك قام الفرس بإخلاء المدينة واتجهوا إلى الساحل الشرقي، دون أن يعرف العرب بذلك، ثم أنه حطموا الجسر وسحبوا كافة السفن، فدخلها العرب قفراء^(٣)، لذلك قصر العرب الإقامة فيها والاتجاه نحو المدائن، إذ أن العرب تخلصوا من خوفهم من الماء واستطاعوا عبور نهر دجلة بطريقة خالية، بعد أن أرسلوا من يستطلع لهم المنطقة، وقد عرف اليوم الذي عبروا فيه بيوم الماء^(٤). ففر الملك واتجه العرب نحو الإيوان وأقام سعد الصلاة في الإيوان والتي كانت تعد أول صلاة جامعة في العراق^(٥).

استولى العرب الفاتحون على الغنيمة والتي تعادل نصف أموال الملك المقدرة بثلاثة مليارات من الدراهم، وسلمت أربعة أخماس الغنيمة إلى الرجال فتجاوز نصيب الفارس مرتين أو ثلاث مرات نصيب المشاة، ووجه الخمس المتبقي إلى المدينة بعد أن أجاز سعد بعض القادة ووافق المقاتلون

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٩.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٨.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٦. ابن حبيش: الغزوات، ج ٣، ص ٦٣٩.

على عدم اقتسام كسوة الملك وجواهره، وبساط كبير مرصع بالأحجار الثمينة، وقرروا توجيه كل هذا إلى الخليفة^(١).

مثل الاستيلاء على المدائن أهمية كبيرة من حيث منطق الفتح العربي، ومن حيث التنظيم للبلدان المفتوحة، واستقرار العرب بصورة مؤقتة، حيث أصبحت مقراً للعرب، ورتب الخليفة عمر العراق إدارياً وقضائياً حيث قسم البلاد إلى مناطق وحدد لكل منطقة أميراً وجعل عليها القضاة وموظفي الأموال، وجعل عليهم أميراً عاماً وهو سعد بن أبي وقاص، ووصلتهم التوجيهات بتمصير كل من الكوفة والبصرة^(٢)، فانتقل سعد إلى الكوفة لتكون مركزاً للعراق، وقد نجم عن انهيار الإمبراطورية الساسانية والاستيلاء على أراضيها مشاكل كبيرة للغاية، كان على الخليفة عمر رضي الله عنه مواجهتها وإيجاد الحلول للتغلب عليها، وهذه المشاكل تعلقت بالجند الذين تحملوا أعباء الفتح، وإدارة الأراضي التي استولوا عليها وقضايا استملاكها، ثم تعلقت بشعوب الإمبراطورية المنهارة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ودينيّاً ولمواجهة هذه المشاكل أُجبر الخليفة عمر على القيام بأعمال تشريعية وإعطاء نفسه صلاحيات التشريع الأمر الذي لم يفعله أبو بكر الصديق قبله .

بعد الاستيلاء على المدائن بدون قتال جاءت معركة للعرب في العراق هي معركة جلولاء أول ذي القعدة ١٦هـ/٦٣٧م، حيث كانت المعركة الأخيرة في المشروع العربي الموجه ضد الساسانيين، وهؤلاء كانوا عبارة عن بقايا الفرس المنهزمين في موقعة القادسية، وانضم إليهم من قدم من حلوان وما والاها، وقد قام الفرس بسحب المدنيين، في حين عسكر الملك في حلوان، التي تقع ضمن الأراضي الفارسية، حيث عمد الملك هذه المرة إلى اختيار جلولاء ليكون العراق المسرح الأخير في معاركهم، وبالتالي حماية الجانب الفارسي من دخول العرب له^(٣).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٣. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١١ - ٢١.

الدينوري: الاخبار الطوال، ص ١٢٧.

(٢) ابن حزم: الفتوحات الإسلامية، ص ١١.

(٣) جعيط: الكوفة، ص ٧٧.

لم يشرك في القتال قادة الردة، كما أن سعد لم يرسل كامل جيشه من المدائن، بل أرسل قسماً منه، حيث شارك هؤلاء في القتال بغية كسب حقوق معنوية لاحقة، لأن المشاركة في القتال في هذه المعركة عُدَّ مخولاً للفيء بمعناه الضيق، (أي التمتع بأراضي الفرس التي فتحت عنوة والتي كانت من أملاك الملك الفارسي)، ولأن الغنيمة كانت كبيرة جداً فقد استولى العرب على بيت المال الساساني ذاته، بعد أن قتلوا من الفرس مقتلة كبيرة^(١).

أما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فقد سيطر على شرقي السواد حيث احتاجت السيطرة عليه أكثر من عملية عسكرية وذلك لكثرة اتساعه، كما أنه أسر حوالي ١٣٠٠٠٠ من فلاحي هذه الجهة ثم أخلى سبيلهم سريعاً^(٢).

أما حلوان القاعدة الفارسية، والتي غادرها الملك بعد معركة جلولاء فقد سيطر عليها القعقاع لكي يقيم فيها ثغراً أي حامية خارجية عن البلاد المفتوحة وسأهره على أمنه، حيث كانت مدينة حدودية مطله على العدو^(٣).

يتبين أن العرب قد اتجهوا بعد معركة جلولاء على إخضاع كل من وادي دجلة والفرات دون التقدم خلف ذلك الخط سواء في اتجاه الجزيرة أو في اتجاه الأرض الفارسية، وتوارت الغاية العسكرية لفائدة قضايا التنظيم والاستقرار، حيث تم اختيار الكوفة للاستقرار بدل من المدائن وجُعِلَت مركزاً سكنياً يبنى بالرغبة في الوقوف عند حد المواقع المكتسبة.

أما الخليفة عمر فقد أدار الجيش معتمداً على أسس من تقدم عليه، ثم طور هذه الأسس، حيث أوجد رتبتي النقيب والعريف في التسلسل العسكري للجيش وذلك من أجل منح الرتب، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص: "إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَعَشِّرِ النَّاسَ وَعَرِّفْ عَلَيْهِمْ، وَأْمُرْ عَلَى أَجْنَادِهِمْ، وَعَبِّهِمْ، وَمُرْ رُؤَسَاءَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيُشْهِدُوا، وَقَدِّرْهُمْ وَهُمْ شُهُودٌ، ثُمَّ وَجِّهِهُمْ إِلَى أَصْحَابِهِمْ،

(١) الدينوري: الاخبار الطوال، ص ١٢٩. البلاذري: فتوح البلدان، ٢٦٥. ابن خياط: تاريخ خليفة، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٤ - ٢٦٥. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤ و ص ٣٤.

وَأَمَرَ أُمَرَاءَ الْأَجْنَادِ، وَعَرَفَ الْعُرَفَاءَ، فَعَرَفَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ رَجُلًا، كَمَا كَانَتْ الْعَرَافَاتُ أَرْحَامَ النَّبِيِّ (ص)، وَكَذَلِكَ كَانَتْ إِلَى أَنْ فُرِضَ الْعَطَاءُ، وَأَمَرَ عَلَى الرَّايَاتِ رَجَالًا مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ، وَعَشَرَ النَّاسِ، وَأَمَرَ عَلَى الْأَعْشَارِ رَجَالًا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ وَسَائِلُ فِي الْإِسْلَامِ، وَوَلَّى الْحُرُوبَ رَجَالًا، فَوَلَّى عَلَى مُقَدَّمَاتِهَا وَمُجَنَّبَاتِهَا وَسَاقَتِهَا وَمُجَرِّدَاتِهَا وَطَلَائِعِهَا وَرَجُلَهَا وَرُكْبَانَهَا^(١).

فتكوّن الجيش أثناء الفتح حيث كان الخليفة على خمسين جندي، ثم يليه القائد على مئة، وأمير الكردوس على ألف، وأمير الجيش على عشرة آلاف أو أكثر^(٢)، يتضح من هذا الترتيب أنّ الخليفة عمر تأثر بالتنظيم الإداري الفارسي، والذي كان في أغلب الأحيان يضمن النصر في أية معركة في حال وجد التكتيك الجيد.

كما أحدث الخليفة عمر بن الخطاب وحكومته تطوراً إدارياً في المجال العسكري والتنظيمي، وذلك من خلال إيجاد ما عُرف بالعرفاء التي كانت قائمة على إدارة شؤون المدنيين، على عكس التأمير والتعبئة التي اقتصت بالجند والعسكريين، فعريف القبيلة مسؤول عن قبيلته، وعريف الجند مسؤول عن عشرة من الجنود، ثم جمع الخليفة عدد من العرافات في سبع، وجعل على الأسباع أمير يأخذ العطايا ويدفعها إلى العرفاء والنقباء، ليدفعوها بدورهم إلى أصحاب الحقوق^(٣).

إذا كان الخليفة أبا بكر قد رفض مشاركة المرتدين في عمليات الفتوح^(٤). فإنّ الخليفة قد شرع للمرتدين المشاركة في الفتوح بعد أن تخرج موقف المسلمين بقيادة المثنى في العراق وآثر الانسحاب إلى حدود الصحراء بانتظار الإمدادات التي طلبها من المدينة، لذلك أول عمل في الإدارة العسكرية قام به الخليفة هو السماح للمرتدين من الاشتراك في حروب التحرير، منطلقاً

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٨٨. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، ج ٤، ص ١٦٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٨-٤٩.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٦. العلي (صالح): القبائل العربية في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية، الأردن ١٩٨٧م، مج ١٤، عدد ٤، ص ١٩، ص ٢٠.

من رغبته بعدم ترك هذه القوى معطلة على حد قوله، كما أنه رغب أن يجعل منهم صفاً واحداً مع المسلمين الغير مرتدين^(١).

لم يكن هذا الإجراء الذي اتخذه الخليفة كافياً لسد حاجة ساحة القتال ، لذلك اتجه إلى الترغيب، وهذا ما فعله مع بجيلة حيث وعدها بربع السواد في العراق، والذي دفعه للقيام بذلك هو تجمع الفرس لاسترجاع ملكهم المسلوب في نظرهم^(٢)، وبالتالي اتجه عمر إلى صيغة الإلزام في أغلب كتبه إلى عماله في العراق، قائلاً: "أما بعد فأخرجوا من بين أظهري الأعاجم، ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم من أهل النجدات ولا فارساً إلا جلبتموه فإن جاء طائعا وإلا حشرتموه"^(٣). وبالتالي اتخذ في تنظيم الجيش نظام التجنيد الإلزامي، أي أن الجهاد فرضا على كل مسلم شاء أم أبى، بسبب حراسة الموقف الذي مروا به .

أتجه الخليفة عمر إلى إدارة تموين الجيوش بنفسه، فعندما كان جنود العراق يحتاجون إلى العلف والطعام أخرجوا خيولا وأغاروا في البر، فأغاروا على أسفل الفرات وكان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم والجزر^(٤).

وكان العرب قد خرجوا إلى العراق بهيئة قبائل، واستمروا طوال الفتح منقسمين على أساس الوحدات القبلية من قبيلة إلى عشيرة^(٥)، إلا أنه عندما تم تحرير العراق جمع الخليفة قبيلة بجيلة تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي، وكتب إلى القادة والعمال: "من كان فيه أحد ينسب إلى

(١) فيصل (شكري): المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، ص ٤١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٦٠.

(٣) عبد الله الحميدي (عبد العزيز): الخلفاء الراشدون مواقف وعبر، دار الدعوة، الاسكندرية ٢٠٠٥م، ص ٢٦٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٢٥٢.

(٥) الدوري (عبد العزيز): مقدمة في صدر الإسلام، بيروت ١٩٦١م، ص ٨٠.

بجيلة قبل الإسلام وثبت عليه الإسلام، فأخرجوه إلى جريز^(١)، وكان يولي على القبائل قادة من بينهم ويسرحهم إلى القتال، فعندما طلب منه المثنى مدداً: "قدم على عمر غزاة بني كنانة والأزد في سبعمئة جميعاً أمر عليهم غالب بن عبد الله وسرحه، وأمر على الأزد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق"^(٢).

كما كانت القبائل تقاتل تحت الرايات الخاصة بها عندما يستعر القتال، ولكن تغيرت أساليب القتال بسبب عبقرية القائد في التكتيك والمناورة أثناء الحروب^(٣)، فقد استخدم سعد بن أبي وقاص نظام الخمس، ثم نظم الأقسام الخمسة للجيش في كتاب، واستحدث نظاماً جديدة، فقد "أمر أمراء الأجناد، وعرف العرفاء، فعرف على كل عشيرة رجلاً، كما كانت العرافات ازمان النبي ﷺ، وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمر على الرأيات رجلاً من أهل السابقة، وعشر الناس، وأمر على الأعشار رجلاً من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولى الحروب رجلاً، فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقاتها ومجرداتها وطلائعها ورجلها وركبانها، فلم يفصل إلا على تعبئة"^(٤)، ويعد عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عموماً، ففي زمانه برز العرفاء على الناس في أمصارهم وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت^(٥).

(١) مسكوية (أبو علي أحمد بن محمد يعقوب ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران ٢٠٠٠م، ط ٢، ج ١، ص ٣١٦. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢ و ص ٢٧٩.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٣١٧.

(٣) السويد (ياسين): التكتيك العسكري الإسلامي، مجلة قضايا عربية، بيروت ١٩٨٣م، عدد ٢، ص ١٠٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج ٣، ص ٤٨٨. الصلابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين، مكتبة الصحابة، الإمارات ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٤٨٩.

(٥) الصلابي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين، ج ١، ص ٤٨٩.

لكن أثناء المعركة غير سعد الخطط بسبب وجود الفيلة في مقدمة جيش الفرس، لذلك عدل عن أسلوبه ووضع هودجاً يحتوي على رجال وعلى الابل ألبسوها مجللة مبرقعه وأطافت بهم خيولهم تحميهم^(١). وكاد أن يهزم المسلمون إلا أن أحد قادته، أبرز تكتيكاً عسكرياً قلب موازين المعركة، فالقعقاع بن عمرو أمر أتباعه بأن يتسللوا سراً ثم يقدموا في النهار تباعاً على فرق كل فرقة مائة مقاتل، وقال لهم: إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة، كلما توارى عنكم مائة فليتبعتها مائة، ثم أخذ بقية القواد بما فعله فخرج هشام بن عتبة بتعبئة أصحابه سبعين سبعين^(٢)، وهنا يلاحظ الباحث تواضع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فلقد قبل الأخذ بالرأي الأمل في التخطيط الحربي فصنع بتفريق جيشه كما صنع الققعقاع بن عمرو، ولم يمنع اعتبار النفس والمنصب من أن يأخذ برأي قائد من قواده، بل كان رجلاً من الرجال الذين تخرجوا من مدرسة التربية النبوية، فأصبحوا يلغون ذواتهم ومصالحهم الخاصة في سبيل مصلحة الإسلام ومصلحة المسلمين العامة، وهذا من أهم أسباب نجاحهم في إقامة الدولة العربية الإسلامية الكبرى، والقضاء على قوى العالم آنذاك.

يستنتج مما سلف أن الروابط القبلية لم تكن لها أية أهمية في المناطق والمعارك الخاصة بالتحريير، وكل ما كان يتطلب من المقاتلين تنفيذ أوامر القائد، هذا بالإضافة إلى التزام القائد بأوامر الخليفة، والتصرف في بعض الأحيان بما تمليه المصلحة.

وقد واجه الخليفة المشكلات الإدارية والتشريعية التي حدثت في المناطق المفتوحة التي لم يكن للعرب فيها أي تجربة سابقة، فأوجد لها الحل، محاولاً أن يحد من الخلاف الذي يظهر بين المقاتلين خوفاً من إضعافهم، فعندما تقاوت مقاتلي الكوفة ومقاتلي البصرة من أجل تقسيم غنائم

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

مدينة ماه، كتبوا إلى الخليفة فقال: "الغنيمة لمن شهد الواقعة"، وبالتالي كان لأهل الكوفة حصة في الغنائم كما أهل البصرة^(١).

كما سمح الخليفة عمر لسكان أذربيجان الالتحاق بالجيش والمشاركة بالفتح مقابل إعفائهم من الجزية^(٢)، وإن هذا الإجراء الذي وافق عليه عمر دفع بقية الأقوام الأخرى إلى أن يحذوا حذو أهل السند فنزل البعض منهم في البصرة^(٣).

أما فيما يتعلق بتوزيع العطاء على المسلمين فقد استخدم الخليفة عمر ما تم جمعه من خراج العراق في تسديد أعطيات الجند، والأشغال العامة، أي غدت هذه المداخل رافداً كبيراً لبيت المال في العراق، وزع على النخبة المسلمة المقاتلة، فلم يعتمد التوزيع القائم على القبلية، وإنما كرس مبدأ وحدة الأمة الإسلامية، وجعل التنظيم والتوزيع بيد السلطة المركزية المتمثلة بالخليفة، بعد أن أوجدت تراتبية إدارية توزيعية على رأسها النخبة الإسلامية، كما أصبح المهاجرون والأنصار يستحقونه، باستثناء أهل مكة والبدو لأنهم لم يشاركوا في الفتوحات^(٤)، كما أن عمر أجرى العطاء على قراء القرآن الذين شكلوا فئة قائمة بذاتها، بالتساوي مع أهل القادسية وأهل الشام، (٢٠٠٠ درهم)^(٥)، فهذه الطريقة التي شرعها وسنها عمر قد تجاوزت حدث الفتح ولم تكن قائمة على تنظيم الفتوح فحسب بل تعدتها إلى العمل التدريجي لإيجاد قواعد أخرى تدعم السلطة التنظيمية.

كما فرض الخليفة لأهل اليمن وقيس في العراق، لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف أو إلى تسعمائة، أو إلى ثلاثمائة، درهم ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة^(٦)، كما سار بترتيب العطاء على

(١) ابن رشد الحفيد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ت ٥٩٥هـ / ١١٩٩م): بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ١٥٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٥٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان: ص ٢٥٧، ٣٦٣.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣١ - ٤٤٠.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٤. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٨.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٤.

الجند في ديوان العطاء حسب التفاضل، فقد فرض لأهل القادسية، ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة فقليل له: "لو ألحقت القادسية بأهل الأيام، فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا"^(١)، وبما أن الخليفة كان عالماً بالأنساب، وفرض العطاء على أساسه، كان لابد للكاتب المعين أن يكون هو الآخر عالماً بالنسب^(٢).

وعندما فرض الخليفة عمر للمقاتلين في العراق العطاء، كان عليهم أن يجهزوا أنفسهم ، فقد كان عامل عمر على الري ودستبي وقزوين إذا قاتل أخذ كل امرئ ممن معه ترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس أبر وخبوط كتان ومقراض^(٣).

ولم يترك غير المسلمين بدون عطاء، فقد فرض لبعض القبائل غير المسلمة التي انضمت إلى الجيش في العراق، ففي البداية رفض الخليفة عمر الأمر لكنه ما لبث أن اقتنع وفرض لهم^(٤). واستمر الخليفة عمر يعطي العطاء على السوية حتى سنة ٢٠ هـ/٦٤٠م، ولكن مع تشجيع الخليفة عمر الهجرة إلى الأمصار كثرت الروادف، فاتجه إلى ربط العطاء بالهجرة، والتسجيل في الديوان: "ومن أسرع إلى الهجرة أسرع له العطاء، ومن تخلف عن الهجرة قطع عنه العطاء، فلا يلومن رجل إلا وناخ راحلته"^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٣٥ - ١٦٢.

(٢) شلبي(أحمد): السياسة في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٣م، ص٢١٢.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣١٠.

(٤) ابن سلام: الأموال، ٣٣٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦٦، ص١٣٥.

(٥) أبو يوسف البسوي(يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ت ٢٧٧هـ/ ٨٩١م): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م، ط٢، ج١، ص٤٦٣. الرازي(منصور بن الحسين ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م، ط١، ج٢، ص٣٠.

ولكن عندما كثرت الروادف في العراق وأخذوا العطاء نفسه الذي يحصل عليه المحررون ازدادت نقمة الاخيرين ، وبدأوا يطالبون الخليفة بزيادة عطائهم وتميزهم عنهم، لذلك اتجه الخليفة عمر إلى إيجاد تنظيم مالي قائم على التفضيل، فحفظ لهم حقوقهم وأرضاهم^(١).

كما فرض عمر العطاء لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم وهم أهل المدائن ممن انتقلوا من المدائن إلى الكوفة والبصرة، وأثبت الفيء لهم ولمن لحق بهم وأقام معهم، ولم يفرض لغيرهم إلا ممن سكن المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح وإليهم أذى الجزاء وبهم سدت الفروج ودوخ العدو^(٢).

وقد كانت المرتبة الأولى في العطاء في عهد الخليفة عمر هم أهل الايام ممن شاركوا من البداية حتى القادسية، وأعقب اهل الأيام طبقة أهل القادسية الذين جاءوا بالمرتبة الثانية، ويقصد بهم الذين شاركوا بالقادسية وفرض لهم ألفين ألفين^(٣). كما سلف القول

كما ألحق بأهل القادسية أهل الأبله وهم الذين أرسلهم الخليفة مع عتبه بن غزوان لتحرير منطقة البصرة، وكان عددهم ٣٠٠ و ٨٠٠ مقاتل، أما الطبقة الأخرى التي أعقبت أهل القادسية هم الروادف من القبائل العربية التي تدفقت إلى العراق، وكانت تنعت بالأولى أو الثانية، أو الثالثة، حسب موعد وصولها وفرض لها الفين ألفين^(٤)، في حين فرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك ألفا ألفاً، ثم لمن ردف الروادف خمسمائة خمسمائة، ثم لمن ردف أولئك ثلاثمائة ثلاثمائة، وسوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل، قويهم وضعيفهم، عريهم

(١) جودة (جمال محمد داؤد محمد): العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، الأردن ١٩٧٩م، ص ٩٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٦٨، ٦١٤. ابن حبيش: الغزوات، ج ٣، ص ٥٧٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٣٧.

وعجمهم، ثم فرض لمن ردف أولئك خمسين ومائتين، ولمن ردفهم مائتين، وكان آخر من فرض له أهل هجر على مائتين^(١).

وحدّد الخليفة عمر شرف العطاء بـ ٢٥٠٠ درهم سنوياً، إذ كان يعطى لمن يبلي بلاء حسناً في خدمة الجيش ويمتاز بالشجاعة^(٢)، فقد حصل معظم رؤساء القبائل وأشرافها على شرف العطاء، وهؤلاء سمو بأهل البلاء وخاصة في معركة القادسية، لذلك ميزوا في العطاء بخسمائة خمسمائة درهم، ومن هؤلاء زهرة بن الحوية التميمي الذي قتل قائد الفرس الجالينوس، فكتب له سعد بن أبي وقاص بتفضيله على أصحابه بخسمائة درهم^(٣).

يستنتج مما تقدم أن القائد العسكري كان بمقدوره فرض العطاء لمقاتليه إذ ما لمس منهم مثابة في القتال، وفرض الشرف لم يقتصر على الخليفة فقط، بل سمح الخليفة للقواد أنفسهم القيام بمثل هذا الإجراء.

يستخلص مما تقدم أن الخليفة عمر فرض العطاء وشرفه لمن أبلى في القتال بلاء حسناً، ومن قام بأعمال إدارية وقيادية مهمة، كما أن منح شرف العطاء لم يحدث أية حزازات أو منازعات بين الناس على الرغم من أنه كان يعد شرفاً عظيماً، حتى أن الخليفة عمر قدم شرف العطاء لمن حفظ القرآن في العراق^(٤).

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، ج ٤، ص ١٩٥.

(٢) العلي (صالح)، وآخرون: العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣م، ص ٣٣٣.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٤) ابن سلام: الاموال، ص ٣٣٣. العلي (صالح): التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١٩٥٣م، ص ١٥٤. الجنابي (خالد جاسم): تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٦م، ط ٢، ص ٩٨.

ولم يقتصر الشرف على المحررين، وإنما حصل عليه بعض الروادف، ممن أبلوا في القادسية، فقد أمر الخليفة القائد إلحاق: "من شهد نهاوند من الروادف فأبلى بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين و ألحقهم بالقادسية^(١).

وكما سلف القول لاحظ عمر أنه عندما رفض إعطاء الأولاد العطاء إلا بعد الفطام، سارعت بعض النسوة إلى فطم أولادهن ، وعندما رأى مدى الخطورة الناجمة عن هذا الأمر، اتخذ امراً إدارياً بفرض العطاء للمولود، في كافة الأمصار ومن بينها العراق^(٢). كما أنه فرض لكل لقيط درهمين من بيت المال، وفرض لكل مولود شرعي^(٣).

وقد فرض الخليفة عمر لنساء أهل الأيام ٣٠٠ ، ٣٠٠، ولنساء القادسية ٢٠٠ ٢٠٠ ، ثم سوى بين بقية النساء^(٤). لقد قسم الخليفة العطاء في الأمصار الذي تدرج بين ثلاث مجموعات، أهل الأيام والقادسية والروادف، الأولى كافأها على دورها وفضلها في معارك الخلافة ضد المرتدين وضد الفرس حتى معركة القادسية سنة ١٥هـ / ٦٣٦م، وضع لهم ٣٠٠ درهم، والمجموعة الثانية كافأهم على دورهم في معركة القادسية بأن فرض لنسائهم عطاء قدره ٢٠٠ درهم في السنة^(٥).

(١) الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي، ج٤، ص٣٢٣.

(٢) ابن انس(مالك بن أنس ت ١٧٩هـ / ٧٩٦م): المدونة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م، ج٢، ص٢٨. فلهاوزن(يوليوس): تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة وحسين مؤنس، لجنة التألف والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، ط٢، ص٢٨٨.

(٣) العقاد(محمود عباس): عبقرية عمر، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨م، ص٤٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٦١٥.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل، ج٣، ص٦١٥. الياس(عبد الوهاب خضر): نظام العطاء الإسلامي دراسة في نشأته وتطوره من ١٥ - ٢١٨هـ، جامعة الموصل ١٩٨٥م، ص٦٧.

كما فرض عمر للموالي عطاء العرب نفسه، فقد فرض عمر للأساورة ممن التحق بالقوات العربية الإسلامية، في منطقة الأحواز، فرض لمائة منهم في ألفين ألفين ولستة منهم في ألفين وخمسمائة، كما فرض للسباجية، والزط الذين اسلموا وحالفوا تميم^(١)، كما فرض لبعض الأعاجم من المسلمين فقد فرض لدهاقنة الفرس وأولادهم، ولغيرهم ألف ألف^(٢).

في الأحواز جرى اتصال بين أبي موسى الأشعري قائد الجيش العربي الإسلامي وسيد الأساورة قائد مقدمة يزدجرد، فعرض على أبي موسى الانحياز إلى جانب العرب والدخول في الاسلام على أن ينزلوا حيث شاءوا، وأن ينسبوا للقبيلة التي يختارونها أحلافاً، وأن ينالوا شرف العطاء^(٣)، فوافق بعد أن استشار الخليفة عمر، فكتب له: "أعطيهم ما سألوك"^(٤).

ولم يترك الخليفة أهل الكتاب من يهود ونصارى ففرض لهم بعض العطاء وأعفى الشيوخ منهم من الجزية، فقد مر عمر بشيخ ضرير، وعندما سأله ما الذي دفعه لمغادرة بيته، قال له، أسأل الجزية والحاجة والسن، فأمسك بيده وأوصله إلى منزله، فأعطاه شيئاً من المال، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال له: انظر هذا وضرباؤه، فوالله ما أنصفناه، أكلنا شبيبته، ثم خذلناه عند الهرم^(٥).

كما وزع الخليفة على جنود العراق بالإضافة إلى العطاء الأرزاق، من مواد عينية غذائية متنوعة، فرضها للرجل والمرأة وللحر والعبد، فالكل متساوٍ فيه فلم يفرق على أساس الوضع الاجتماعي^(٦).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ٣٦٢-٣٦٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٠.

(٣) جابر بل فيران: مادة سيابجة، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ٤٠١.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم، ج ١، ص ٣٧٨.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ١٣٩.

(٦) بلتاجي (محمد): منهج عمر بن الخطاب في التشريع، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص ٣٩٦-٣٩٧.

وبالتالي إن هذا الإجراء الإداري عاد بالسلب على الدولة العربية الإسلامية حيث اتجه الكثير إلى اقتناء الممالك من أجل الحصول على هذا المصدر من الرزق، وطالبوا عمر بالزيادة في العطاء فقال لهم: "فعلتموها جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم في مال الله^(١). وعمد الخليفة عمر إلى الحد من الخطأ بأن طلب من زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم وأمره أن يكتب صكوكاً من قراطين ثم يختم أسفلهم فكان أول من وضع الصك وختمه^(٢).

كان مصدر الرزق من الجزية التي فرضت على أهل الذمة في العراق، والتي كان عمر يسمح لهم بدفعها عيناً وعادة تكون من الزيت والخل والعسل والحنطة، والشعير والخردل والتمر^(٣)، ولحفظ هذه المواد فقد اوجد في البصرة والكوفة داراً لحفظها عرفت بدار الرزق^(٤).

ولم يكتف الخليفة في العراق بأن يعطي الناس الأرزاق وإنما وزع عليهم ما يسمى بالمعاون، وكثيراً ما كانت تقدم للجند في الربيع عندما كانوا يخرجوا ليربعوا خيولهم ودوابهم، حيث كتب إلى عتبه بن غزوان، (أن يتربع بالناس في كل حين ربيع بأطيب أرضهم وأموالهم بمعاونهم في الربيع من كل سنة)^(٥). أي أن واردات كل بلد كانت موقوفه من أجل تأمين احتياجات أهل البلد نفسه من أرزاق ومعاون، والرواتب، حيث كتب عمر إلى عثمان بن حنيف في العراق: "أن أحمل إلى أهل المدينة أعطياتهم فإنهم شركاؤهم، فإن أحمل ما بين العشرين ألف إلى الثلاثين ألف ألف"^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢١٣.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٤٣.

(٣) ابن سلام: الاموال، ج ٢، ص ٧٤.

(٤) ابن الفقيه (ابو عبد الله محمد ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م): مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٨٨٥، ص ١٩١.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٣.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٤١. بطاينة (محمد ضيف الله): النظام المالي في عهد الخلفاء الراشدين، دراسات تاريخية، آذار ١٩٨٦م، العدد ٢١ - ٢٢، ص ٣٣.

ونتيجة لكثرة الأموال التي حصل عليها المسلمون من سكان البلاد المفتوحة وجد إلى جانب ديوان العطاء، دواوين محلية، تركها الخليفة عمر بيد الموظفين ولغاتهم، فكانت في العراق بالفارسية^(١)، وقد ترك هذه الوظائف في يد غير المسلمين، ففي العراق كانت بالفارسية وفي بلاد الشام بالبيزنطية^(٢).

أما في مجال تنظيم البريد وإدارته:

تطور البريد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، إذ أنه كان على دراية تامة بما كان يحدث على كافة الجبهات، فقد رتب إدارته متأثراً بالفرس بعد أن كان متواجداً بصورة بسيطة في عهد الخليفة أبو بكر، إلا أنه وبسبب بُعد الجيوش عن حاضرة الخلافة كان لابد من تأمين صلة وصل بين القيادة والقواد والعمال^(٣).

جعل الخليفة عمر لعوائل المقاتلين بريد خاص بهم كما سلف القول، يُرسل إلى العراق في موعد محدد ينادي به مناديا في الناس "من له حاجة، فليكتب" وقد كان عمر يتولى أحيانا الكتابة لمن لا يعرف الكتابة^(٤). وبالتالي استطاع عمر بتطويره البريد أن يعرف حاجات المقاتلين، وأن يرد مظالمهم، وفي هذا دليل على أنه امتاز بالإدارة الحكيمة في تنظيم شؤون دولته ورعيته.

والمفيد ذكره أن الخليفة عمر كان يدرب المقاتلين في معسكرات تدريبية في المدينة ثم يقوم بإرسالهم إلى العراق، وفي أثناء التدريبات كان يصطحب معه ثُعات الخيل، أي الخبراء بعناقلها

(١) المقرئزي (تقي الدين ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م): الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ط ١، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، دار العودة، بيروت ١٩٨١م، ص ١٦٧.

(٣) الندوي (تقي الدين بن بدر الدين): سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ٥٩٦. الخطيب (عبد الكريم): عمر بن الخطاب الوثيقة الخالدة للدين الخالد، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ط ١، ص ٢٢٠.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢١٥. الكتاني (محمد عبد الحي): نظام الحومة النبوية (التراتب الإدارية)، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط ٢، ص ١٧٩.

وهجانها، ومن هو قادر على مداواتها، وقد عين على الخيل في الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي، يضع سوابقها ويجريها في كل عام ولُقِبَ بسبب هذه الوظيفة بسلمان الخيل، وكانت مهمته خدمة الخيل والاهتمام بأمرها، وكان جزء بن معاوية قيماً على الخيل بالبصرة وكلاهما عملاً بتوجيهات الخليفة. (١).

وأقام على طول الطريق من المدينة إلى العراق أماكن للخيل، يرتاحون فيها في أكواخ مصنوعة من سعف النخل (٢)، وبالتالي استفاد عمر من خبرة الفرس في ترتيب إدارة الجيش وهذا ما مكّنه من تأسيس جيش بموارد ضخمة اكتسحت إمبراطوريتين عظيمتين (الفرس والروم) في تلك الفترة.

ومن أجل وصول أخبار الجند بسرعة، اهتم الخليفة باقتناء الخيول وبالتحديد في الكوفة حيث كان له أربعة آلاف فرس إذ كان يشتيها في قبلة قصر الكوفة ويربعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة. وكان من ضمن توجيهات الخليفة عمر عند بناء الكوفة والبصرة، أن يتركوا مساحة من الأرض لهذه الخيول، " فلما نزل الناس واطمأنت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيأتون خيلهم في المضمار (٣). ففي الكوفة خصص سعد بن أبي وقاص الأري وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين (٤).

الإدارة المالية (تنظيم الجزية والخراج والأرض، إدارتها وما شرع بخصوصها):

اتجه الخليفة عمر إلى تنظيم الجزية والخراج في العراق، فقد اعتمد في هذا الإجراء على فكره الإداري ورفض تقسيم الأراضي وعندما اعترض الصحابة، أجرى مشاورات انتهت بأغلبية مؤيده

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٢. ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ / ٨٩٠م): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٢٤٤. الصالح (صبحي): النظم الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٧هـ، ط ١، ص ٤٩٤.

(٢) (حسن) إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦م، ط ١٤، ج ١، ص ٤٩٠.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٣٢.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك. ج ٤، ص ٥٢.

لقراره بعدم التقسيم، فبعث عثمان بن حنيف لمسح الأرضين، وجعل على كل جريب (مكيال قدره أربعة أقفزة) العنب عشرة دراهم، وعلى جريب النخيل ثمانية دراهم، وعلى جريب الشعير درهمين^(١).

لكن الخليفة عمر زاد الجزية على أهل العراق بعد أن سأل عثمان بن حنيف عن قدرتهم المالية، وتأكد من عدم الإضرار بهم، فقال لعثمان: "لئن زدت على كل رأس درهمين، وعلى كل جريب من الأرض درهما وقفيزاً^(٢) من طعام لا يضرهم ذلك ولا يجهدهم، قال نعم، قال: فكان على كل رأس ثمانية وأربعون فجعلها خمسين"^(٣). يستفاد من ذلك أن الجزية قدرت على كل شخص حسب طاقته وكان ذلك نظير حمايتهم وحماية معابدهم وعقائدهم، فكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

وبعد أن دخل الكثير من سكان البلاد المفتوحة في الإسلام، شرع الخليفة عمر على من بقي من اليهود والنصارى والمجوس بأن يدفعوا الجزية للدولة الإسلامية، وكان عبد الرحمن بن عوف قد شهد أن النبي أخذها من مجوس هجر أكبر مدن البحرين، فعامل عمر رضي الله عنه مجوس الفرس والسواد وفق هذه السنة^(٤)، أما فيما يتعلق بالنصارى فقد أقر الخليفة قبول الجزية منهم، وبالتحديد نصارى نجران بعد أن تهجروا إلى العراق، وكان السبب في إجلائهم هو تعاملهم بالربا خلافاً لشروط صلحهم مع النبي^(٥).

(١) (البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٥٦. أبو يوسف: الخراج ص ٤٦-٤٨. هنتس (فالتر): المكايل والأوزان الإسلامية، دار روائع مجدلاوي، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

(٢) (القفيز: مكيال خاص بالحبوب ويساوي ٦ كغم.

انظر: هنتس: المكايل، ص ٦٦.

(٣) ابن أبي شيبة: مصنف بن أبي شيبة، ج ٦، ص ٤٣٦.

(٤) ابن زنجوية (أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخراساني ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م): الأموال، تحقيق: شاعر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية ١٩٨٦م، ط ١، ج ١، ١٣٦.

(٥) ابن سلام: الأموال، ص ٣٥. البيهقي: السنن الكبرى، ج ٩، ص ٣٦٣.

وفيما يتعلق بمقدار الجزية فقد تفاوتت بين الأمصار المفتوحة، حسب غناها، فقد فرض على السواد جنوب العراق جزية سنوية قدرها ثمانية وأربعين درهماً، وأربعين درهما فضة، وأربعة وعشرين درهماً على متوسط الحال، وإثنى عشر درهماً على الفقير^(١)، أي راعى عمر مبدأ عدم إجهاد أهل الذمة، وعدم تكليفهم فوق طاقتهم.

ولم يستخدم عمر مبدأ التشدد في تحصيل الجزية، وإنما أخذت من الإبل أحياناً، وفي حال حاول البعض تقديمها من الحمير والخنزير، أوكل عماله بتوكيل أصحابها لبيعها لأهل دينهم وتحصيل ثمنها^(٢).

وكان الخليفة عمر قد سهل التعامل في تحصيل الجزية، وكذلك في تقديرها رغبةً منه في إبعاد أهل الخراج عن القيام بالمشقة والإجهاد، فكان يسأل عماله على مسح السواد،: "انظروا أن تكونوا قد حملننا الأرض ما لا تطيق"^(٣).

أدى فرض الجزية والخراج في الأراضي المفتوحة إلى إيجاد تشريع إداري مالي عرف بديوان الجباية، فعندما فتحت أكثر الأراضي من العراق والفرس، كتب إلى سعد بن أبي وقاص، بقسمة أراضي الفيء والمغانم بين المسلمين، إلا أن عمر أبقى الأراضي المفتوحة صلحاً بيد أصحابها، وفرض عليها الخراج على الأرض والجزية على الرأس، وبالتالي عُدت كلاهما مورداً ثابتاً لما يسمى ببيت المال^(٤). وقد اتخذ هذا الإجراء لأنه قدر أن أصحاب الأرض أقدر وأعرف بأرضهم

(١) ابن سلام: الأموال، ج ١، ص ١٧٥.

(٢) ابن زنجوية: الأموال، ج ١، ص ١٦٨. ابن سلام: الأموال، ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) أبي العز الحنفي (علي بن علاء الدمشقي ت ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م): شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ١٤١٨هـ، ط ١، ص ٤٧٨.

(٤) ابن سلام: الاموال، ص ١٥٢.

وزراعتها والمزروعات التي تناسبها، فكانت أول جزية وصلت إلى السلطة المركزية في المدينة هي الجزية التي فرضها خالد على الحيرة والتي قدرت بنحو مئة وتسعين ألف درهم^(١).

وقد كان الخليفة قد أخذ ديوان الجباية من الفرس، وشرّعه، فلم يغير في بعض جوانبه، كالضرائب المتبعة من قبل الفرس في العراق، لكنه فصل فيه ونوّع في موارده، وبالتالي جمع بين النظام الإداري القديم، وبين النظام الإداري المحدث الذي يخدم مصلحة أمته ويتناسب مع الإسلام من جهة ثانية^(٢).

وحتى لا يتأثر المردود المادي من الأراضي ويؤثر ذلك على مقادير ديوان الجباية التجأ الخليفة إلى منع شراء أراضي الخراج، لأنه عدها وقفاً للجميع، ونهى عن شراء أرض أهل الذمة الصالحة، وأن تكن ملكيتها وقفاً للأمة لئلا يضطر المسلم إلى دفع الخراج^(٣).

من كل ما تقدم إنّ الخليفة لم يوافق على تشريع قسمة الأرضين في العراق، لأنه كان يدرك مدى أهداف هذا التشريع ومقاصده، فتوقف عن القسمة دون أن يجد بيئة في رأيه، فكان دائماً يقول حين يقرع بالحجة (هذا رأي)، حتى تمكن من اقناع المستوى الثاني من الصحابة بأن له الأمر، وأنه على حق لأن القرآن يقر بالفقر للفقراء من المهاجرين والأنصار الشاهدين على الفتوح^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٢) محمود الغفري (أشرف رفيق): أثر الحضارتين الفارسية والبيزنطية على التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠٠٥م، ص ٤٧-٤٨.

(٣) ابن رجب (أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م): الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٠٨.

(٤) أبو حمدي (حمدي أحمد): الإدارة العامة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف : د. محمد الذليبات، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م، ص ١٢٥.

لذلك كتب إلى أبي موسى بإبقاء الخراج بالمساحة باعتبار الجريب كما كان في أيام الفرس على الجريب من النخل ثمانية دراهم ومن الكرم (العنب) عشرة دراهم ومن القصب ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم زرعت الأرض أم تركت^(١).

أما الأراضي التي كانت للدولة الفارسية، وأصبحت ملكاً للدولة العربية الإسلامية بعد الفتح فإنه وضع عليها العشر كما وضع المكس على التجارة، وأبقى الجزية على أهل الذمة، كما كانت في عصر الفرس باعتبار درجات الناس ومقدرتهم واستثنى نصارى العرب وجعل عليهم الزكاة كالمسلمين لأنهم نصروا جيوشه^(٢).

أما ما قام به الخليفة عمر بشأن الأراضي المفتوحة في الولايات العراقية والمناطق التابعة لها في بلاد الفرس: فقد أدارها بما يكفل العدل للعرب والمسلمين، فقد استقر رأي الخليفة على عدم التقسيم ، فكتب إلى قائده على العراق سعد بن أبي وقاص : " انْظُرْ مَا أَجْلَبَ النَّاسُ عَلَيْكَ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ كُرَاعٍ ^(٣) أَوْ مَالٍ ، فَأَقْسِمُهُ بَيْنَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاتْرَكَ الْأَرْضِينَ وَالْأَنْهَارَ بِعَمَالِهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ فِي أُعْطِيَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّكَ لَوْ قَسَمْتَهَا بَيْنَ مَنْ حَضَرَ لَمْ يَكُنْ لِمَنْ بَقِيَ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ " ^(٤). وبالتالي أبقاها بيد أصحابها لأنهم أقدر على استثمارها ولكي يترك للمقاتلين مهمة الفتوح كي لا ينشغلوا بالزراعة، فأرسل عثمان بن حنيف لإحصائهم وختم عليهم، ونتيجة لهذا التشريع وُجد في العراق صنفان من الأراضي كانت نتيجة للتشريع الإداري الذي أوجده عمر

(١) (الأعظمي(علي ظريف): مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ص ١٢.

(٢) (الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة، ص ١٢.

(٣) (الكراع: غنائم الحرب غير المال والأرض.

انظر: ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي ت ٧١١هـ/١٣١٢م): لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ، ط ٣، ج ١٠، ص ٣٧٢.

(٤) (ابن أنس: المدونة، ج ٣، ص ١٠٥. الخطيب البغدادي(أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢م، ط ١، ج ١، ص ٨-٩.

والقائم على عدم اقتسام الأرض وتركها بيدها أصحابها يدفعون عنها الخراج، في حين تم توزيع أراضي الصوافي على المسلمين ، فأصبحت عشريه، وهي كل أرض كانت ملك للفرس الذين حاربوا العرب، أو أرض فرّ منها الفلاحين أمام تقدم المسلمين الفاتحين، لذلك اعتبروا الأرض والسكان غنيمة حرب، سلمت منها أربعة أخماس إلى المقاتلة والخمس الباقي سلم لله والرسول (أي هنا الخليفة)^(١).

فقد كان الخليفة عمر يهدف من وراء هذا الإجراء الإداري عدة أهداف، حيث رغب في بقاء العرب أمه مجاهدة تتجه مع قبائلها لتحرير بقية المناطق ونشر الإسلام، كما رأى أن تقسيم الأرض بين العرب إجراء إداري بالغ الخطورة حيث لا يمكن تنفيذه بسبب الأعداد الكبيرة وبالتالي لم يكن بوسعهم التقسيم^(٢).

كما رغب في أن يسهل عملية جمع المقاتلين في العراق عند النفير، وبالتالي نزولهم في المناطق المحررة يعني تشرذمهم، هذا بالإضافة إلى عدم قدرة السلطة المركزية في المدينة من الإشراف عليهم أو حتى بسط سيطرتها بشكل كامل إن تفرقوا^(٣).

وأخيراً كَوّن مصدراً رئيسياً لبيت المال في العراق يستفيد منه جميع المقاتلين والمسلمين أي جعل منها فيء لهم^(٤)، وقال: "فَإِذَا قُسِّمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ بِعُلُوجِهَا، وَأَرْضُ الشَّامِ بِعُلُوجِهَا فَمَا يُسَدُّ بِهِ الثُّغُورُ وَمَا يَكُونُ لِلدُّرِّيَّةِ وَالْأَرَامِلِ بِهَذَا الْبَلَدِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ؟"^(٥). أي أراد أن يجعل الأعطيات والأرزاق للجيل الفاتح والأجيال القادمة .

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٣٦، ص ٤٧ - ٤٩.

(٢) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٨.

(٣) هاملتون (جب): دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م، ط ٣، ص ٨. الدوري (عبد العزيز): مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، ١٩٨٠، ط ٣، ص ١٥ - ١٦، ص ١٤٠.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٥٣.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ٣٥.

وعلق دونالد هل على ذلك بقوله: "أن عمر لو شرع تقسيم الأرض لتحول الجيش إلى طبقة من الملاك، ولنتج عن ذلك أن تصبح البلاد بوراً خربة بسبب إهمال ملاكها القدامى، ولنفشي الرق فيها، ويعطي القرار المذكور آثاراً بعيدة في تطور الدولة العربية الإسلامية"^(١).

ويتضح مما سلف أن الخليفة عمر تمتع بنظرة إدارية وتشريعية ثاقبة، فلو قسم الأرض لاختلف الناس فيما بينهم على الأرض والماء، هذا بالإضافة إلى أن عدد المهاجرين الروادف في ازدياد حيث قال: "أخاف إن قسمته أن تفسدوا بينكم في المياه"^(٢)، أي رفض الخليفة عمر تطبيق نظام الإقطاع لأرض السواد بين المقاتلين^(٣).

ولم يكتف عمر بتوحيد صف العرب، بل أراد من هذا الإجراء التشريعي أن يعطي فكرة جيدة عن الإسلام من خلال موقف المسلمين من المناطق المحررة موقفاً إيجابياً، وبالتالي يقارنوا بين تنظيمات الإسلام الإدارية وبين تنظيمات الفرس، قد تبين هذا من قول سعد بن أبي وقاص عندما أيد الخليفة: "وقد كثر أهل صلحنا وأن أعمر لنا وأوهن لعدونا تألفهم"^(٤). فما هي أصناف الأراضي المحررة؟

جعل الخليفة الأرض المحررة ثلاثة أنواع: أراضي الخراج، وأراضي الصوافي، وأراضي الصلح:

فأراضي الخراج: هي الأرض التي حررها العرب المسلمون بالقتال وأغلبها كان في سواد العراق، أي عنوة، تركها الخليفة عمر بيد أصحابها ووقفها فيء على المسلمين، ومن أجل تنظيمها أرسل

(١) هل (دونالد): الحضارة العربية، ترجمة: إبراهيم العدوي، مراجعة: حسين مؤنس، مكتبة الأنجلو الأمريكية، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٥٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٤. ابن سلام: الأموال، ص ٧١.

(٣) طرخان (إبراهيم علي): النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٧م، ص ١١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨٥.

الخليفة عمر كل من عثمان بن حنيف، إلى ما وراء دجلة، وحذيفة بن اليمان إلى ما دونه، وأمرهم بمسح السواد وتقدير الضرائب^(١).

وفرض على كل من أرض الحنطة والشعير خراج (درهم وقفيز)، أي اخذوه بالنقد والنوع معاً، ومن ثم فرضوا على بقية الغلات ، فقد كتب المغيرة إلى الخليفة عمر وهو على السواد : " أن قبلنا أصنافاً من الغلة لها مزيد على الحنطة والشعير فذكر المواشي، والكروم، والرطوبة(التمر)، والسماسم، قال: فوضع عليها ثمانية ثمانية وألغى النخل"^(٢). فقد ذكر البلاذري أن بعض الغلات لم يفرض عليها في البداية وأنها اضيفت في ولاية المغيرة، لأن أبو يوسف أوضح أن عمر فرض على كل جريب من أرض الحنطة أربعة دراهم والشعير درهمين، وعلى كل جريب من أرض النخل ثمانية دراهم، وعلى كل جريب قطن خمسة دراهم، والزيتون اثني عشر درهماً، وعلى كل جريب من أرض الرطوبة خمسة دراهم، في حين اتفقت الروايات أن أرض الكروم فرض على كل جريب عشرة دراهم^(٣).

وجاء لدى ابن سلام أن عمر فرض على كل جريب عامر أو غامر درهما وقفيزاً، وألغى الكروم والنخل والرطاب^(٤)، وهنا يتضح أن الاختلاف في تقدير ضرائب الخراج يعود إلى أن مؤسسات عمر الإدارية كانت ما تزال في طور التكوين ونظراً لوجود تنظيمات الفرس وعدم الاستقرار في البداية حدثت مثل هذه التباينات، إلا أنها استقرت في نهاية خلافة عمر ، كما أن عثمان وحذيفة استفادوا من الخبرة المحلية في عملهم ، وخاصة في تنظيم الضرائب ، لكن كيفوها بما يتناسب مع الدين الإسلامي والوضع العربي^(٥).

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٧، البلاذري: فتوح البلدان، ٢٦٥، دينيت (دانييل): الجزية والاسلام، ترجمة، فوزي فهمي جاد الله، دار مكتبة الحياة بالتعاون مع مؤسسة فرانكليين، بيروت ١٩٦٠م، ص ٥٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٥. أبو يوسف: الخراج، ص ٤٦-٤٩.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص ٨٨.

(٥) الجنحاني: الحياة الزراعية، ج ٢، ص ٢٠٣.

كما يتضح أن الخليفة عمر سمح للولاة ببعض الحرية في التصرف، فقد ترك لواليه على البصرة أبو موسى الأشعري بعضاً من الاستقلالية، فعندما شكا أهلها حالة مدينتهم وملوحة مائها، طلب الأحنف بن قيس من الخليفة أن يحفر لهم نهراً، فأمر الخليفة أبو موسى الأشعري بحفره لهم ، فعرف بنهر الأبلّة^(١)، وأمره بحفر نهر ثاني، عرف بنهر معقل^(٢).

أضف لذلك فقد منع الخليفة عمر بيع أرض الخراج لمسلم على أساس أنها وقف وخراجها دائم، لأن انتقالها من الذمي إلى المسلم يترتب على ذلك اعفائها من الخراج وإلزام المسلم بالعشر فقط، ومعنى ذلك انقاص موارد الدولة^(٣)، فالخليفة عمر عندما دفع الأرض إلى سكان البلاد المفتوحة دفعها لهم بخراج معلوم كالرجل يكري أرضه بأجرة مسماة^(٤)، وبالتالي عد عمر هذه الأرض ملكاً للدولة وليس لشخص، ومثال على ذلك عندما اشترى الفرقد بن عتبة أرضاً بالقرب من الفرات، رفض عمر الشراء رفضاً باتاً، وأجبره إلى إرجاعها لبيت المال: "إنك لم تصنع شيئاً وإنما هي فيء"^(٥).

وكانت رغبة الخليفة عمر من هذا الإجراء الإداري وضع حد لرغبة بعض العرب في شراء الأرض، ولاسيما بعد أن أدركوا أهميتها الاقتصادية من خلال ما تدر عليهم من غلال ، كما رغب أن يؤكد للمسلمين أن الأرض الخراجية بقيت بيد أصحابها من أجل الانتفاع منها ومن أجل عدم تعطيلها^(٦).

(١) ابن الفقيه (أحمد بن محمد ت ٢٨٩هـ / ٩٠١م): مختصر كتاب البلدان، نشر دي غوية، ليدن ١٨٨٥هـ، ص ١٨٩، خربوطلي(علي): تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣٣٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٤٨.

(٣) ابن سلام: الأموال، ص ٧١. ابن رجب: الاستخراج لأحكام الخراج، ص ٥١.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص ٩١.

(٥) ابن أبي شيبة: مصنف بن أبي شيبة، ج ٦، ص ٥٥٤.

(٦) خليل (محسن): في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢م، ص ٢٤٩.

كما أن الخليفة عمر لم يسمح بأن يسقط الخراج عن أرض من دخل من أهل الزمة في الإسلام، وبالتحديد الأراضي التي فتحت عنوة، فقد كتبت الدهقانه إلى عمر بن الخطاب: "أسلمت، فكتب أن أدفعوا إليها أرضها تؤدي عنها الخراج"^(١).

وفيما يخص أرض الصوافي من إدارة وتشريع:

كان تدخل الدولة في أرض الصوافي أقل شدة على الأقل في بداية الأمر، وقد امتلكوا هذه الأرض بصورة جماعية لا يشاركون فيها أحد فسميت فيء، والتي جعلها عمر حقاً للمقاتل في المعركة بدءاً من مرحلة الأيام وانتهاء بالاستيلاء على المدائن. أي أن الجيش الذي شارك برمته في القادسية استحق الفيء من سواد العراق، أما جيش جلولاء فقد استحق ما وراء دجلة، وكان عددهم حوالي ١٢٠٠ بقيادة هاشم بن عتبة^(٢)، ويقول سيف: "وكان أحظى بفيء الأرض أهل جلولاء استأثروا بفيء ما وراء النهر وشاركوا الناس فيما قبل ذلك"^(٣)، وأشرك عمر القواد من أهل الردّة في فيء جلولاء بصفته مالكين أشياع، إلا أنّ هذا التصرف وضع بيد قواد النخبة وهذا ما أدى إلى استثناء قادة الردّة من التمتع فعلاً بهذه الأرض^(٤).

فقد أراد الخليفة من هذا التشريع، الذي سمح بموجبه للقواد العسكريين التصرف في أراضي الصوافي يعني أن امتيازاً نشطاً سُلّم إلى هذه النخبة الإسلامية التي أراد لها عمر أن تتميز عن العامة، فأقرها بوضع متميز عن الرؤساء التقليديين بدايةً من القادسية، لكن هذا الإقصاء أفرز قضايا خطيرة^(٥)، كما سلف القول.

كما وتشير بعض الروايات أن الخليفة عمر قد اتجه نحو إدارة تقسيم الصوافي في البداية كما أفاء الله، فقد ذكر سيف بن عمر قائلاً: "كتبوا إلى عمر في الصوافي، فكتب إليهم: أن اعمدوا

(١) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤، ص ٤٠٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣١-٣٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨٦.

إِلَى الصَّوْافِي النَّبِيِّ أَصْفَاكُمُوهَا اللَّهُ، فَوَزَّعُوهَا عَلَى مَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، أَرْبَعَةَ أْخْمَاسٍ لِلْجُنْدِ، وَخُمْسٌ فِي مَوَاضِعِهِ إِلَيَّ، وَإِنْ أَحْبَبُوا أَنْ يَنْزِلُوهَا فَهُوَ الَّذِي لَهُمْ^(١).

كما سمح للقبائل بامتلاكها ولم يقصر الأمر على القواد، فالروايات تؤكد أن عمر قدم لبجيلة ربع السواد من الصوافي وليس من غيرها من الأراضي^(٢)، إلا أن هذا الإجراء لم يلبث طويلاً، إذ سرعان ما اتخذ تشريع آخر مغاير تماماً، فقد استرجع الصوافي من بجيلة ثم عوضها بجزء من الغنائم وقدرت بربع الخمس^(٣)، فقد أوضح سيف بن عمر بالدليل في معرض حديثه عن تراجع الخليفة عن تشريعه بقسمة صوافي السواد: " فلم يتأت قسم ذلك الفيء الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم، لأنه كان متفرقا في كل السواد، فكان يليه لأهل الفيء من وثقوا به، وتراضوا عليه"^(٤).

ولكن وجد في مصدر آخر أن الخليفة قد اعتمدها كقطائع لبعض الصحابة ولم يستردها، حيث أقطع كل من الزبير وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود وخباب، وأسامة بن زيد^(٥)، ولم يستردها كما فعل مع بجيلة.

يستخلص مما تقدم أن الخليفة عمر كان متحفظاً في منح القطائع ولم يكن سخياً، لأن هذا النوع من الترتيبات الإدارية قد أصبح على أوسع نطاق في عهود بعض من جاء بعد الخليفة عمر كعماوية بن أبي سفيان وغيره^(٦)؛ لأنه كان يدرك أن هذا العمل الإداري سيكون سببا في الإثراء،

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٢. جودة: العرب والأرض، ص ٩٣.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٨١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨٦. الدوري: التنظيمات المالية، ج ٢، ص ١٧٧.

(٥) ابن آدم القرشي (أبو زكريا بن آدم بن سليمان ت ٢٠٣هـ / ٨١٩م): الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٤هـ، ط ٢، ص ٧٤.

(٦) دينيت: الجزية والإسلام، ص ٦٤ - ٦٥.

لذلك كتب إلى عثمان بن حنيف في العراق أن يقطع جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط^(١).

والدليل أن عمر كان شديد التحفظ بقطع الأرض من الصوافي أن رجلاً من البصرة قدم إليه ، وشرح له حال الأرض بأنه ليست من أرض الخراج وإن أقطعه إياه لا تسبب أي ضرر بالمسلمين ، فكتب إلى أبي موسى " إِنْ كَانَتْ لَيْسَتْ تَضُرُّ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَيْسَتْ مِنْ أَرْضِ الْخَرَاجِ ، فَأَقْطَعْهَا إِيَّاهُ " ^(٢). وفي هذا دليل على أمرين تشدد عمر في الحفاظ على أرض الخراج والعمل قدر الإمكان على عدم انتقالها ليد العرب المسلمين، والثاني رغبته في استصلاح أراضي الموات وزراعتها للاستفادة منها.

أما الطريقة التي اتبعها الخليفة في إدارة أراضي الصوافي واستغلال وارتدتها لم تكن واضحة ، فقد أورد الإصطخري أن الأراضي تُعطى على أساس المزارعة أو المقاسمة، فقد ذكر : " أنه في عهد عمر بن الخطاب كان هناك مقاسمات على قرى صارت لبيت المال يزارع الناس عليها، فيقاسمون على العشر والتلث والربع وغير ذلك " ^(٣).

كما أن الترتيب الإداري الخاصة بالفلاحين الذين كانوا يعملون بموجبها في هذه الأراضي لم تكن واضحة بسبب عدم توفر المعلومات عن ذلك، لكنهم بقوا على أية حال مرتبطين بهذه الأراضي ووفق القوانين التي كانت سائدة، والتي ربما طورها عمر بما تتوافق مع العقيدة الإسلامية والأوضاع في ذلك الوقت، فهذه الممتلكات التي عملوا فيها، كانت تسمى الصوافي

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨٩.

(٢) يحيى ابن آدم: الخراج، ص ٧٤.

(٣) الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، ص ١٥٨.

يتصرف فيها الخليفة بوصفه الرئيس الأعلى للدولة، وزعيم الأمة، وكان الفلاحون العاملون فيها يدفعون الخراج مباشرة إلى بيت المال^(١).

وعلى غرار ما أدار أراضي الخراج فيما يخص بعملية البيع والشراء، اصدر الخليفة عمر قرارا بمنع بيع أرض الصوافي في العراق، أو حتى شرائها لأنه عدها ملكا للمقاتلة، حيث اشترى جرير بن عبد الله البجلي أرض صافية على شاطئ الفرات ، فأتى عمر وأخبره فرفض هذا الشراء وأمره برده^(٢)، وأوضح الطبري صحة عدم شراء أرض الصوافي بالعراق من حلوان إلى العذيب^(٣).

أما أراضي الصلح وهي النوع الثالث والأخير: كانت نسبتها ضئيلة في العراق إذا ما قيست بأرض الخراج والصوافي، مقتصرة على أرض الحيرة وبانقيا وبارسوما^(٤)، وقد حررها خالد بن الوليد وكتب معها صلحاً، وبالتالي هو من نظمها، فقد فرض على الحيرة تسعين ألف درهم، وعلى أهل بانقيا ألف درهم وطيلسان، وأن يكونوا له عوناً ومسالح^(٥)، فالعلاقة بين السلطة المركزية وأراضي الصلح كانت قائمة على المصلحة المالية، موثقه بمجموعة من العهود والمواثيق، يفرض عليها مبلغاً من المال ، يوزع بين أفرادها^(٦).

(١) شعبان(محمد عبد الحي محمد): صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للتوزيع والنشر، بيروت ١٩٨٣م، ص ٦٠ - ٦١. بيليايف(أ، ي): العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة: أنيس فرحة، محمود زايد، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣م، ط ١، ص ١٨٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨٩، ج ٤، ص ٣١، ٣٣، جودة: العرب والأرض، ص ٩٤.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص ١٠٤ - ١٠٦.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٤، ٣٤٦.

(٦) بطاينة: النظام المالي، ص ١١ - ١٢. الدوري: النظم الإسلامية، ج ١، ص ١٢١.

الديوان في العراق (إدارته، وما تم التشريع بخصوصه):

بعد فتح العراق واستقرار المقاتلة في الأمصار الجديدة التي تم اتخاذها موطناً للسكن ومنطلقاً للجهاد، اتجه الخليفة عمر إلى إنشاء الديوان في هذا المصر، فقد كان يشبه ديوان المدينة، وهذا الإجراء الإداري والتشريعي الذي أوجده عمر كان تطوراً طبيعياً فرضته هذه الظروف^(١).

وقبل الحديث عن تأسيس الديوان لابد من التذكير أن العراق فتح عنوة، على حساب سيد قديم - الملك الساساني ومن والاه- لكن أكثر الأشخاص الذين تربوا وعاشوا في العراق كانوا من غير الساسانيين، حيث كانوا أنباطاً أرغموا على العيش في العراق للعمل في الأرض، يدفعون الطسق، أي الجزية والخراج، وكانوا من المزارعين والعمال الفلاحين، فشكّلوا سوقة الأرياف الضخمة والتي بلغ عددهم ٥٥٠.٠٠٠ شخص، هذا العدد هو من إحصاء عثمان بن حنيف^(٢)، وبالتالي تواجد في العراق صنفان من الأراضي: أراض كانت ملك للملك الفارسي ول كبار الملاك الساسانيين، الذين وقفوا في وجه المد العربي، وأرض استقر عليها الفلاحين من البلاد بإشراف الدهاقين واستولى الجيش الفاتح على الصنفين بسبب فرارهم أمام تقدمه، وحسب السنة الإسلامية الأرض المفتوحة بالحرب يتقاسمها المقاتلين أرضاً وفلاحين، فقد روى الطبري أن نصيب كل مقاتل كان ثلاثة رجال^(٣)، و على الرغم مما جاء في القرآن من أن الأرض يجب أن تقسم بين المقاتلين، إلا أن الحل أمام الخليفة عمر بن الخطاب كان عدم التقسيم، وهذا الموضوع قد نوقش بكثرة في الدولة العربية الإسلامية، وبالتحديد في المدينة، فقد تمسك عبد الرحمن بن عوف وبلال بالتقسيم، وعارضه عمر بن الخطاب، وكان علي بن أبي طالب من المؤيدين له، وكذلك عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل^(٤)، والخليفة عمر اعتمد في رأيه على آيات سورة الحشر فيما يتعلق بالفئ حيث تعرضت لأوضاع المهاجرين والأنصار، ((والذين جاؤوا من

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٧٩، ص ٥٨٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٠.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٦. ابن سلام: الأموال، ص ٥٩ - ٦٠.

بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا^(١)، فعد عمر بن الخطاب أن الآية تقصد الاجيال القادمة^(٢).

المهم أن الخليفة عمر عد أراضي العراق فيء ولكن لا تتصرف فيها الدولة كيف تشاء، وتتركها من المقاتلين، بل تقوم بدور الوساطة وتبتكر حلاً وسطاً يجعل الفيء ملكاً مشاعاً للمجتمع العربي الإسلامي، فيشمل قبل كل شيء المقاتلين أي يقع بين الغنيمة المترتبة من الاموال المنقولة والقبالة للتقسيم، والخاضعة لدفع الخمس إلى بيت المال، وبين التصور القرآني للفيء الذي يوكله تماماً إلى مشيئة الرسول^(٣).

عاد الفلاحون إلى المنطقة الواقعة بين الفرات ودجلة وكذلك فلاحو ما وراء دجلة، عادوا إلى أراضيهم بعد تبدد الرعب ولاسيما أنهم شجعوا على العودة، بموجب عهد مكنهم من البقاء على حالهم في استغلال الأرض^(٤)، أما من لجأ للفرس فقد ترك الخليفة عمر للمقاتلين حرية التصرف بهم إما القتل أو الاسترقاق، وقد اعتنق الكثير من الدهاقين الإسلام، وهؤلاء قاموا بالوساطة الجبائية بين الفلاحين والسلطة العربية ومن ثم اتجهت أكثر فأكثر إلى التنوع ارتباطاً بمحصولات الأرض وبالقرب من مراكز التسويق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب^(٥).

وكانت جباية الأرض الخراجية حوالي مئة مليون درهم خصص أكثرها لتسديد أعطيات المقاتلين المقيمين^(٦)، وكان بيت المال المركزي يتغذى بما زاد من مداخيل العراق، وأعاد الخليفة عمر توزيع جانب من المال على المستحقين من النخبة الإسلامية المدنية والمسجلين في الديوان، فالخليفة عمر لم يكن يرغب بحماية الزراعة فحسب، وإنما أن يحافظ بالدرجة الأولى على هيكلها البشري والجبائي، ورغب أيضاً تجنب غليان الأطماع وتراتب الناس حسب ثرواتهم ، وأخيراً رأى

(١) سورة الحشر، رقم الآية (١٠)

(٢) جعيط: الكوفة، ص ٨٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٤ - ٦١٥، ص ٥٨٤ - ٥٨٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٥ - ٢٦٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٠.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٦٨ - ٢٧١. أبو يوسف: الخراج، ص ٣٦ - ٣٨.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٢.

أن الخيار العسكري أمراً دائماً يوجب تحرير العرب من الهم الاقتصادي، والاستعاضة عن الاتجاهات الاقليمية التي يحتمل أن تنشأ عن الاستقرار الزراعي بمبدأ الأمة الإسلامية وتضامنها أيضاً^(١).

وبذلك فإن فيء العراق لا يوزع على الرجال الذين افتتحوه عنوة فحسب، فقد أصبح المهاجرين والأنصار يستحقونه^(٢)، وكل الذين وفدوا على العراق من العرب البدو أو الروادف التي لم توزع قبل سنة ٢٠ هـ / ٦٤٠ م، والأجيال القادمة، وبالتالي وجد صلة بين الجهاد والعطاء، وللقراء شكلوا فئة قائمة بذاتها أجري لها العطاء بصفتهم تلك بالتساوي مع أهل القادسية ٢٠٠٠ درهم^(٣).

فقد كان المغيرة بن شعبه هو أول من وضع الديوان في البصرة وذلك بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، وعين كاتباً عليه هو زياد بن أبيه^(٤)، ومن كثرة إعتناء المغيرة بالديوان وتنظيمه الفائق له، فقد عُدَّ مثال احتذت به جميع الدواوين التي أسست في الأمصار^(٥)، كما تم إنشاء ديوان آخر في الكوفة، وكان أحد الديوانين باللغة العربية، مهمته إحصاء الناس وأعطياتهم^(٦).

كما كان لكل قبيلة في العراق (الكوفة والبصرة) ديواناً يسجل فيه جميع أفرادها ومن ينتسبون إليهم^(٧)، فقد كان لقبيلة النخع ديواناً خاصاً بها، حيث ذكر أبو سفيان بن العلاء قائلاً: كُنَّا بالكوفة مَعَ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ فَسَأَلَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ^(٨) أَعَرَبِيٌّ هُوَ أَمْ مَوْلى؟ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ فِيهِ

(١) جعيط: الكوفة، ص ٨٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٢. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٤.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٩٥.

(٥) ماجد(عبد المنعم): تاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٤، القاهرة ١٩٦٧ م، ص ١٠٩.

(٦) ابن حبيب: المحبر، ص ٣٧٨.

(٧) جودة: العرب والأرض، ص ١٩٠.

(٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٩٥.

فأرسل إلى عرفاء النخع فأتوه بديوانهم فُوجِدَ في الديوان مَوْلى^(١)، كما وردت إشارة إلى وجود ديوان لكندة وحضرموت^(٢)، وآخر لقبيلة مذحج^(٣).

وهدف الخليفة عمر من هذا التنظيم الإداري أن يكون لكل قبيلة ديوان، يعرف من خلاله عدد المقاتلة فيهم، وجميع أفرادها من نساء ورجال، كما رغب أن يربط بين القبائل في العراق^(٤)، وأن يربط هذه القبائل بالقيادة المركزية المتمثلة بالخليفة ومقره الرئيس في المدينة المنورة^(٥)، أي رغب من ذلك التحكم بهذه القبائل من الناحية الاقتصادية وخاصة أن موردها الأساسي لتغطية نفقات حياتها قائم على هذا العطاء.

إدارة سكن القبائل المشاركة بالفتح، وسكان البلاد المفتوحة:

دعت استمرار حركات التحرير في العراق في عهد الخليفة عمر إلى التفكير بإيجاد مقرات دائمة لاستقرار الجند المقاتلة الذين كانوا يخوضون المعارك في جبهات العراق فمصر كل من الكوفة والبصرة.

حيث أمر الخليفة عمر القواد في العراق أن لا يسكنوا الأماكن المحررة وإنما طلب منهم أن يسكنوا في معسكرات ومقرات شبه دائمة تنطلق منها الجيوش العربية لمواصلة عمليات التحرير ولإمداد القوات المحاربة في جبهات القتال المختلفة، لذلك احتشدوا في معسكرين كبيرين هما الكوفة والبصرة أي قام بإجراء إداري غاية في الأهمية يتعلق بإدارة سكن المقاتلين في هذين

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٩٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٢٤٩.

(٣) ابن مأكولا (علي بن هبة الله بن أبي نصر ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م): الاكمال، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١ م، ط ١، ج ٢، ص ١٢١.

(٤) النعيمي (نزار محمد قادر): الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية منذ تأسيسها وحتى سقوط بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٤ م، ص ٣٦.

(٥) الدوري: النظم الإسلامية، ج ١، ص ١٨٨.

المصريين^(١)، حيث اتخذتا قواعد للانطلاق بعد أن أصبحوا بعيدين نسبياً عن مركز الخلافة في المدينة، ولم يعد بالإمكان رفدهم بالجند والمؤن^(٢).

فقد رغب الخليفة من هذا الإجراء الإداري أن لا يختلط العرب بالأمم المفتوحة، ويتعودوا على الرفاهية، كما أن العرب في تلك الحقبة كانوا عبارة عن قبائل عربية ذات لهجات متعددة، حيث رغب أن يصقل اللغة العربية ويقارب ما بينها من أجل الحفاظ على سماتها المتميزة^(٣).

واستمر الخليفة عمر في الربط بين مركز الإدارة والتشريع في المدينة وبين العراق (الكوفة والبصرة)، فكتب إلى عتبة بن غزوان وهو في منطقة البصرة وإلى سعد بن أبي وقاص وهو بالمدائن، أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم، فتحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه، فنزل البصرة^(٤).

لذلك عندما تمكن عتبة بن غزوان من فتح مناطق واسعة في العراق الجنوبي، كتب إليه الخليفة عمر "أن أجمع أصحابك في موضع واحد"، لذلك قرر عتبة أن يكون لهم مشتي يسكنون فيه، فأتخذ من البصرة مقراً له إذ كانت خالية من السكان، وكانت منازلها خربة، فنزلها عتبة بأصحابه^(٥)، وبالرغم من أن الأبله المنطقة الوحيدة التي كانت قاعدة عسكرية للساسانيين، والميناء التجاري المهم إلا أنه لم يتخذها مركزاً إدارياً له ولا قاعدة عسكرية لجيوشه، لأنها كانت محاطة بالماء والأشجار، فخاف من أن تكون عائقاً في وجه تحركات جيشه، كما أنه أخذ برأي

(١) ماسينيون (لويس): خطط الكوفة وشرح خريطتها، النجف ١٩٧٩م، ص ٤١، كلود (كاهن): تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ١٩٧٢م، ص ٣٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٩٧.

(٣) العبيدي (عبد الجبار): إدارة الأمصار ودور المتقنين فيها، مجلة المؤرخ العربي، بغداد ١٩٨١م، عدد (١٧)، ص ١٣٧.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٠٥.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٣٧.

الخليفة عمر الذي كان يمنع مقاتليه على الجبهتين (البصرة والكوفة)، من اتخاذ المدن القديمة مخيمات لهم حتى لا ينشغل هؤلاء في حياة التمدن فتخف عزيمتهم^(١).

وقد نزل العرب في البداية بالخيام والقباب، فاستيطانهم فيها كان بأدوات بسيطة، إلى أن اتسعت الفتوح، طلب أهل الكوفة والبصرة من الخليفة عمر أن يسمح لهم السكن ببيوت من القصب، وعلى الرغم من امتعاضه من الموضوع لكنه سمح لهم، وبالتالي إن هذا التحول في السكن لن يتم إلا بعد موافقته^(٢).

ومن أجل تنظيم وإدارة توزيع القبائل؛ أصدر الخليفة عمر في عام ١٧ هـ / ٦٣٨ م أمراً إدارياً غاية في الأهمية، فقد ولى أبو موسى الأشعري وطلب منه أن يوزع الخطط لمن هناك من العرب، ويجعل لكل قبيلة في خطة وأن يأمر الناس بالبناء والاستقرار، بعد أن يتخذ دار إمارة ويخط مسجداً لتتوزع الخطط حوله^(٣).

فالخليفة عمر لم يغفل على الإطلاق مدى التطور الذي حصل بعد اتساع الفتوح واستقرار العرب بالأمن، ومدى التطور الأمني الذي رافق تطور باقي الجوانب، على الرغم من أنه كان ضد تحويل معسكرات القتال إلى مساكن، أوعز إلى أبي موسى الأشعري بأن يقسم البصرة إلى اخماس والهدف من ذلك هو تسهيل عملية توزيع الأرزاق على المقاتلين، وهذه الاخماس كانت على النحو التالي:

-خطة أهل الراية: أهل الراية جماعة من قريش، والأنصار وخزاعة، وأسلم، وغفار، ومزينة، وأشجع، وجهينة، وثقيف، ودوس، وعبس بن بغيض، وحرش من بني كنانة، وليث بن بكر، والعنقاء منهم إلا أن منزل العتقاء في غير الراية، وإنما سمو أهل الراية، ونسبت الخطة إليهم لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته، فجعل لهم عمرو بن العاص راية، ولم ينسبها إلى أحد

(١) (ناجي) (عبد الجبار): دراسات في تاريخ المدن العربية، البصرة ١٩٨٦م، ص ١٣١.

(٢) (الطبري): تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) (ابن قتيبة الدينوري): عيون الاخبار، ص ١١٨.

فقال: يكون موقفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها، وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم، وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه، ابتدأوا من المصف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن، وهو باب الحصن الذي يقال له: باب الشمع، ثم مضوا بخطتهم إلى حمام الفار، وشرعوا بغربها إلى النيل، فإذا بلغت إلى النحاسين، فالجانبان لأهل الراية إلى باب المسجد الجامع^(١).

- قبائل عبد قيس، صارت لها خطط خاصة بها، وقد نزلوا البصرة أواخر خلافة عمر، لذلك كانت خططهم بعيدة نوعاً ما عن المسجد الجامع، فذكر البلاذري أنها كانت واقعة قرب نهر كان الأحنف بن قيس قد كلم فيه عمر بن الخطاب، فأوعز لأبي موسى بحفره لهم^(٢).

- قبائل الأزد: هم آخر من نزلها بعد التمسير، لذلك أرسل الخليفة عمر بعض من تتوخ إلى البصرة رغبة منه في حفظ التوازن بين القبائل حيث كانت مضر أكثر من ربيعة^(٣)، وبالتالي اعتمد الخليفة في تمصير البصرة على نظام الأخماس.

لقد كانت أحوال البصرة الاجتماعية في أوائل العهد أقل توفيقاً من الكوفة في جذب المهاجرين العرب، وذلك لأن فتوحاتها كانت بطيئة جداً، كما أن دخلها كان قليلاً، وهذا ما دفع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخصص للبصريين بعض المقاطعات التي فتحها أهل الكوفة، وطبق عليهم نفس القواعد التي طبقها على الكوفيين في توزيع العطاء، وهذه الإجراءات الإدارية والاجتماعية التي اتخذها الخليفة عمر دفعت البدو المقيمين في أطراف المنطقة على الهجرة إليها^(٤).

(١) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١٢، ص ٣١٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥١٦. خربوطلي: تاريخ العراق، ص ٢٩٠.

(٤) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٤٠.

لم يكن من السهل في السنوات الأولى أن تكون القبيلة في البصرة هي أساس طبيعي لتوزيع العطاء، لأن هجرة العشائر لم تكن منظمة، فبعض العشائر كثيرة العدد والبعض الآخر قليل العدد، كما أن عددها كان يقل أو يزيد لذلك اضطر الخليفة أن يوزع العطاء على وحدات قسمتها على أسس لا علاقة لها بالنسب بل كان لكل عرافة مبلغ من المال يوزع على أفرادها، وعرفوهم على مائة ألف درهم، فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عيل على مائة ألف درهم، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين عيل ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة، على مائة ألف درهم، ثم على هذا من الحساب، وكان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات على أيادي العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه إلى أهلهم في دورهم^(١).

أما العبيد أو الأسرى ممن وقعوا بيد العرب أثناء الفتح، فقد أطلقوا سراح العدد الأكبر منهم، ولم يتم استرقاق إلا من قاوم مقاومة شديدة ولا سيما حاميات المدن^(٢). وعلى الرغم من عددهم في البصرة إلا أنهم لم يدخلوا في سجل العطاء، ربما لأن عددهم لم يكن ثابتاً بل كان يتوقف على سرعة الفتوح وكثرة الغنائم، وكان لكل عائلة خادم يخدمها حتى المطلقة لها من طليقها نفقة أو خادم^(٣).

وقد وجد إلى جانب الموالى عدد من القوات الساسانية بعد أن استسلموا للعرب واتفقوا معهم على القتال بصفوفهم، أو القيام ببعض المهام البوليسية والإدارية في البصرة، وقد منحت هذه القوات نفس حقوق العرب، فأعطيت الخطط، وجعل لهم الأرزاق والعطاء، وسمح لهم أن يحتفظوا

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٩.

(٢) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ٦٣.

(٣) الطبري: التفسير، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠م، ج ٥، ص ٢٦٢.

بتنظيماتهم ويتمتعوا بثقافتهم وحضارتهم، وبالتالي شكلوا مجتمع مختلف عن المجتمع العربي ومتميز عنه^(١).

وكان من أهم القوات التي سكنت البصرة الأساورة وهم قوة عسكرية تابعه للفرس كانت تحارب العرب في الأهواز، وعندما وجدوا أنه لا جدوى من مقاومة العرب عقدوا معهم اتفاقاً تحدد بموجبه أن يأخذوا ما للعرب من حقوق، وأن يكون لهم مجتمعهم بتنظيماته وكيانه، والعرب لم يترددوا إطلاقاً في قبول الشروط، لأنهم كانوا بأمس الحاجة لمثل هؤلاء نظراً لمهارتهم الحربية التي اعتمد عليها العرب في فتح تستر وخراسان^(٢).

ولقد بلغ عدد الأساورة في البصرة حوالي ألفين وخمسمائة، خمسة منهم يأخذ حوالي الفين وخمسمائة درهم من العطاء، ومائة يأخذ ألفين درهم، ثم ازداد عددهم بانضمام عدد كبير من القوات الساسانية الهاربة^(٣).

والسيابجة أيضاً قوة فارسية كانت في البحرين والخط والطفوف، ثم استسلموا للعرب فأسكنوهم في البصرة، ووكل إليهم حراسة بيت المال والمسجد والجامع وجار الإمارة، وبالتالي شكلوا قوة بوليسية لا يستهان بها، إلا أنهم لم يشتركوا في الفتوح كما الأساورة^(٤).

أما تنظيم حياة الفلاحين من الساسانيين ممن هجروا أرضهم بعد اندحار الفرس، حاولت الدولة العربية بعد الفتح أن تخفف العبء الاجتماعي عنهم، فخففت الضرائب، وبالتحديد النيروز والمهرجان وخرزات الملك، وأتاحوا لهم بعض الحرية، فعاد الكثير منهم إلى أراضيهم، وهذا ما كان يبتغيه الخليفة عمر، إذ أن العرب حديثو الخبرة بإدارة البلاد الزراعية وبالتالي لن يستطيعوا أن يهيمنوا على شؤون الإدارة الزراعية^(٥).

(١) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٧٣ - ٣٧٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٩٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٧٤.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٤، ص ٤٣. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٧٣، ٣٧٨.

(٥) البلاذري: فتوح، ص ٢٧٣. أبو يوسف: الخراج، ص ٢. ابن سلام: الأموال، ص ٢٨٣.

وكان يشرف على شؤون الإدارة في البصرة الأمير وكان يتمتع خلاله إشغاله منصبه بشبه استقلال ذاتي؛ لكنه في الوقت نفسه مسؤول تجاه الخليفة ويعمل باسمه، حيث كانت الشكاوي ضد الأمير ترفع إلى الخليفة حصراً وكان الخليفة عمر يصغي إليها شخصياً أو يرسل محققين ليفحصوها، أو يستدعي الأمير ليحقق معه^(١).

وكان يساعد الأمير في حفظ النظام عدة دوائر إدارية تساعد في الإدارة وتطبيق القانون، وكانوا يأخذون الرواتب من الدولة وينفذون أوامر الأمير، وكان جلهم من الأعاجم وليست لهم قبائل تسندهم، وكان من أهم القوات التي اعتمدها الأمير في تثبيت السلطة هم الشرطة وفي عهد الخليفة عمر كان معظمهم من السباجية، ووكل إلى أربعمئة منهم مهمة حراسة بيت المال بالبصرة، والسجن منذ زمن أبي موسى^(٢).

ووجد عدد من الموظفون في البصرة وهؤلاء كانوا يعملون تحت إشراف الوالي أو الأمير وتحت رقابة الشعب، لذلك كانت مجالات الاستغلال أمامهم قليلة جداً، كما أنهم كانوا يأخذون رواتب ليست بقليلة، تمكنهم من أن يعيشوا حياة لائقة، إلا أن البعض منهم كالقسامين والعمال على السوق كانوا يتقاضون بدل الرواتب أجور على ما يقومون به من أعمال وهذا ما كان يتيح لهم فرصة الاستغلال والحصول على الثروة وبالتالي اتجه الناس في عهد أبو بكر ينشدون الحصول على الوظائف لما يرون فيها من مصادر للريح والحصول على المال^(٣).

لكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يقف مكتوف الأيدي تجاه استغلال الوظائف في البصرة، بل أخذ تدابير لتقييد الولاة والموظفين ومنعهم من الابتزاز سواء للأموال أو الاختلاس، فكان يعين موظفين خاصين مستقلين يشرفون على الغنائم وتوزيعها، فقد عين عمرو بن عمرو المزني على

(١) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ١١٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ٣٦٥. العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ١١٢.

(٣) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ٢٢٥.

جمع الغنائم في القادسية والمدائن، وسلمان بن ربيعة على توزيعها^(١)، وعين السائب بن الأقرع على غنائم نهاوند، وزباد بن أبيه على قسمة غنائم الابل^(٢).

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل بين الحين والآخر مندوبين لبحث الشكاوي المقدمة من سكان البصرة ضد عماله وموظفيه، فقد كان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكى زمن عمر^(٣).

وبالتالي حاول عمر بن الخطاب عدم تركيز الوظائف الإدارية الكبرى بيد شخص واحد، بل وزعها بين عدة أشخاص يكون كل واحد منهم رقيب على الآخر، لكن هذا الاجراء لم يكن حاسم في كل الأوقات إذ أن بعض الموظفين كانوا يخضعون للأمر أو الوالي الذي هو كان يسيء الاستغلال، كما أنهم قد يتفوقون مع بعضهم البعض فيغطي كل منهم للآخر سرقة.

أما الكوفة أيضاً تم تمصيرها بأمر من الخليفة عمر، وذلك بعد مشورة أهل الرأي وكان يرأسهم رجلاً أرسله الخليفة عمر بن الخطاب، وهذا ما تم توضيحه من رواية لسيف بن عمر: قائلا: أن عمر رأى أن يكون على تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك، ونظمت الكوفة إدارياً حيث شيدوا فيها المسجد ودار الإمارة وبيت المال لكنها امتازت بالبساطة في بنائها إذا ما قورنت بالبصرة^(٤).

وكان السبب الذي دفع عمر إلى تأسيس الكوفة وجعلها مركزاً للجند، هو أن العرب ظهر عليهم علامات التعب والإرهاق بعد أربع عشرة شهراً من الإقامة في المدائن، تخللتها بعض العمليات العسكرية في جلولاء وحلوان وسواد الكوفة، وسبب التعب هو عدم قدرة العرب على التكيف مع المناخ الجديد الشديد الرطوبة والذي وصفه العرب بأنه متعفن^(٥)، وبالتالي بدأوا يفتشون عن موقع

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١١٦.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤ - ٤٨.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٠.

يتشابه مع المكان الذي قدموا منه، فجاء الاختيار على موضع الكوفة لوقوعها أولاً على مشارف الصحراء، كما أن اختيار الكوفة فرضه خيارات سياسية واستراتيجية وثقافية، ويتوافق ثانياً مع أوامر الخليفة عمر بن الخطاب التي أدت دوراً جوهرياً في اختيار الموقع، فكان يقول: "إن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل"^(١).

جاء اختيار الكوفة كهدف لمراقبة السواد وعدم قطع الاتصال ببلاد العرب وذلك بعد أن كان سعد يخطط لاختيار الأنبار، التي كانت تتمتع بموقع استراتيجي جيد، وكانت مدينة حدودية، هذا فضلاً عن وقوعها بمدخل وطريق مائي بين الفرات ودجلة، لكنها لم تتفق مع رأي عمر لأنها تقع وراء الفرات، لذلك اتجه إلى المنطقة الواقعة بين سوق الحكمة حتى الحيرة، فالحيرة كانت شديدة التوغل نحو البادية^(٢)، لكنها لم تكن قريبة من السواد الذي يشكل أهمية اقتصادية بالنسبة للدولة العربية الإسلامية الناشئة، ولاسيما من النواحي الزراعية^(٣)، لكن قربها من الكوفة هي التي جعلت العرب تتخذ من موقع الأخيرة مقراً لهم، بالإضافة إلى نصيحة بني ببيعة لسعد شغل دوراً لا بأس به في اختيار موقع الكوفة^(٤).

كان موقع الكوفة نقطة التقاء بين عالمين، فهو يفتح على الإمداد القادم من الصحراء، أولاً وثانياً يشرف على السواد على الرغم من أنه متأخر عنه قليلاً، كما أنه كان خالي من البيوت فلم يجدوا فيه إلا ثلاث أديرة وهي دير حرقة، ودير أم عمرو، ودير السلس، وبالتالي كانت المسيحية قد انتشرت بها انطلاقاً من الحيرة، وبالتالي كان عام ١٧هـ / ٦٣٨م، اقيم أكبر تجمع للقبائل العربية، والعشائر وأنصاف القبائل^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٣. جعيط: الكوفة، ص ٩٦.

(٣) العلي (صالح): منطقة الحيرة، مجلة كلية الآداب، بغداد، عدد ٢٥، ١٩٦٢م، ص ١٧ - ٤٤.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ٢٧٥.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤١. جعيط: الكوفة، ص ٩٧، ٩٩.

مر تمصير الكوفة بمراحل، فالمرحلة الأولى هي الانتقال من مرحلة تجمع المعسكرات إلى مرحلة التوزيع على حارات المدينة، ففي سنة ١٧هـ / ٦٣٨م، فلم تكن خلال الخمس السنوات الأولى إلا مجرد تجمع من خصائص القصب (أكواخ وهران)، حيث كانت النساء تصاحب الرجال في الحب وتنتزع القصب، واثناء ولاية المغيرة ٢٢ - ٢٤هـ / ٦٤٢ - ٦٤٤م، ظهرت الخيام المصفوفة بصورة دائمة، وكان لها حيطان من لبن^(١)، فالكوفة حتى عام ٢١هـ / ٦٤٢م، كانت مكان إقامة عسكرية، ويرجع ضعف استقرار العرب في الكوفة لأنهم اتجهوا بنشاطهم بشكل واسع نحو الجبال، ولكن بعد معركة نهاوند استقروا فيها وبالتالي استخدموا بدل الخيام بيوت مبنية من لبن^(٢).

ويذكر الطبري أن القبائل العربية في البداية طلبوا من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يأذن لهم في البناء بالقصب، فلم يرفض ذلك لكنه فضل البقاء بالمعسكرات، ولاشك أن كان يؤيد نصب الخيام^(٣).

لكن عندما شب حريق في شهر شوال ففضى على كل شيء وبعد عدة أشهر استقر العرب في محرم وطالب أهل الكوفة أن يؤذن لهم في البناء بالقصب ويعني اللبن، فكان ذلك منطلق التخطيط (أي التخطيط تزامن مع قرار البناء باللبن)^(٤).

إلا أن جعيط أورد نقلاً عن ماسينون أنه وجد في الكوفة الخصائص بشكل عفوي، وذلك بسبب الرغبة الجامحة في الاستقرار عليها، فشكلت ما يشبه القرية الكبيرة، ثم جاء دور التخطيط والتمصير سريعاً جداً بقيادة سعد، وانتصبت على الأرض شكل لمدينة قادره على استيعاب وجود

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩١. جعيط: الكوفة، ص ١١٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٦-٧.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٣.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤.

جماعي جديد للإسلام، ودائم ومدني وحضري. وكان القصب المادة المهيمنة في ولاية سعد باستثناء المسجد والقصر، خلافاً لما قاله سيف من أن المغيرة هو الذي أدخل اللبن^(١).

ثم أورد جعيط رأيه حيث قال إن الأمر ليس ثابتاً، فضلاً على أن تغيير المواد لو وقع زمن المغيرة لدخل على بنية مدينة سابقة الوجود، فلم يكن له أن يغير من تنظيم الفضاء الداخلي، فكانت نية التمصير حاضرة منذ البداية، وكذلك الجانب الإيرادي في ظهور المدينة^(٢).

بعد اختيار الموقع أول شيء اختط في الكوفة هو المسجد، حيث وضع موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق فاخطوه، ثم قام رجل من أساورة القادسية في وسطه وهو رامي قوي، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبني وراء السهمين^(٣).

وجعل للمسجد خندقاً، لكي لا يتم اقتحام بنيانه، وهذا ما أعطى المسجد والصحن قداسة، فلم يطمع أحد من القبائل بالصحن، فلم يكن فيه إلا المسجد والقصر والسوق^(٤)، وقد بني المسجد باللبن من قبل أبو موسى الأشعري، أما الصحن فقد كان غير مسيحي، أو ربما كان تسجيحاً قليلاً جداً، وذلك حتى يتمكنوا من الإشراف على الجسر ودير هند، ولكن الظلة هذه وجدت منذ البداية وقد شيدت بشكل خفيف بالقصب وحتى باللبن^(٥)، لكن سعد ما لبث أن هدم الظلة وقوضها، بعد أن حدد موقع المسجد نهائياً فبنى بناءً صلباً مصمماً، وهذا أن دل يدل على وجود نية تمدنية لدى الحكومة العربية^(٦).

(١) الكوفة: ص ١٢٦.

(٢) الكوفة: ص ١٢٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٥.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٤٢.

(٦) جعيط: الكوفة، ص ١٣٧.

أما القصر فقد جاء لدى البلاذري أن سعداً بنى قصراً واحاطه بالقصب وجهزه بباب من الخشب^(١)، في حين جاء لدى الطبري إن القصر ارتبط بالمسجد بواسطة نفق طوله ٢٠٠ ذراع، أي ١٠٨ أمتار، بني بالآجر، وكان منتزع من قصر ساساني يوجد بالحيرة، وكان يحتوي على بيت المال إلا أنه تعرض للسرقة فقام بهدمه ومن ثم نقله قريباً من القصر ومحاذياً له^(٢).

الرحبة والسوق والآري: حيث كانت تشكل هذه الأماكن الثلاثة المساحة المركزية، فالرحبة هي الفضاء الملاصق للقصر والمسجد من جهة اليمين، وكانت الرحبة تقوم بدور غير واضح في بداية الأمر، لكنها كانت فناءً ضرورياً للمرور إلى المسجد وخطط القبائل البعيدة عنها، حيث كانت جموع الفرسان تتقاطر للصلاة من جهة المسجد^(٣).

وكان إلى جانب الرحبة سوقاً شكل عنصراً أساسياً هو الآخر في الساحة المركزية، وكان يحيط بالمركب المركزي المتكون من القصر والمسجد، ولم ينشأ بشكل عفوي بل كان وجود السوق إرادياً محدد الموقع، على الرغم من أنه كان بسيطاً جداً وكان مغطى بالحصر^(٤).

ونظراً لاهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بالخيول، فقد أمر بأن يكون هناك مرعى للخيول في كل مدينة يتم تمصيرها، وهو ما عرف بالآري، وكانت الدولة تشرف عليه وتملكه، والآري مرعى عمومي مخصص لخيول الجيش التي هي ملك للدولة حيث توفرت أربعة آلاف فرس في خلافة عمر بن الخطاب، وكان يربطها فيما بين الفرات والابيات من الكوفة مما يلي العاقول فسمته الأعاجم " آخر الشاهجان" أي معلف الأمراء^(٥).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٥-٤٦، جعيط: الكوفة، ص ١٤١.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٥، ص ٢٣٩. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٦، ج ٨، ص ١٢٢.

(٤) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص ٣١٠. العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ٢٦٣.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٢.

وكان عمر بن الخطاب قد اقطع أبو موسى الأشعري نصفه والنصف الثاني قد أقطعه لجماعة من عبس، كما وهب لبعض الصحابة الكبار، وكانت هذه الإقطاعات التي أقطعها صالحة للبناء^(١)، أي أن الآري كان مكان لرعي الخيل، تقع في الساحة المركزية كعنصر للتنظيم العسكري المدرج في الفضاء بشكل دقيق، وفي نفس الوقت مكان للسكن حيث اقتطع الخليفة بعض الأماكن الصالحة للبناء لبعض الصحابة.

أما توزيع القبائل فقد كان على النحو الآتي:

- جنوب المسجد نزلت قبائل بني أسد والنخع وكندة والأزد وتغلب.
- شمال المسجد نزلت قبائل سليم وثقيف وهمذان وبجيلة وتميم اللات وتغلب.
- شرق المسجد نزل الأنصار ومزينة وتميم ومحارب وعامر.
- غرب المسجد خصص لقبيلة بجيلة، ولجديلة، اختلطت معها مجموعة من القبائل وجهينة ومجموعة مختلطه من القبائل^(٢).

إلا أن الحال لم يبق على هذا النحو فقد حدث خلل في تنظيم الأعشار في العراق بعد كثرة الروادف، ورجحت كفة قبيلة على أخرى، فطلب سعد بن أبي وقاص من الخليفة عمر أن يسمح له بتعديل التنظيم، فوافق شريطة أن يستشير من له دراية بالأنساب، وغيرهم من أصحاب الرأي والمشورة من القبائل، فرتبوا القبائل على أسباع، حيث قال له: "أن عد لهم، فأرسل إلى قوم من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلانهم منهم سعيد بن نمران ومشعلة بن نعيم فعدلواهم، فاجعلوهم أسباعاً"^(٣).

وقد كان هدف الخليفة من هذا التنظيم الإداري لسكن المسلمين أن تجتمع القبائل والعشائر التي ترجع إلى نسب واحد في خطة واحدة، فأوجدوا الأسباع، حيث شكلت قبائل كنانة وحلفاؤها من

(١) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص ٣١٠-٣١١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٨. جودة: العرب والأرض، ص ١٦٨.

الأحابيش وغيرهم، ويطلق عليهم أهل العالية سبعاً. وكونت قبائل قضاة وبجيلة وخنثم وكندة وحضرموت والأزد وهم من اليمانية سبعاً، في حين سكنت كل قبائل مذحج وحمير وهمدان وحلفائهم سبعاً. وكونت كل من قبائل تميم وسائر الرباب وهوزان أيضاً سبعاً، ونزلت قبائل أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً^(١). وتوطنت قبائل أياد وعك وعبد القيس وأهل هجر وأهل الحمراء وهم أربعة آلاف يسمون جند شهنشاه فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء فأعطوا الذي سألوه، وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم وأنزلهم سعد بحيث اختاروا، وفرض لهم في ألف ألف، وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم^(٢).

أما السبع السابع لم يرد في المصادر : نزله حسب رأي (جودة) كل من بكر بن وائل وسائر ربيعة غير عبد القيس، وتغلب^(٣).

ويستدل من التخطيط العمراني المنظم لكل من الكوفة والبصرة على قدرة عمر الفذة في التخطيط الإداري والعمراني، وخاصة عندما ترك مساحات واسعة حول المسجد في منتصف المدينة، حيث كان يدرك تمام الإدراك أن التوسعات البشرية ستزداد، وبالتالي ستستوعبهم هذه المساحات سواء في المسجد أو الأسواق أو حتى الشوارع.

يستنتج مما تقدم أن العراق قسم إلى مصرين الأول حاضرتة البصرة، والثاني حاضرتة الكوفة، وكان لكل مصر أو ولاية قائد لها، لها مسجدها ودار الإمارة الخاصة فيها هذا بالإضافة إلى بيت المال الخاص بكل ولاية، وكان لكل ولاية قواتها العسكرية الخاصة ووجهتها الخاصة، فقوات البصرة كانت مسرح عملياتها العسكرية نحو بلاد فارس وخراسان، أما الكوفة كانت وجهتها أرمينه

(١) الطبري: تاريخ والملوك، ج ٤، ص ٤٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٥.

(٣) جودة: العرب والأرض، ص ١٦٩ - ١٧٠.

واذربيجان والديلم، وهذا ما جعل لكل ولاية ثغوراً تابعه لها يعين عليها عمال من قبل ولاية الأمصار لكن بعد موافقه الخليفة عمر، أو يتم إرسال عامل إلى الثغور مباشرة من الخليفة^(١).

أما فيما يتعلق بسكان المناطق المفتوحة في العراق:

اتجه الخليفة عمر إلى إحصاء السكان بعد أن مسح أرض السواد ، لأنه هدف من وراء هذا المسح أن يميز أراضي كسرى وأسرته، وأراضي من قتل من أصحابها، أو فروا من وجه المسلمين أثناء الفتح، وأوكل بهذه المهمة الإدارية إلى الصحابة، حيث أحصى الصحابي سعد بن أبي وقاص من وراء المدائن، فوجدهم أكثر من ١٣٠٠٠٠ نسمة، أو ١٣٠ ألف اسرة، حيث كان الهدف من هذا الإحصاء هو عدم ظلم الافراد، وأن يحفظوا للدولة حقوقها ومداخلها^(٢).

وكاد المسلمون أن ينخرطوا بسكان الأرض المفتوحة أن يعتادوا عاداتهم لولا أن عمر سارع إلى إدارة المجتمع في العراق، فحذر عماله من خطر الانسياق وراء عادات وتقاليدهم سكان المناطق المفتوحة، وأسماءها بدع سوء، فقد روي عن عمر أنه رأى قوماً يتبعون رجلاً من أسيادهم ويحيطون به، فضربهم جميعاً، فقال كبيرهم: يا أمير المؤمنين لماذا تضربنا، اتق الله، ماذا صنعنا، فقال: " أما علمتم أنها فتنة للمتبع ومذلة للتابع"^(٣).

(١) (فهد بدر محمد): الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي، وقائع النظم الإسلامية، مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض ١٩٨٧م، ج ١، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) (العمرى إبراهيم): الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ط ١، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) (البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م): المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ص ٣٢٠.

فبعث إلى حذيفة بن اليمان، بعدما ولاه المدائن : " بلغنا أنك تزوجت امرأة من أهل الكتاب، فطلقها، فكتب حذيفة : لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام، وما أردت بذلك، فكتب إليه، لا بل حلال ولكن نساء الأعاجم خلابة، فأن اقبلتم عليهن غلبت على نسائكم^(١).

يتبين مما سلف أن الخليفة عمر حاول في إدارته للمجتمع أن يحتفظ بروح الإسلام للمجتمع، ورفض رفضاً قاطعاً التشبه بالفرس في المأكل والملبس، على الرغم من أن معظم قراراته الإدارية تأثر فيها بالنظم الفارسية، إلا أنه كيفها بما يتناسب مع السمة الإسلامية التي جاء بها الرسول.

ولم يكتف عمر بإدارة مجتمع العراق من النواحي الاجتماعية، بل سارع إلى إدارة النواحي الاقتصادية، فاهتم بمشاريع التنمية في العراق، بما يعود بالفائدة على المسلمين، فقد حفر الترعة ونظم المجاري ليصل بالماء إلى كل بقعة صالحة للزراعة، وأصلح القناطر والجسور، وأمر الولاة أن يعمروا كل ما تم تخريبه أثناء الحرب، وقد ساعده في تنفيذ مشاريعه بعض الخبراء الفرس الموجودين في العراق، الذين كانوا خير عون للمسلمين في إجراء هذه الإصلاحات^(٢).

وعندما شكا له أهل البصرة سوء أحوالهم المعيشية وملوحة مائهم، أمر الوالي عليها أبو موسى الأشعري بأن يجري عليهم العطاء وأن يحفر لهم نهراً، ففعل^(٣).

قام عمر بتنظيم العراق وفارس بعد فتحهما تنظيمًا إداريًا، من خلال تقسيمات إدارية تمكنه من معرفة التفاصيل بأكملها التي تحدث في تلك المنطقة المفتوحة، حيث قسم العراق إلى ولايتين هما الكوفة والبصرة، وقسم بلاد فارس إلى ثلاث ولايات: الأولى الأهواز والبحرين، والثانية ولاية سجستان، مكران، كرمان، و طبرستان أما الولاية الثالثة خراسان^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٨٨. عمارة (محمد): معالم المنهج الإسلامي، دار السلام للتوزيع والنشر، ص ١٠١.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٣٨ - ٥٧.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ج ٥، ص ٣٢٤.

(٤) العمري: الولاية على البلدان، ص ١٤٥ - ١٧٦.

ولقد كانت القاعدة العامة في النظام المالي للخليفة عمر بن الخطاب أن يخصص لكل مصر ما يجبي من المقاطعات التي فتحها مقاتلة ذلك المصر، ولذلك كان الدخل الرئيسي للبصرة يأتي من خراج المقاطعات التي فتحها مقاتلة البصرة التي كانت تابعة في إدارتها إلى هذا المصر، وقد فتحت هذه المقاطعات بالتدريج^(١).

ومن خلال تتبع الفتوح يظهر أن الضرائب الأولى كانت في أول الأمر لا تقرض على المقاطعات وإنما على المدن الرئيسية، وتحدد وفق ظروف كل مدينة وأحوالها، فقد تقرر على رامهرمز ثمانمائة ألف درهم، وعلى الأهواز عشرة ملايين وأربعمائة ألف درهم، وعلى درابجرد مليون درهم، وعلى أرجان مليونان ومائتا ألف درهم، وعلى سابور ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف درهم، وعلى شيراز ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف درهم، أما زرنج فقد فرض عليها ألف عبد وألف كأس من الذهب، وهكذا اختلفت كل مدينة عن أخرى^(٢).

أما المناطق التي فتحت عنوة من قبل المسلمون في العراق فقد كان للقواد الحق في فرض أي مبلغ يشاؤون، وبالتالي كان ما فرض عليها يفوق ما فرض على المدن التي فتحت صلحاً^(٣).

ولكن بعد أن استقر الحكم العربي في العراق لم يكن هذا النظام المالي الذي طبقه العرب أثناء الفتح قابل للاستمرار لأنه كان يتوافق مع حاجة العرب المالية في البداية، وبالتالي إذ ما استمروا في تطبيقه سيولد مشاكل إدارية هم بغنى عنها، وهذا ما تنبه إليه الخليفة عمر بن الخطاب، فأحدث تغيير تدريجياً، ففي السواد وكور دجلة عدل النظام حيث أرسل حوالي ٢٠هـ / ٦٤٠م عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان إلى السواد لمسحه وفرض الخراج عليه، وقد أخذ بنظر الاعتبار النظام الساساني القديم، وأدخل إليه بعض التعديلات^(٤).

(١) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ١٣١.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ٣٧٩، ٣٩٤. الديار البكري: تاريخ الخميس، ج ١، ص ٢٨٥.

(٣) العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص ١٣٣.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٠ - ٢١. الصولي: أدب الكاتب، ص ٢٢٠.

كما أن بعض المقاطعات والمدن اشترك في فتحها جند الكوفة والبصرة وكان من الصعب توزيع جبايتها على هذين المصرين، ولا بد من تخصيصها لاحدهما؛ يضاف إلى ذلك أن واردات المقاطعات المفتوحة لم تساو دائماً مصروفات الأمصار التي فتحتها؛ وأخيراً فإن التنظيم المالي لابد وأن ينسجم مع النظام الإداري الذي كان عرضة للتبديل.

لقد ظهرت هذه المشاكل منذ أوائل العهد وجابهت الخلفاء حتى عمر بن الخطاب نفسه، وقد قرر الخليفة أن يسد بعض نفقات المدينة المنورة بأن يحولها إلى خمس واردات العراق، وكانت تبلغ حوالي مليون ردهم^(١)، كما أنه قرر أن يخصص لأهل البصرة واردات بعض المقاطعات التي فتحها الكوفيين وحدهم أو بالاشتراك مع البصريين كنهاوند ماه وبعض الأهواز وأصفهان واتخذ عمر هذا الإجراء ليتمكن بيت مال البصرة من سد النفقات التي يتطلبها عطاء مقاتلي البصرة التي لم تكن وارداتها كافية لسدها^(٢).

كما عمل الخليفة والولاة على احياء الموات ، وزادوا مساحة الأرض، فإذا احيا أحد أرضاً سمح له أن يمتلكها ويزرعها أو يؤجرها ويحفر الأنهار فيها^(٣). أما أن مرت ثلاث سنوات ولم يتم بإحيائها سحبت منه الأرض وأعطيت إلى شخص آخر لإحيائها، وفي هذا الإجراء الإداري أراد عمر أن يحفظ مورداً ثابتاً لبيت المال في العراق، يساعد السلطة على البقاء، ويمكنها من دعم مجالاتها الحيوية^(٤).

وفيما يتعلق بتجاريتهم ، ولاسيما أن العرب لم يرغب الأغلبية منهم الاشتغال بالتجارة كون الجندية هي مصدر رزقه ، فقد نظم الخليفة الضريبة، وفرضها على التجار منهم إذ دخلوا بلاد المسلمين، وكان بذلك يعامل تجار الأعداء بالمثل، كانت تؤخذ من التاجر مرة واحدة في السنة.

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ١٩٢.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ٣٥٠.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٣٧.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٧٧.

وفي الوقت الذي سمح فيه الخليفة أبو بكر التعامل بالعملة التي كانت سائدة قبل الإسلام^(١)، وحد الخليفة عمر بن الخطاب النقد وخاصة بعد أن لاحظ الفرق في قيمة الدراهم المتداولة بين العرب وغير العرب في العراق، لذلك جعل قيمة الدرهم الإسلامي ستة دنانق^(٢).

وضرب الدراهم على النمط الذي كانت عليه الدراهم الكسروية، فتشابهت دراهم عمر بدراهم الفرس، غير أنه جعل نقش بعضها " الحمد لله " ونقش على البعض الآخر " محمد رسول الله "، أو لا إله إلا الله^(٣). وكذلك اتخذ الخليفة عمر إجراءً إدارياً في مجال ضرب النقود، عندما انتشرت في العراق عملة تسمى الزيوف، وكانت عملة فارسية قد ضربوها فغشوا بها، لذلك أمر الوالي عبد الله بن مسعود عامله على بيت المال في العراق أن يكسرها ويحولها فضة، وعندما استمر الغش أمر الخليفة عمر أن تصنع من جلود الإبل^(٤).

يستخلص مما سلف إن الخليفة عمر استطاع بهذا الإجراء أن يؤسس دولة لها خصوصيتها من الناحية الإدارية، وإن كان قد استقى معظم نظمه في العراق، من الفرس لكنه طورها وكيفها بما توائم الدولة الإسلامية، كما جعل العملة تتفق مع وضع المجتمع الإسلامي الأمر الذي ينم عن عقلية إسلامية حرة لا تقف دون أن تتنامى وتتناسب مع الظروف.

الوظائف الإدارية في الجهاز الإداري في العراق:

اتجه الخليفة عمر إلى التنظيم الهيكلي للإدارة في العراق بعد الاستقرار، وكان يهدف من ذلك تقسيم العمل من منظور إداري، حيث بيّن مهام كل موظف إداري في هذا المصر، فقد أوجد مناصب: الوالي، والقائد، والقاضي، واتخذ مجموعة قواعد لانتقاء الولاة أو العمال.

(١) المقريزي: النقود الإسلامية، تحقيق: محمد السيد علي بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٧م، ط ٥، ص ٨٩.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٣٥.

(٣) المازندراني (موسى الحسيني): تاريخ النقود الإسلامية، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ١٩٨٨م، ط ٣، ص ٤٠.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥١.

كان التنظيم الإداري في العراق يبدأ بالوالي، ثم يليه امين بيت المال، وكان يقوم بأعمال الكتابة ، كما وجد إلى جانب هذا الموظف موظفين آخرين كالمساحة وحسابات الخراج، وكذلك عمال مؤقتين كالعمال الذين يقومون بتوسيع المساجد وفرشها وإضاءتها ، لكن هذه الوظائف لم تكن دائمة. وعندما عين الخليفة ولاية على البصرة والكوفة اتخذ إجراء إدارياً احترازياً، هو المشاطرة بالأموال فقد شاطر والي العراق أبو موسى الأشعري أمواله لورود شكاية تؤكد استغلاله لوظيفته وإثرائه على حسابها^(١).

فالسبب الذي دفع الخليفة عمر إلى تشريع هذا النظام القائم على المقاسمة هو وصول أنباء عن قيام عماله في الأحواز وعددهم ١٢ عاملاً بمخالفة شروط التعيين واستغلال سلطاتهم في جمع الأموال فيروى أن أبا المختار يزيد بن قيس بن يزيد أبلغ الأمير:

نَحَجَّ إِذَا حَجَّوْا وَنَغَزَوْا إِذَا غَزَوْا ... فَأَنَى لَهُمْ وَفَرَّ وَلَسْنَا بِذِي وَفَرٍّ؟

لذلك شاطر الخليفة هؤلاء العمال أموالهم بعد أن تحقق من الشكاية^(٢).

وبالتالي كانت إجراءات عمر الإدارية والتشريعية قائمة على التزام القواد بقرارته الإدارية والعسكرية، ولاسيما فيما يتعلق بإنجاز عمليات الفتوح على أكمل وجه، وتوجيه القادة إلى مناطق القتال، ولكن هذا لا يعني أنه يريد أن يقيدهم ويقيد حرية عملهم، بل رغب في توجيههم بما يخدم العمليات القتالية^(٣).

كما أن مراقبة الخليفة لولاته في العراق وتوجيههم وإرشادهم ومن ثم مشاطرتهم أموالهم في حال وصلته شكاية على كسبهم غير المشروع، وإلزامهم بعدم قطع أي أمر إداري إلا بمشورته يدل على أنه أراد أن يتبع سياسة إدارية في التعامل معهم تقوم على أساس المزج بين الإدارة المركزية

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ١، ص ٤٤ - ٤٥، ٨٨ - ٨٩، ج ٦، ص ١٣١.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٧٣. الباقري (محمد): حياة الإمام الحسين، مطبعة الآداب، النجف ١٩٧٤م، ط ١، ص ٢٩٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٧١.

ومقرها في المدينة، وبين الإدارة اللامركزية التي تسمح لهم في التصرف فيما تقتضيه الظروف وخاصة فيما يتعلق بالمعارك العسكرية.

العمال (تعينهم وعزلهم):

أقر الخليفة العمال وقدر رواتبهم في العراق، فقد جعل أبو موسى الأشعري على ولاية البصرة وفرض له ٦٠٠ درهم في الشهر، قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة ونصيحته له بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: "أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، إياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فترتعت فيها تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها" ^(١). وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر ^(٢).

القضاة (تعينهم وعزلهم):

مع انشغال الولاة والقواد بعمليات الفتح ونشر الدين الإسلامي، وازدياد الضغوط عليه، جعل الخليفة عمر من القضاء وظيفه مستقلة، يقوم هو بتعيين قضاة على الأمصار في العراق، إلا أن والي العراق عتبة بن غزوان قام بتعيين القاضي أبو مريم الحنفي، وما لبث الخليفة عمر (ر) أن قام بعزله بسبب ضعفه، بعد أن ورد شكاية له من أهل العراق تفيد ضعفه في إصدار الأحكام ^(٣).

(١) ابن ابراهيم الخيري (محمود بن إسماعيل ت ٨٤٣هـ / ١٤٤٠م): الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ص ٥٧.

(٢) الجاحظ (عمر بن بحر ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م): البيان والتبيين، مكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ، ج ٢، ص ٣٣. ابن قتيبة الدينوري: عيون الاخبار، ج ١، ص ١٣٣.

(٣) وكيع: اخبار القضاة، ج ١، ص ٢٧٠.

فقد كان الخليفة يختار لقضاء العراق من يتمتع بالذكاء والعقلية القضائية الممتازة ، ومن هؤلاء القاضي كعب بن سور^(١)، وما ميز البصرة عن غيرها هو أن القاضي المسلم كان يقضي حتى بمسائل أهل الذمة القضائية، وقد اورد أحد المؤرخين أن كعب إذا اتاه ذمي وأراد أن يستحلفه كان يأتي به المذبح ويضع على رأسه الانجيل ويستحلفه بالله، أما اذا أراد أن يستحلف يهوديا قال لأعوانه أدخلوه الكنيسة وضعوا التوراة على رأسه واستحلفوه بالله الذي أنزل التوراة^(٢).

يستخلص مما تقدم أن القاضي في البصرة في زمن الخليفة عمر ، قد قضى بين المسلمين، وأيضا فصل في خصومات أهل الذمة من مسيحين ويهود.

أما في الكوفة، فقد تم تعيين القضاء وعزلهم وذلك بسبب تمكن القاضي من القيام بواجباتها على الوجه المطلوب، لذلك سارع الخليفة عمر بعد أن تم الاستقرار وتمصير الكوفة إلى إرساء مؤسسة القضاء فيها فبعث عمار بن ياسر على صلاة الكوفة وجيوشهم، وبعث عبد الله بن مسعود على قضائها وبيت مالها^(٣).

وعندما عين الخليفة عمر شريح قاضياً على الكوفة، كتب له رسالة دعاه فيها إلى الأخذ بالرأي والاجتهاد، فأحكام شريح القضائية وتشريعاته في الكوفة خلال توليه القضاء اسهمت في رسم معالم مدرسة القضاء في العراق في الرأي والاجتهاد^(٤).

والجدير بالذكر أن الخليفة عمر فصل القضاء عن السلطة الإدارية للوالي في العراق ، رغبة منه في إرساء العدل بين المسلمين ، وكذلك من أجل إرساء العدل بين بقية رعايا الدولة العربية الإسلامية ولاسيما أهل الكتاب من اليهود والنصارى. كما يظهر بأنه وضع أساس جميع المؤسسات الإدارية وعلى رأسها مؤسسة القضاء، بحيث جعلها مستقلة عن الوالي، وعين عليها

(١) وكيع: أخبار القضاة، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) وكيع: اخبار القضاة، ج ١، ص ٢٧٨. الانباري(عبد الرزاق علي): النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٧م، ص ٨٠ - ٨١.

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ج ١، ص ١٨٨.

(٤) الانباري: النظام القضائي، ص ٨٧ - ٨٨.

من يتمتع بخصال رفيعة، كالإسلام المبكر، والقدرة على تحقيق العدل من خلال تطبيق القرآن والسنة، والقادر على الاجتهاد والقياس.

يتبين مما ذكر أن الوضع الإداري والتشريعي للأمصار نجم عن تكوينها ودورها وأن الدولة العربية الإسلامية قامت على الممارسات العملية أكثر مما على نظم وقوانين مقننه مكتوبة خاصة إذ عرفنا أن كتب الفقه لم تدون إلا بعد استقرار هذه الممارسات حتى أصبحت عادات متمكنة تقرب من القانون المطبق عملياً.

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف تمت إدارة إقليم العراق بشكل عام؟

إن إقليم العراق كان تابعاً للدولة الساسانية وإن لها نظم متعددة وأساليب إدارته متنوعة استقرت عبر مدة طويلة من الزمن ومن خلال تجارب كثيرة، وكان فيها مجتمعاً ذا أعراف محلية وتقاليد خاصة سارت عليها لملاءمتها مصالحها وأوضاعها وعندما فتحت الدولة العربية الإسلامية بعض المدن أو أجزاء من الأقاليم ارتبطت معها بمعاهدات أو عهود أبرمها معها معظم القواد المسلمين، ضمنوا بموجبها حقوقاً لمن عاهدوهم ووافقوا على شروط تطبق عليهم.

غير أن أغلب أقاليم الدولة الإسلامية ضمت بعد قتال انتصرت فيه الجيوش الإسلامية دون أن يعقد معها المسلمون عقداً أو معاهدة فعدت بلاد مفتوحة للدولة والخلافة سلطة كاملة عليها ولها أن تقرض ما تراه من الأنظمة أو تبدل ما تراه من الأنظمة القديمة، غير أن المصلحة العامة اقتضت إبقاء كثير من النظم والممارسات الإدارية التي كان معمولاً بها بعد أن استقرت خلال تجارب طويلة عبر أزمنة عديدة وكان الناس قد قبلوها وألفوها لأنها تنظم حياتها وتيسر استقرارهم ورفاههم، وكان الخلفاء يهتمون بالإشراف العام والتوجه دون الانشغال بالجزئيات اللامتناهية من تفاصيل إدارة هذه المدن والأقاليم وبذلك تركت للأقاليم والمدن المفتوحة السير على نظمها وإدارتها السابقة ما دامت لا تمس أمن الدولة ولا تعارض أسس الإسلام وسيادته.

والواقع إن ترك الإدارة المحلية بيد أهلها كان ذا فائدة كبرى للدولة فقد ساعد السلطات المركزية على التخلص من كثير من المشاكل والخلافات مع أهل البلاد المحلية حيث صارت مثل هذه

المشاكل والخلافات محلية تقوم بين المدن ورجال منها وينصب التذمر من سوء تطبيقها على أناس من أهل البلاد ممن يضطرونهم إلى معالجتها بأنفسهم.

ومن أوضح مظاهر إبقاء العرب التنظيمات القديمة دون تبديل أساسي هو احتفاظهم بالتقسيمات الإدارية وأسمائها دون تبديل يذكر في العراق بقيت الأسماء الأعجمية لهذه الأقسام وهي الأستانات والكور والطسايح، كما بقيت أسماء كل منها بأسماء ملوك العجم، أما دور العرب فقد احتفظوا بحق الإشراف عليها، ثم استجذبت بعد قيام الدولة أحوال اقتضت بتبديل النظم القديمة أو تعديلها أو إدخال نظم جديدة لمواجهة حاجات الدفاع الجديدة، فوجدت مراكز عسكرية جديدة يقيم بها العرب ولها تنظيمات خاصة هي التي تم الحديث عنها من قبل.

ولعل ترحيب أهالي البلاد كان من العوامل التي ساعدت على تغلبهم، فالاضطرابات الدينية من زرادشتية إلى مانوية وممارسة الطبقة الاجتماعية إضافة إلى ظلم الحكام (ظل الله على الأرض)، وفرض الضرائب وكل ذلك أدى إلى اعتناق بعض الفرس الإسلام نظراً لما وجدوا في المسلمين من تسامح ديني وعدم التعرض لمعابدهم وتقديم الحماية لهم مقابل دفع الجزية التي تسقط بالإسلام، وإعفائهم من الخدمة العسكرية هذا وإن حدث بعض ما يسمى بالمقاومة من جانب الفرس للعرب المسلمين، فهذا طبيعي بحكم الاختلاف الجنسي والعرق.

الفصل الثالث

الحياة الادارية والتشريعية في بلاد الشام:

٢- إدارة الفتوح في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

- سير الفتوحات في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

- إدارة الجيش في بلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق أثناء الفتح:

٢- إدارة الفتوح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- سير معارك الفتح في بلاد الشام وإدارتها:
- دور عمر بن الخطاب أثناء الفتح:
- التنظيم الإداري الحربي لبلاد الشام والثغور:
- إدارة التنظيمات الاجتماعية في بلاد الشام (القبائل، وسكان المناطق المفتوحة):
- إدارة الجيش في بلاد الشام وتنظيماته:
- ادارة النظام المالي في بلاد الشام وتشريعاته:

الحياة الإدارية والتشريعية في بلاد الشام:

١- إدارة الفتوح في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

بعد انتهاء حروب الردة واستقرار الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الجزيرة العربية، قرر الخليفة أبو بكر أن ينفذ أهداف الرسول صلى الله عليه وسلم الأخيرة ، تلك الأهداف التي قضت بنشر الإسلام في ما وراء حدود الوطن الأم، خصوصاً وقد رأى الخليفة أن يستغل ذلك الميل الفطري في العرب إلى المقاتلة من ناحية الفتح والتوسع، ونشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية على حساب كل من الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية التي كانتا تتنازعان السيادة على المنطقة العربية منذ قرون عديدة.

فحينما كانت الجيوش نشطة ضد الفرس كانت تعمل أيضاً ضد الدولة البيزنطية وقواتها في بلاد الشام ثم في مصر وغيرها من المناطق، وذلك لأن الخليفة طرح أفكاره لغزو الشام على أهل الشورى الذين كانوا يعملون من حوله لمساعدته في أمور الدولة، كان هذا في آخر ربيع الأول ١٢هـ / ٦٣٣م.

ثم انتقل لطرح هذه الأفكار بعد أن أخذ موافقة أهل الشورى على مجموع الأمة، وخطب فيهم وطرح عليهم الفكرة، فهاب الناس مقاتلة الروم لكثرة عددهم وشدة شوكتهم، إلا أنهم سرعان ما استجابوا حينما بث في قلوبهم الحماس، وبيّن لهم أن ميزان القوة الحقيقي ليس للعدو ولا للعدة ولكن للمعنوية العالية المرتبطة بالناصر صاحب القوة التي لا تغلب ألا وهو الله سبحانه وتعالى ثم أرسل المنادي ينادي في الناس بالتجمع في المعسكر وأخذ يحدد القادة والأمراء ويرسل إلى القبائل العربية في الجزيرة العربية كلها الرسل والرسائل يستنفرهم للجهاد، فكان يجمعهم ويشكلهم فرقاً ثم يبعثهم إلى الشام تحت قيادات جديدة.

وإذا كان معظم المشتركين في قتال الفرس هم من مضر وربيعة، فإن معظم الذين جمعهم أبو بكر لمقاتلة الروم كانوا من أهل اليمن، واتخذ قراراً يقضي بمتابعة الفتح على الجبهة البيزنطية

وانطلقت الفرق المقاتلة نحو الشام بانتظام وتخطيط دقيق رسمه أبو بكر الصديق واضعاً في حسابه كل عوامل النصر القريبة والبعيدة^(١).

- سير الفتوحات في بلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق:

قبل الحديث عن سير الفتوحات في بلاد الشام تجدر الإشارة إلى أن هناك فيض من الروايات بسبب كثرة البعوث من جهة وإلى الخلط الذي كان بين الجيش والإمداد وإلى إهمال الفواصل الزمنية في بعض الروايات من جهة ثانية.

بعد أن تمكن خالد من فتح الحيرة وتأمين الجناح الشرقي مع الفرس، أخذت الجيوش العربية الإسلامية تتدفق نحو بلاد الشام^(٢)، على أساس أن أبا بكر سيواجه عدداً يسيطر على بلاد الشام كلها وقواته ليست مجتمعة، وما دام الأمر كذلك فلا بد من خطة حربية تكفل تحقيق أكثر من هدف، وهدف هذه الخطة هي اكتساح المنطقة بقوات متتالية متعددة قوة تلو قوة وعلى رأس كل قوة قائد من القواد يحدد لها مكاناً تتمركز فيه وتتحرك من خلاله، فيحقق بهذه الخطة إرهاب العدو الذي تأتية الأنباء من عيونه المبنوثة على طول الطريق، كما أن الجيوش تتلاحق ولا تنقطع إمداداتها ويتحقق أخيراً التمرکز العربي الإسلامي في أمصار ومناطق على شكل رؤوس الحراب الموجهة ضد أعدائهم، ويصوبه إلى قلب القوات الرومية وحصارها والضغط عليها وإرباكها أمام تلك المبنوثة حولها^(٣)، ولقد تمّ هذا كله ووجد أبو بكر أكثر من شخصية تصلح أن

(١) الواقدي (محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ / ٨٢٣م): فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ط ١، ج ١، ص ٥-٧، الأزدي (محمد عبد الله ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م): فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١-١١. علي (أحمد اسماعيل): تاريخ بلاد الشام، جوهرة الشام، دمشق ١٩٩٤م، ط ٣، ص ١٠٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٣) الشجاع: دراسات، ص ٣٥١.

تكون في مكان القيادة لذا أمر الخليفة خالد بن سعيد على رأس قوة عسكرية إلى منطقة تيماء في شمال الحجاز على الطريق العام إلى الشام في ١٢هـ/ ٦٣٣م^(١).

وأوصاه ألا يقاتل أحداً إلا إذا قوتل وكان القصد من هذا الحشد أن يكون جيشاً احتياطياً يمد القوات الحجازية في جبهات أخرى عند الضرورة ولمراقبة تحركات الروم ثم جهز الجيوش الرئيسية التي تتابعت إلى الشام حيث تحرك يزيد بن أبي سفيان من المدينة ١٣هـ/ ٦٣٢م، سالكاً الطريق إلى مدائن صالح، تبوك، ثم معان فمؤته ودمشق، ثم تلاه شرحبيل بن حسنة بعد ثلاثة أيام، سالكاً الطريق التبوكية نفسها نحو منطقة بصرى. أما أبو عبيدة فقد خرج من المدينة بعد عشر أيام تقريباً من سير شرحبيل وعلى الطريق نفسه أيضاً^(٢).

والملاحظ في حركة هذه الجيوش إنها استخدمت الفاصل الزمني خلال حركتها على طريق التبوكية إلى الشام كما راعت إمكانية هذه الطريق على الاستيعاب وقد تم تأمين الحماية الضرورية لها من قبل جيش خالد بن سعيد الذي عسكر في منطقة تيماء إلى الشرق قليلاً من مدائن صالح، إضافة إلى توفير مصادر وتموين المياه.

وأما جيش عمرو بن العاص فقد تأخر خروجه ستة أشهر تقريباً حيث تحرك ١٣هـ/ ٦٣٤م، وسبب حركته على طريق المعرفة باتجاه ساحل البحر الأحمر إلى فلسطين يعود إلى أهمية هذه المنطقة وأثرها البالغ الخطورة على الجيوش العربية الإسلامية التي توجهت إلى بلاد الشام على طريق التبوكية سيما بعد معركة وادي عربة ودائن والتي وقعت قبل قدوم خالد بن الوليد إلى الشام حيث حاول الروم بقيادة بطريق غزة الالتفاف خلف الجيوش العربية الإسلامية من منطقة وادي عربة لقطع الامدادات عنها بجيش قوامه ثلاثة آلاف وقد كان من المفروض أن تهتم

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٨ - ٢٩. أحمد عادل كمال: الطريق إلى الشام، ص ١٧٠. غلوب (الجنرال): امبراطورية العرب، تعريب: خيرى حماد، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٦م، ص ٤٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٨ - ٣١.

معالجة هذه القوة من قبل جيش الاحتياط في تيماء مما اضطر أبي عبيدة إلى أن يوجه يزيد بن أبي سفيان إلى الجيش الرومي في منطقة وادي عربة^(١).

وكان ما يزال موجوداً في منطقة البلقاء بينما كان شرحبيل بن حسنة في منطقة بصرى وأبو عبيدة في منطقة الجابية، وقد كان للروم في بلاد الشام جيشان: أحدها في فلسطين وقوامه ٧٠ ألف جندي والآخر في حمص قوامه مائة ألف جندي^(٢)، ولذلك كان لابد من إرسال جيش إلى فلسطين لمواجهة الجيش الرومي، فتحرك جيش عمرو بن العاص سالكاً طريق المعركة الساحلية على البحر الأحمر إلى منطقة أيله (العقبة الحالية)، ثم إلى فلسطين مخترباً وادي عربة إلى الشمال الغربي لحين وصول الجيوش الإسلامية^(٣).

في البداية حدثت معركة مرج الصفر لكن خالد بن سعيد كان قد توغل أكثر مما طلب منه الخليفة أبو بكر، فخسر المعركة بعد أن استدرجه الروم وهزموه هزيمة ساحقة سنة ١٣هـ / ٦٣٤م، فكانت أول هزيمة تلحق بالجيوش الإسلامية في بداية الفتح الإسلامي لبلاد الشام^(٤).

أعاد الخليفة أبو بكر النظر في الموقف على الجبهتين (الشامية والعراقية)، بعد أن تطاول الروم على الجيوش العربية الإسلامية في بصرى ودمشق وكذلك في فلسطين، وبعد المشورة والتمحيص تبين له إن الحاجة أصبحت ملحة إلى قيادة ميدانية عليا تكون أكثر خبرة ودراية بفنون القتال كما أن الموقف في العراق يبعث على الاطمئنان لذلك كتب إلى خالد يأمر بالتحرك إلى بلاد الشام لتولي القيادة فيها، كما أمره أن يصطحب معه نصف القوات على الجبهة العراقية سنة ١٣هـ / ٦٣٤م^(٥).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٧.

(٢) كمال (أحمد عادل): الطريق إلى دمشق، دار النفائس، بيروت. ص ٢٧٧.

(٣) صالح: العسكرية الإسلامية، ص ٨٦.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٠. صالح: العسكرية الإسلامية، ص ٨٧.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٢.

إن القرار العسكري الذي اتخذته الخليفة أبي بكر وكان له أهمية كبيرة، حيث إنه أراد من خلال إبقاء نصف جيش خالد في العراق والتوجه بالنصف الآخر إلى الشام حتى يؤمن سلامة الموقف في الشام أولاً، وليمنع التعامل فيما بين الإمبراطورية الفارسية الرومانية من جهة ثانية، أي أراد انشغال كلا الجبهتين منعاً لأي تعاون، وثالثاً أراد من ذلك أن يمنع الفرس من العودة للسيطرة على القبائل العربية الموجودة على طول شواطئ الفرات التي تم تحريرها، فكانت تلك خطة وتكتيك إداري عسكري من الخليفة أبي بكر.

كان الخليفة أبو بكر يؤمن بقيادة خالد العسكرية ومقدراته الحربية، وكان يدرك تمام الإدراك لن تأتي للقيادة هناك فرصة كافية تؤهلهم للقيام بهذا الدور كما تأتت لخالد^(١).

سلك خالد نحو الشام اتجاهاً غير مباشر لتأمين الجناح الشرقي مع الفرس على طول نهر الفرات في حين كانت الجيوش الأربعة قد سلكت اتجاهاً مباشراً نحو الشام من المدينة المنورة حيث بدأت المرحلة الثانية من تحركات خالد العسكرية نحو الشام من الحيرة إلى بصرى بعد أن أريك الفرس عندما توجه من اليمامة إلى الحيرة، في حركته الأولى، فانتصر عليهم في جميع المعارك التي خاضها معهم وكان في كل معركة منها يفرض على عدوه واقعاً جديداً لأطاح لهم في مواجهته أو تغييره^(٢).

سلك خالد بن الوليد الطريق من الحيرة إلى عين التمر وقرقر، ومن هناك انعطف شمالاً ماراً بمفازة مهلكة إلى سوى ثم أرك فتدمر، حيث تلتقي مع الطريق الشمالية ثم تنعطف نحو دمشق فبصرى وتكمن خطورة هذه الطريق وأهميتها في المسافة بين قرقر وسوى، وعدم توافر الماء، أما أهميتها فتتجلى في قصرها وعدم وجود حصون معادية فيها إلا في منطقة تدمر، حيث تكون القوات قد دخلت إلى بلاد الشام وحقت عامل المفاجأة وكأن القوات قد تسللت عن طريق الصحراء.

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٢٤-٢٥.

(٢) صالح: العسكرية الإسلامية، ص ١٩٠.

كان لآبـد لخالد بن الوليد تلافي مشكلة الماء، فكان عليه تأمين الأكل والشراب لكل من الجيش والخيول والإبل على حدٍ سواء، فسار مسائراً شاطئاً الفرات حتى قرب مسكنة ثم انخفض خارقاً البادية^(١).

فوصل الشام بثمانية عشر يوماً في حين كانت تحتاج مدة تزيد عن شهر كامل، بعد أن أطلع على الموقف العام، قرر توجيه ضربة قاسمة للروم في فلسطين، وبالتالي يكون قد تخلص من أحد فكي الكماشة الرومية، فأرسل إلى عمرو بن العاص يأمره بالبقاء في فلسطين وبقدومه إليه بمن معه من المسلمين^(٢).

وبالتالي حقق خالد عنصر المفاجأة بالنسبة للروم، فظهوره فاجأ القائد البيزنطي حيث كان يدبر لمقاتلة جيش واحد قوامه سبعة آلاف جندي بقيادة عمرو بن العاص وليس الجيوش الإسلامية كلها بقيادة خالد، فأصبح فريسة سهلة وبذل من أن يتدارك الموقف فقد أمر جنوده بعصب عيونه حتى لا يرى شيئاً، وبالتالي انتهت معركة أجنادين بنصر ساحق للمسلمين، قتل فيها من الروم خمسين ألفاً^(٣)، وفي هذه الأثناء توفي أبو بكر الصديق، حيث وصلت أخبار أجنادين وهو على فراش الموت^(٤).

- إدارة الجيش في بلاد الشام في عهد أبي بكر الصديق أثناء الفتح:

وشرع في إعداد الجند والتوجه نحو بلاد الشام، لتحريرها من قبضة الروم، ونشر الدين الإسلامي بالدرجة الأولى، وقد عقد الألوية في أوقات مختلفة ولجبهات متعددة مراعيًا في ذلك طبيعة الأراضي الشامية واتساعها وتوزع قوات الروم إذ إن مركز قوة الروم لم يكن في مكان واحد ومحدد، وإنما توزع على شكل حاميات منتشرة في مناطق مختلفة الأمر الذي فرض على القيادة

(١) (سويد (ياسين): معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م، ص ٢٤٢.

(٢) (الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٤١.

(٣) (الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٦٦-٦٧.

(٤) (الواقدي: فتوح الشام، ج ١ و ص ٦٦.

في الدولة العربية الإسلامية اتباع أسلوب خاص في التكتيك العسكري. أضيف إلى ذلك تشتيت صفوف الروم وتوزيع قواها، فيشكل كل جيش بذلك مدداً للجيش الآخر وهذا يسهل تصعيد القتال في المكان المحدد إضافة إلى أنه يزيد من سهولة التموين للجيش الإسلامية، لكن هذا التوزيع للجيش أدى إلى توزيع العمل والسرعة في تنفيذه، وقد دل على وجود خطة لمتابعة الفتوحات إذ تابعت بعض الجيوش التي أرسلت إلى الشام الفتوحات فيما بعد في مناطق أخرى، فقد عقد أبو بكر الصديق أربع فرق يقودوها قواد محنكين كانت على الشكل التالي:

- كان على رأس الفرقة الأولى عمرو بن العاص وجهته فلسطين.
- وعلى رأس الفرقة الثانية يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق.
- وعلى رأس الفرقة الثالثة الوليد بن عقبة ووجهته نحو الأردن.
- أما الفرقة الرابعة فكان على رأسها شرحبيل بن حسنة وكانت مهمته خرق البادية نحو الشمال إلى أعالي بلاد الرافدين، ثم أرسل قوة مهمتها الإشراف العام والتنسيق بين الجيوش إذ التقوا كان على رأسها أبو عبيدة بن الجراح، وقد ركز أبو بكر على أهمية الاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو في الخطة العسكرية^(١).

كما وطلب منهم الاجتهاد في الأمر، وأن يكونوا يداً واحدة، وامرهم بمراعاة أحوال الجنود وتقديم الاخلاص والاتحاد حتى لا تختلف آراءهم^(٢)، ومن ثم كتب إلى أهل اليمن يستنفرهم، وكان أول من استجاب له ذو الكلاع الحميري ثم جاء بعده قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، فقرر الخليفة بعد ذلك بصفته القائد العام لجيوش المسلمين ان يوجه الجيوش الواحد

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ٢٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٠.

تلو الآخر بعد أن تمت التعبئة الكافية للقيام بالمهمة^(١)، وبالفعل وافق الجميع على قراره، فدعا الناس للتعبئة^(٢).

وعندما اجتمع جيش الفتح المتجه نحو الشام امتطى أبو بكر رضي الله عنه ظهر دابته حتى أشرف على عناصر الجيش فنظر إليهم، وقد ملأوا الأرض، فتהלل وجهه وأخذ يعرضهم قبل سيرهم ويوصيهم ويدعو لهم، وعقد لهم الألوية ومشى معهم نحو من ميلين^(٣).

وهكذا فوض الخليفة أبو بكر عنه إدارة العسكر إلى رأي أحد قواده ووكله إلى تدبيره حتى لا تختلف الآراء، وأكد ذلك عندما قال لعمر بن العاص: "أنت أحد أمرائنا هناك، فان جمعتمك حرب فأمركم أبو عبيدة بن الجراح"^(٤).

أدار الخليفة أبو بكر الجيوش بطريقة مميزة، فلم يوجه الجيوش دفعة واحدة، وإنما على دفعات، ولا نحو منطقة واحدة، ولا عن طريق واحد فقط، وإنما وجه كل جيش وجهته، وحدد لكل جيش الطريق الذي يسلكه، كما أنه أوصاهم بالتواصل فيما بينهم ومعرفة أخبار بعضهم البعض، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قدرة الخليفة أبو بكر الفذة في إدارة الحروب، والتي مكنتهم من تحقيق النصر والسؤال الذي يطرح نفسه هل وضع أبو بكر الصديق خطط الفتح أم أنها كانت موضوعة منذ زمن الرسول (ص) وأبو بكر هو من نفذها، فأول جيش أنفذه كان جيش يزيد بن أبي سفيان حيث جعل وجهته نحو طريق وادي القرى - تبوك الجابية ثم دمشق، وأوصاه ألا يقتل شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا يحرق شجرة ولا يهدم حجراً، وأن يدعوهم للإسلام، أو الجزية أو الحرب^(٥). كما أنه أمره أن يرفق بجنوده ولا يضيق عليهم أثناء السير حيث قال: "إذا سرت فلا

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٦. البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٢.

(٢) الأزدي: فتوح الشام، ص ٧. ابن اعثم الكوفي (أبو محمد أحمد بن أعثم ت ٣١٤هـ/٩٢٧م):

الفتوح، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الدكن ١٩٧٥م، ص ٨٣ - ٨٤.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٣٦، ٣٧. الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٧، ٨.

(٤) العسكري (أبو هلال الحسن ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م): الأوائل، دار البشير، طنطا ١٤٠٨هـ، ط ١، ص ١٥.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٨٧. ابن أنس: موطأ مالك، ج ٣، ص ٦٣٥.

تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك"^(١)، وعندما جد العسكر في السير ذكر أحدهم القائد يزيد بوصية أبي بكر له بالرفق بهم في السير وأن يلتزم بها^(٢).

وبالفعل امتثل قواد أبي بكر رضي الله عنه لأمره بالرفق بالعسكر في مسيرهم وأصبحوا لا يسيرون إلى قتال الأعداء إلا ومعهم أدلاء يدلونهم على أسهل الطرق وأوفرها ماء وعشبا حتى يتمكنوا من مواصلة سيرهم نحو العدو من غير إهدار لقوتهم أو تحطيم لمعنوياتهم وكان قبل ذلك يرسل من يستطلع له أخبار العدو^(٣).

قسم الخليفة الجيش الى أرتال لأن مسير الرتل كان أسهل وأسرع وحدد لكل منهم هدفه، وبالفعل أول من تحرك يزيد بن أبي سفيان ومعه أخيه معاوية، وتمكنوا من تحقيق النصر، وكانوا أول جند يدخل الشام^(٤).

وعندما وصل خبر الانتصار زاد من حماسة الخليفة، فكتب الى القبائل العربية وعلى رأسها هوازن وبني كلب وغيرهم، وأعلن النفير العام، ومن ثم دعا عمرو بن العاص وسلمه الراية ووجهه نحو فلسطين، لكنه منعه من أن يسلك الطريق الذي سلكه يزيد^(٥)، وإنما طلب منه التوجه نحو طريق ايليا (القدس) حتى يصل الى فلسطين، كما طلب منه أن يبعث العيون ليأتوه بأخبار أبي عبيدة لمساعدته إذ كان يريد ذلك، وأوصاه قائلاً: "قدم الفرسان لأبي عبيدة والجيش إثر الجيش إذا طلب منك ذلك، وأكرم من معك ولا تتعالى وشاور أولي الأمر وأعمل على حراسة القوات"، كما قال: "وكن والدًا لمن معك وأرفق بهم في السير فإن فيهم أهل ضعف"^(٦).

(١) الأزدى: تاريخ فتوح الشام، ج ١، ص ٨.

(٢) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ٣٤٨، ٤٧٤، ٤٧٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٢.

(٥) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٤.

(٦) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٥.

وبعدها سيّر جيش أبي عبيدة بن الجراح وحدد له وادي القرى - الحجر - ذات المنار - زيزياء - مآب - الجابية، أما عمرو بن العاص الذي توجه إلى إيليا فقد شعر أثناء تقدمه أن البيزنطيين يقومون باستعدادات عسكرية لمواجهة القوات العربية المتقدمة وقدر أن ما تحت إمرته من قوات غير كاف لمتابعة عملياته العسكرية بنجاح فقد أحاطت الحمى بالشام من كل جانب وطفق الروم يعدون العدة ويجمعون المقاتلين وبدا الواقع ينذر بأشغال الحرب في أي لحظة لحسم الموقف لذا استجد بأبي بكر وطلب منه المدد إزاء ذلك^(١).

نرى أن الخليفة أبو بكر قد أدار الحروب بطريقتين ، ترتيب عسكري متقن، وتعبئة معنوية عالية. وقبل ذلك تعبئة مادية وبشرية.

عندما طلب عمرو بن العاص المدد من الخليفة ولمعرفة أبي بكر بزحف جيش ثيودور وجد أن أفضل من هو أهل لمثل هذه المواقف خالد بن الوليد فقد كللت عملياته العسكرية في العراق بنجاح وأبدى بطولة وأقدام عجز عن الوصف، أضف إلى ذلك أنه أراد جذب جيش ثيودور من الخلف لذا كتب إليه أن يترك قيادة القوات العراقية في العراق للمثنى بن حارثة وأن يتوجه مع بعض رجاله إلى الشام لرصد الجيوش العربية العاملة هناك وحتى يضمن الصديق أن لا يقع إشكال أو تضارب في صلاحيات لقيادة عند اللقاء كتب لأمير الشام أبي عبيدة بن الجراح كتاباً يوضح فيه أسباب استعانته بخالد مع اعترافه المسبق بفضلته وقدراته ومكانته وكفاءته مسوغاً ذلك بالقول: (ولكني ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك)^(٢).

وعندما ولي أبو بكر القائد خالد بن الوليد إدارة الجيوش في الشام حين بعثه لهم مدداً من العراق طلب من القائد أبي عبيدة بأن يسمع ويطيع لأمر القائد خالد بن الوليد لفطنته وعلمه بالحرب^(٣). حيث سار أبو بكر على نهج إدارة الرسول عليه السلام العسكرية، فلم يحدد لخالد الطريق الذي سيسلكه وإنما ترك له حرية الاختيار. فدعا خالد الأدلاء وتشاور معهم حول سيرهم في طريق

(١) الكلاعي: الاكتفاء، ج ٣، ص ١٣٧.

(٢) البكري: تاريخ الخميس، ج ٢، ص ٢٣١.

(٣) الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ٨٦.

المفازة إلى الشام لأنه أقصر الطرق وأسهلها لنجدة إخوته، ثم رافقه منهم رافع بن عميرة الطائي دليلاً^(١). ولاسيما ان الوضع في بلاد الشام كان صعباً جداً، فالجيوش غير منظمة، ووضع العرب غير مطمئن.

أوجد أبو بكر الصديق إجراءً إدارياً احترازياً في إدارة القبائل والعشائر، فقد كان لكل قبيلة أثناء فتوح الشام شعاراً جرياً على خطى الإدارة الحربية للرسول، وكان الهدف من ذلك أن خرجوا للحرب وضل أحد من الجنود عن أصحابه نادى بشعارهم فيتعرفوا عليهم وتابع الخليفة الثاني من بعده هذه الإدارة^(٢)، ففي اليرموك وجد لكل قائد وقبيلة شعاراً مميزاً يميزها عن غيرها اتخذته ليستدل به عليها وكانوا يجهزون به عند القتال ويتعارفون به، فكان شعار القائد أبي عبيدة: "أمت أمت"، وشعار القائد خالد بن الوليد ومن معه "يا حزب الله"، وشعار قبيلة عبس "بالعبس"، وشعار أهل اليمن من أخلاط الناس "يا أنصار الله"، وهكذا^(٣).

وخوفاً على حياة المسلمين المقاتلين، فقد أوصى الخليفة أبو بكر أمراء الشام وقواد الفتح بالاحتراس ونشر الحرس على العسكر لحفظهم من الأعداء، وأن يقوموا بالتفتيش المفاجئ على الحرس حتى يتأكدوا من قيامهم بمهامهم الموكلة إليهم، حيث قال للقائد يزيد بن أبي سفيان: "واذك حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك"^(٤).

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٨، الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ١٣، ١٥.

(٢) سليمان كمال (سليمان بن صالح): الإدارة العسكرية، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف: د. إبراهيم نجيب عوض، جامعة أم القرى، السعودية، ج ٢، ص ١٧٤.

(٣) (زيدان (جرجي): تاريخ التمدن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) (المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠٩.

كما أكد للقائد عمرو بن العاص ((وأمر اصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعاً عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم وأجلس معهم))^(١)، وحذا قادة الصديق رضي الله عنه حذوه في اتخاذ الحرس على العسكر في مقامهم ومسيرهم^(٢).

لم يكتف الخليفة أبو بكر أثناء إدارة الفتوح بتوجيه القواد نحو الاهتمام بالحرس وأخذ الحيطة والحذر خوفاً من الخيانة، بل لفت انتباه قواده إلى ضرورة بث العيون لما لها من أهمية كبيرة في حسم المعركة، وبالفعل طبق القواد هذا الاحتراز الإداري، فأبو عبيدة بن الجراح بث في إدارته العسكرية للفتح بالعيون ضد الروم فبواسطتهم كان يترصد أخبارهم وتحركاتهم وكانوا من أنباط الشام، فقد استطاع أن يستعين بهم في ذلك، ويجندهم لهذه المهمة بعد المنح لهم من العطاء واستمالتهم إلى جانبه، فتراه يكتب إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مخابراً إياه بتحركات الروم قائلاً: "إن عيوني من أنباط الشام أخبروني أن أوائل امداد ملك الروم قد وقعوا عليه وأن أهل مدائن الشام بعثوا رسلهم إليه يستمدونه"^(٣). وبالتالي يتبين من رسالة القائد إلى الخليفة أن أبا عبيدة استخدمهم بالإضافة إلى كونهم عيوناً، كسعاة لنقل الرسائل بين كافة اجناد الشام.

واعتمد الخليفة أبو بكر مبدأ الشورى في فتح الشام وأوعز إلى قواده الالتزام بالشورى، فقد أوصى بقية أمراء أجناد الشام بما لا يخرج عن ذلك، وامتلأ قادة الصديق بما أمروا به من إجراء المشورة فيما بينهم، فقد قال أبو عبيدة بن الجراح للقائد عمرو بن العاص: "يا عمرو لرب يوم لك قد شهدت فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك وإنما أنا رجل منكم ولست وإن كنت الوالي عليكم بقاطع أمراً دونكم فأحضرني في رأيك في كل يوم بما ترى فإنه ليس بي عنك غنى"^(٤). هذا

(١) الأزدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٧٤.

(٣) الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ٤٤.

(٤) الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ٥١، ص ٨٤.

بالإضافة إلى طلب القادة في أرض المعركة من القيادة العليا المركزية المشورة فيما أشكل عليهم من أمور الإدارة الحربية، لمرحلة وضع الخطط الحربية والتنفيذ ومعاملة الأسرى^(١).

أما البريد فقد شغل في عهد أبي بكر دوراً مهماً على الرغم من ظهوره كديوان مستقل المعالم في نقل المعلومات والأخبار بين القيادة المركزية وبين قادة الجيوش، فقد قام كل من عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثاً له بريداً إلى أبي بكر برأس بطريق الشام، فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك فقال له عقبة: " يا خليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا، عندها أوصاهم بعدم حمل رأس أي أسير لا فارسياً ولا رومياً^(٢)."

أما ولاية الشام فقد أمر الخليفة أبو بكر عمرو بن العاص أن يصلي بالناس إذا اجتمعوا وإذا تفرقوا أن يصلي كل أمير بأصحابه، فلما جاء خالد توحدت القيادات واستمر الوضع حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب^(٣)، وعمد أبو عبيدة أثناء عملية الفتوح إلى تعيين وال على كل مدينة صالحه أهلها^(٤)، وضم جماعة من المسلمين إليه، وكانت مهمة هذا الوالي بالدرجة الأولى أن يمنع أهل المدينة وأن يجبي الجزية والخراج^(٥)، وبقي لرؤساء أهل كل مدينة مكانتهم في إدارة شؤون رعاياهم من أهل الذمة، كما اتبع أبو عبيدة سياسة أن يقوم أهل المدن المفتوحة في حال بقوا بمواصلة حياتهم حسب قوانينهم وتقاليدهم قبل الفتح^(٦). وكان هدف أبو عبيدة من سياسة التسامح أن تصل الأخبار إلى بقية المدن التي رفضت الصلح فتسارع إلى اتخاذ القرار وتطلبه^(٧).

(١) الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ٣٠. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٢٨.

(٢) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٦ م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة ٢٠٠٤ م ط ١، ص ٩٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ١١١ - ١١٢.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ١٦٦.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٥.

(٦) Chronicum Anonymus ad, anmm Christi 1234, pertinens XIV p.188.

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص ٨١.

وسار أبو بكر في إدارته العسكرية على معاملة المعاهدين ولاسيما (اليهود) بالسياسة نفسها التي كان قد عاملهم عليها رسول الله، القائمة على التسامح والحرية^(١)، وهذه كانت وصية الخليفة لهم عندما سير لهم المدد، فشرع لهم تسريح الأدلاء لمعاونتهم حتى ولو كانوا من غير المسلمين، فقد استعان أبو عبيدة بالمعاهدين من أهل حلب، ممن كانوا ناصحين له، وأعطاهم وأحسن إليهم، فطرح عنهم الجزية، وسألهم عن أي الدروب أسهل وأفضل لدخول جند المسلمين منها، فاجتمع رأيهم على الدخول في الدرب الأعظم من بلدة قورس^(٢). أي أنهم أحسنوا له النصيحة نتيجة لحسن المعاملة التي عومل بها على يديه والتي لم يتمتعوا بها أثناء السيطرة البيزنطية على مناطقهم.

ولم يبدأ عهد التنظيمات الإدارية في كافة المجالات إلا بعد وفاة أبي بكر، إذ أنه استخدم إدارة الرسول سواء في الغنائم، وفي توزيع العطاء بالتساوي بين كافة المسلمين، وللخليفة عمر ابن الخطاب الفضل الأكبر في وضع نظام إداري تشريعي متميز في الشام.

٢- إدارة الفتوح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أ- سير معارك الفتح في بلاد الشام وإدارتها:

على الرغم من عزل خالد بن الوليد من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، إلا أنه كان يمارس القيادة الميدانية في جميع المعارك التي اشترك فيها منذ إسلامه وحتى وفاته، أما ما فعله لمواجهة الموقف البيزنطي بعد معركة أجنادين، فقد اجتمع الرأي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، على التوجه إلى منطقة فحل لملاقاة الجيش البيزنطي هناك، فكان خالد بن الوليد قائد للفرسان بينما أبو عبيدة كان قائداً عاماً^(٣).

وجه خالد بن الوليد ضربة قوية لفرسان الروم، ونجح في استدراج الجيش البيزنطي خارج موقعه الدفاعي الحصين حيث قرر قائد الجيش البيزنطي أن يدب الروح المعنوية بجنوده بعد الهزيمة

(١) مقدمة: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٥٨.

(٢) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٨. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٣٤.

التي لحقت بهم، فخرج ليحارب المسلمين عند الفجر ظناً منه أن المسلمين ما زالوا نياماً، وهذه كانت خطة المسلمين بأن يبادر الجيش البيزنطي الهجوم وبالتالي تجريده من الموانع الطبيعية التي يحتمي بها خلفه، فانتهت معركة فحل سنة ١٣هـ / ٦٣٥م، بانتصار العرب على الروم^(١).

انسحب هرقل إلى أنطاكية بعد الهزيمة التي لحقت بجيشه، إذ كان يرغب في استدراج المسلمين إليها لقربها مع عاصمته هذا أولاً وكذلك لقربها من طرق الامدادات القادمة من أوروبا، وأخيراً يستطيع في حال استدراج العرب إلى أنطاكية أن يعزلها عن قاعدتها الرئيسة وذلك بالعمل خلف خطوطها، لذلك سمح للعرب بفتح دمشق وحمص وحلب دون أن يقدم أية مساعدة للسكان المدنيين بل على العكس فقد سحب جميع قواته في حمص وحماه وفتح الطريق للمسلمين لفتح تلك المدن والتوغل نحو حلب وانطاكية، لكن الخليفة عمر أمر أبو عبيدة بإيقاف الفتوح وعدم متابعة الروم إلى أنطاكية^(٢).

بعدها عرض خالد خطة على أبي عبيدة في مواجهة الروم، وكانت بعد عملية التراجع من حمص إلى دمشق ودرعا ثم قيام الجيش البيزنطي بتعقب الجيش العربي الإسلامي أدرك خالد أن عدوه استعاد زمام المبادرة وكان لا بد من القيام بعمل معين ينتزع منه زمام المبادرة ويعيد لجنوده الثقة لذلك اتجه خالد إلى عملية التعرض والمبادرة^(٣).

لذلك قسم خالد فرسانه إلى أربعة أقسام ، فجعل قيس بن هبيرة على قسم منها، وجعل ميسرة بن مسروق العبسي على قسم آخر، وجعل عمر بن الطفيل الأزدي على القسم الثالث، اما القسم الرابع فقد قاده بنفسه^(٤).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧٠. أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق، ص ٣١٣ - ٣١٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٧١ - ٣١٤. كمال: الطريق إلى دمشق، ص ٤٠٠.

(٣) صالح: العسكرية الإسلامية، ص ١١٠.

(٤) أحمد عادل كمال: الطريق إلى دمشق، ص ٤٥٠.

خرج خالد يستعرض ويبارز ولما رأى الروم ذلك أخرجوا إليه فرسانهم، فتقابل الطرفان في ميدان القتال، فاندفع قائد فرسان الروم إلى المسلمين يطلب المبارزة، فخرج له قيس بن هبيرة، فقتل الرومي وعاد إلى موقعه^(١).

وبعدها طلب خالد من فرسانه الهجوم على فرسان الروم وانتهت المعركة بنصر ساحق للمسلمين، وبالتالي انتزع خالد زمام المبادرة من الروم وأعاد الثقة لجنوده في حين دب الخوف في قلوب عدوه^(٢).

عرض خالد خطته على القائد الأعلى أبي عبيدة بن الجراح، من أجل مواجهة الروم وكانت قائمة على توحيد الجيوش الأربعة في جيش واحد يجري تعبئته بنظام الكراديس، ويتألف الكردوس من ألف مقاتل، وكما يجري تقسيمهم إلى ميمنة وميسرة وقلب، واقتراح أن يكون على الميمنة عمرو ابن العاص وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان، وعلى القلب شرحبيل بن حسنة ثم قسم الفرسان إلى قسمين أحدهما يقف خلف الجناح الأيمن والثاني خلق الجناح الأيسر^(٣).

كما أنه أراد أن يكون دور المسلمين دفاعياً ريثما يتم استنزاف قوة العدو الهجومية وفي تلك اللحظة التي يضعف فيها العدو يأتي دور الفرسان الذين يستطيع بهم أن ينتزع زمام المبادرة من جديد، فيقوم بهجوم مضاد مستغلاً لحظة الأعياء، وطلب خالد من أبي عبيدة أن يترك له قيادة المعركة على أن يكون أبي عبيدة قائداً إدارياً عاماً^(٤).

واقترح خالد تعيين أبي الدرداء قاضياً للجيش، وأبي سفيان خطيباً لرفع معنويات الجند وعبد الله ابن مسعود لإدارة الغنائم كما تقرر النساء بإسعاف الجرحى ورد المنهزمين من المسلمين إلى

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٢١٥-٢١٧. غوانمة (يوسف): معركة اليرموك، دار هشام للنشر والتوزيع، ص ٦٨.

(٢) عبد الحميد (صبحي): معارك العرب الحاسمة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ص ٣٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٤) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٩٢.

ميدان المعركة^(١)، وبالتالي كان كل من عمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة هيئة أركان عليا في قيادة خالد في حين كان أبو عبيدة القائد الإداري للمعركة والمشرف على معسكر النساء، وكان يرغب خالد من خطته هذه كلها عزل الفرسان الروم عن مشاته، وقد أعجب أبو عبيدة بخطته وأقره عليها وأمر المسلمين بالانصياع لأوامره وتنفيذ تعليماته^(٢).

اختار خالد منطقة أذرعات (درعا)، لتكون ميداناً للمعركة الفاصلة مع الروم لعدة أسباب، أولاً مناعتها الطبيعية المتصلة بالصحراء من الجهة الشرقية والجنوبية وبالتالي لا يستطيع الروم الالتفاف والمناورة غرباً، كما إن العرب يطمنون بأن ظهورهم محمية برمال الصحراء والمدد تصلهم دون أن يتعرض لها الروم، أما الروم فقد نزلوا في منطقة تحدها نهر اليرموك جنوباً ونهر الرقادة غرباً ووادي علان شرقاً وليس لهم أي منفذ إلا منفذاً صغيراً كان الهدف من ذلك منع الجيش الرومي من الهرب كما في كل معركة، واستطلع عمرو بن العاص الوضع، عند ذلك أيقن أن الروم حاصروا أنفسهم وأن المحصور لن يأتي بخير^(٣).

وكانت قوات الجيش الرومي تقاتل بنظام الصفوف، في حين أن خالد يقاتل بنظام الكرديس، حيث مرت المعركة بعدة أيام، ففي اليوم الأول حدثت مبارزة بين فارس مقابل فارس هذا أولاً وبعدها هجم عشر صفوف من الجيش الرومي ضد المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن بن أبي بكر من قتل من فرسان الروم^(٤).

أما اليوم الثاني هجم الروم ضد ميمنة الجيش الإسلامي، وانهزم المسلمون، لكن النساء وقفت لهم بالمرصاد، وبدأت برجم وجوه الخيل بالحجارة، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي: "قبح الله وجهه

(١) صالح: العسكرية الإسلامية، ص ١١٥.

(٢) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٩٢.

(٣) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٥٣. سويد: معارك خالد بن الوليد، ص ٢٤٧.

(٤) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٧.

رجل يعز عن حليته"، وفعلت هند بنت عتبة فعلها، فقد ضربت وجه حصان زوجها بعمودها، وقالت له: اين يا ابن حرب أرجع إلى القتال^(١).

في الوقت الذي كان فيه خالد بن الوليد يراقب الموقف للانتقضا في الوقت المناسب، كان يراقب بهدوء واتزان معملاً ذهنه فيما يجب عمله في أوانه المطلوب، لذلك تحرك بفرسانه لمواجهة فرسان الروم عند معسكر النساء ليعزلهم ثم يحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم ويفتلك بهم فتكاً ذريعاً^(٢).

وفي اليوم الثالث حدث مثلما في اليوم الثاني، ووصل الروم إلى معسكر النساء وفعل ما فعلنهن قبل ذلك وخالد هو الآخر يراقب الموقف يتحين الفرصة المناسبة، فطوقهم كما فعل قبل ذلك وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم اتجه إلى ميسرة الروم حتى وصل خيمة الديرجان القائد الرومي، وتمكن ضرار بن الأزور من قتله^(٣).

اليوم الرابع: وهو ما عرف تاريخياً وعند المسلمين بيوم التعوير، وفيه فقد المسلمون حوالي سبعمائة من عيونهم، فمنهم من فقد عيناً واحدة، ومنهم من فقد كلتا عينيه، والسبب يعود إلى رشقهم من قبل الروم بالسهم كزخ المطر، وبالرغم من ذلك ، فقد الروم حوالي نصف فرسانهم، وفر النصف الثاني^(٤).

اليوم الخامس: بدأ بالمبارزة بين مالك النخعي وماهان قائد الروم انتهت بهرب الثاني، وكان خالد بن الوليد يراقب الموقف عن كثب عندها أمر جنوده بأن يحملوا على الروم وهم يصيحون الله أكبر، وانتهت المعركة بفرار عدد كبير منهم بعد أن هرب فرسان الروم وفي مقدمتهم القائد العام، واستمر الجيش بالملاحقة يضغطون على الروم ويحصرهم في منطقة الواقعة وكان الروم يتدافعون لا يعرفون شيئاً وانتهت المعركة بنصر ساحق للمسلمين مهد للسيطرة على بلاد الشام،

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ١٩٠ - ١٩٦.

(٢) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٩٧.

(٤) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢١٢.

وخرج أهل الشام لملاقاة خالد مجددين له الولاء والعهد، فقالوا: نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم، فقال لهم: نعم، ثم مضى إلى حمص فنزل بها وبلغ ذلك أبي عبيدة بن الجراح، فلحق به^(١).

ب- دور عمر بن الخطاب أثناء الفتوح:

عندما تسلم عمر بن الخطاب الخلافة، علم قواعد السمع والطاعة، التي كانوا بالأصل قد تشربوها من الخليفة الأول أبي بكر، والتي كانت من ملامحها في إدارته العسكرية رضي الله عنه، وافتتح الخليفة عمر عهده بعزل خالد بن الوليد من إدارة الجيوش في الشام وحل محله القائد أبي عبيدة ابن الجراح، فأخفى خالد الأمر عن جيشه وتابع القتال، ولم يغضب خالد بل سارع إلى امتثال الأمر المطالب به من قبل القائد الأعلى في الإدارة العسكرية^(٢). وكان هذا أول إجراء إداري حربي اتخذه الخليفة عمر. واختلفت الروايات في ذكر أسباب العزل ومهما يكن من أمر هذا العزل لم يكن له أي تأثير في مجريات الأحداث وفي علاقة القادة بعضهم ببعض وفي نفسيات الجنود ومدى التزامهم بأوامر خالد بن الوليد لأن العزل كان عملاً ظاهرياً، فقد ظل خالد هو الأول بين أمراء جيوش العرب في بلاد الشام وصاحب الكلمة النافذة والرأي الراجح في الحروب أضف إلى ذلك أن هذا العزل إنما كان مظهراً من مظاهر عبقرية عمر الإدارية والسياسية، فقد اختار للقيادة في الطرف الجديد شخصاً يمكن أن تلتف حوله قلوب المقاتلة ولا يؤدي وجوده إلى تفرق الكلمة لأنه استعان ببعض قبائل الردة إلى جانب القبائل اليمانية وأبرزهم قيس بن المكشوح المرادي وأن هذا الأمر يستدعي إبطاء خالد بن الوليد عن القيادة وتسليمها لأبي عبيدة .

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٤٤، ٤٤٥. ابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): سيرة عمر بن الخطاب، المطبعة المصرية الأزهرية، د. ت ، ص ٨٩، ٩٠.

ألم يكن خالد بن الوليد هو بطل حروب الردة؟ فقد نظر عمر (ر) بعين بصيرة نافذة إلى ضرورة استثمار النصر العسكري بتحويله إلى نصر دائم.

والمفيد ذكره أن تقبل خالد لهذا الأمر دليل على تفهمه للمهمة العسكرية والدينية التي اضطلع بها قائداً أول الأمر ومقاتلاً فيما بعد، ويبدو أن أبا عبيدة كان لديه من الحكمة والتفهم للأسباب التي دعت هذا التغيير وأوكل إلى خالد القيادة العسكرية الفعلية بكل ما تحتاج إليه من تقنية وعلم لا يتوافر إلا لخالد بن الوليد دون سواه، ولعل هذا الدور المزدوج لكل من أبي عبيدة وخالد سبب الحيرة والتناقض في الروايات التي ذكرتها المصادر حول العزل وأسبابه.

الجدير بالذكر أنه في إحدى معارك الشام بقيادة عبد الله بن جعفر، طلب القائد أبو عبيدة من خالد بن الوليد أن يلحق به قائلاً: "أنت المعد لها، فقال خالد: أنا لها أن شاء الله وما كنت انتظر إلا أن تأمرني، فقال أبو عبيدة استحييت منك يا أبا سليمان فقال: "والله لو أمر علي طفلاً صغيراً لأطيعن له فكيف أخالفك وأنت أقدم مني إيماناً".^(١)

وعند فتح قيسارية؛ كتب الخليفة عمر إلى يزيد بن أبي سفيان: "أما بعد فقد ولينك اجناد الشام كله، وكتبت لهم أن يسمعوا لك ويطيعوا وألا يخالفوا لك أمراً، فاخرج، فعسكر بالمسلمين ثم سر إلى قيسارية فأنزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك"^(٢). ثم كتب نسخه واحدة إلى أمراء الاجناد طالباً منهم أن يطيعوا القائد يزيد ولا يعصوا له أمراً نصها: "أما بعد فقد وليت يزيد بن ابي سفيان اجناد الشام كله، وأمرته أن يسير إلى قيسارية فلا تعصوا له أمراً ولا تخالفوا له رأياً والسلام"^(٣).

كما اعتمد الخليفة عمر في إدارته العسكرية سيرة الرسول وأبي بكر بخصوص الرفق بالجنود وعدم تحميلهم ما لا يطيقون، فقد قال عندما أرسل إلى جند الشام المدد: "حمل ضعيفهم وزودهم، كما أمر القائد سعيد بن عامر بذلك عندما وجهه فقال له: "على رسلك حتى أوصيك"، ثم سار

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٠٤.

(٢) الازدي: تاريخ فتوح الشام، ص ٢٧٦.

(٣) الازدي: تاريخ فتوح الشام، ص ٢٧٦.

إلى الجيش راجلاً، وقال له: "يا سعيد وليتك هذا الجيش ولست بخير رجل فيهم إلا أن تتقي الله، فإذا سرت، فافرق بهم ما استطعت ولا تشتم بهم المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين"^(١).

وكان أكثر من في العسكر رجالة، فبالإضافة إلى حمل عمر لهم، كان يحمل بعضهم بعضاً، ويتعاقبون على ظهور الخيل والإبل، وهذا كان دليلاً على مدى التواد والتكافل بين الفاتحين الذي غرسه كلا من الخليفين في نفوسهم^(٢).

كما أن الولاة في الشام قد اعتمدوا في إدارتهم للحروب هناك على أدلاء، وذلك من أجل أن يتجنبوا الضياع بين الدروب التي لم يخبروها من قبل، فعندما عقد القائد أبو عبيدة بن الجراح بأمر من عمر بن الخطاب للقائد ميسرة بن مسروق العبسي، على الدروب لدخول أرض الروم انتخب له الفرسان والعسكر، وأشار القائد خالد بن الوليد على أبي عبيدة قائلاً: "أيها الأمير أرسل معهم أدلاء يعرفونهم الطريق ويكونون لهم عيوناً على أعدائهم"^(٣).

وفي الإدارة العسكرية لعمر بن الخطاب اهتم بالحرس واتخذهم كمن سبقه، فأمر قادته بالحرص والحذر من بيات العدو، وأخذهم على غرة، وطلب منهم إقامة الحرس في حلهم وترحالهم، فمن ذلك قوله للقائد سعد بن أبي وقاص: "أذك حرسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدي ولا تؤتي بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدو الله وعدوك"^(٤). أي أنه شرع لقائد الفتح، بأن يتخذ قصاص قطع الرأس بالسيف بلا رحمة ولا هوادة في الأمر، في حال وقع أي أسير بيدهم يتسقط الأخبار لأن ذلك يمس أمن المجاهدين ويشكل خطراً على حياتهم.

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٨٠، ١٨١. الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ١٨٦.

(٢) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٨١.

(٣) الواقدي: فتوح الشام، ج ٢، ص ٦.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ١٣١. النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، ط ١، ج ٦، ص ١٧٠.

كما أن القائد أبا عبيدة عندما فتح بعلبك استعمل عليهم أحد قواده ويدعى رافع بن عبد الله السهمي، وضم له خمسمائة فارس من بني عمه وعشيرته وأربعمائة من أخلاط الناس وأمره بأن يقيم الارصاد، والحراس في أطراف البلاد وقال له: ((إنك بين اعدائك وأمره بالتيقظ والحذر، وأخذ الحيلة، وأن لا يمكن أحدا من أهل المدينة بالاختلاط بعسكره، ولا سيما في اثناء الغارات حتى لا يطمع العدو فيه))^(١). أي أن الخليفة عمر لم يشرع اختلاط الجنود بالسكان الأصليين من أهل البلاد المفتوحة حرصاً عليهم من خيانة هؤلاء.

وكان القائد شرحبيل بن حسنة بفحل لا يصبح ولا يمسي إلا على تعبئة وحذر وحراسة وقد جاء إليه الروم راجين أن يأخذوه على حين غرة فلم يتمكنوا من ذلك فانهزموا وهم حيارى وظفر المسلمون أحسن ظفر وهذا عائد إلى تيقظه وحرصه على سلامة المسلمين وانصاته إلى نصيحة الخليفة بالحذر^(٢).

وكان قواد الفتح إذا غزو الروم من جهة الثغور الشامية، يتخذون الحرس المكثف، وذلك خشية من الروم الذين كانوا يقبعون هناك، منتظرين قدوم الجنود المسلمين المتخلفين عن المسير، أو المنقطعين والتائهين^(٣).

كان الخليفة عمر بن الخطاب على علم ودراية بمختلف الشؤون الإدارية العسكرية، وهذا ما جعله يوجه قاداته في إدارتهم للمعارك، ولم تقتصر باتخاذ العيون على الأعداء بل اتخذها أيضاً في الجيوش العربية الإسلامية في الرقابة الإدارية على الولاة والعمال والقادة والجند ليتعرف أحوالهم وسيرتهم ومعاملتهم وسير أعمالهم العسكرية، فقد كانت له عيون في كل جيش ومعسكر ترفع إليه تقارير عما يدور فيها^(٤).

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٤٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٤، ١٩٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٩، ٨٠.

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٠٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٤٧٦. الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٢٤٢.

وحينما قدم عمر بن الخطاب إلى بلاد الشام، ورأى معاوية بن أبي سفيان، في أبهة الإمارة والسلطان سألته عن ذلك فأجابه قائلاً: "يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا"^(١). فسكت ولم يخطئه، وهذا دليل على ضرورة حرص وحذر القادة من عيون وجواسيس الاعداء حتى في المظهر العام لينقل عنهم قوة وعزة ورفعة الإسلام، وهذا ما وجه به الخليفة عمر رضي الله عنه القائد أبا عبيدة بن الجراح^(٢).

وشكا القائد عمير بن سعد الأنصاري إلى الخليفة عمر حين قدم عليه وكان على طائفة من أهل الشام قائلاً: "يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عرب سوس"^(٣)، وأنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئاً ولا يظهروننا على عوراتهم، فقال له عمر: فإذا قدمت فخيرهم بين أن نعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بغير بغيرين ومكان كل شيء شئين، فإن رضوا بذلك فأعطهم وخربها فإن أبوا فأنبذ إليهم وأجلهم سنة ثم أخربها"^(٤).

والمفيد ذكره أنه في اليرموك لما نزلت الروم منزلهم الذي نزلوا به دس إليهم المسلمون رجالاً من أهل البلد من العرب كانوا نصارى فأسلموا ثم أتوا بأخبارهم وكان الذي أمرهم بذلك القائد أبي عبيدة والقائد خالد بن الوليد فقد بينوا لهم أن لهذا العمل أجراً لهم والله حاسبه لهم جهاداً فإنهم بعلمهم هذا يدافعون عن حرمة الإسلام ويدلون على عورة المشركين ففعلوا ما أمروا به فدخلوا عسكر الروم ثم جاؤوا معسكر المسلمين بعد ما مضى من الليل نصفه فأتوا أبا عبيدة بن الجراح

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٢١. ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٥٤.

(٢) ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) : الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م، ط ١، ص ٤٧٩. ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) : الإصابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ط ١، ج ٣، ص ٣٢.

(٣) ابن سلام: الأموال، ص ٢٢١، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٦. ابن العديم (كمال الدين ابن العديم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) : بغية لطلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، ج ١، ص ٣٣١.

(٤) ابن سلام: الأموال، ص ٢٢٠. البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ١٨٥.

وقالوا له إن القوم قد أوقدوا النيران وهم يعبئون لكم ويتهيئون لقتالكم وهم مصبحوكم بالغداة فما كنتم صانعين فأصنعوه الآن فخرج أبو عبيدة ومعه بقية القادة حيث أخذوا في تعبئة العسكر وصفهم وتهيئتهم للقتال حتى لا يؤخذوا على حين غرة يظفر بها العدو^(١).

كما أن عيون القائد أبي عبيدة، قدموا إليه بعد إخراج البيزنطيين من بلاد الشام، وأخبروه بتجمعهم ومسيرهم نحوه لاستردادها، فكتب بذلك للقيادة العليا في المدينة المنورة قائلاً: "إن عيوني قدموا علي من أرض انطاكية، فخبروني بأن هرقل عدو الله قد أمر بعساكر فصرفت إلى ناحيتنا وقد توجهوا علينا وزحفوا إلى ما قبلنا وأنهم قد جمعوا من الجموع ما لم يجمعه أحد قط لأمة من الأمم"^(٢).

وكان القائد أبو عبيدة يوصي في إدارته العسكرية من معه من قادة باتخاذ العيون في بعوثهم والمهام التي يكلفهم، فقد قال للقائد خالد بن الوليد: "يا أبا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة وأقصد بها المعرة وأقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلدة العواصم وارجع على إثرك وأنفذ عيونك، وانظر إن كان للقوم نجدة أو ناصر من قومهم أم لا"^(٣).

كما استفاد القادة في الشام من إدارة الخليفة عمر بن الخطاب العسكرية من بعض المعاهدين باستخدامهم عيون لهم ضد الاعداء يبحثون ويتعرفون لهم على أخبارهم، ويبلغونهم إياها حيث كان شرطاً من ضمن شروط الصلح معهم كما كانوا يشترطون أيضاً ألا يؤوا في كنائسهم أو منازلهم جاسوساً وأن يكونوا مناصحين للمسلمين غير غاشين في الشام^(٤).

(١) الأزدي: تاريخ فتوح الشام، ص ١٧٤، ٢١٢.

(٢) ابن اعثم الكوفي: الفتوح، مج ١، ص ١٧٦.

(٣) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١١.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٩١، ٢٨١، ٢٨٢. ابن الأزرقي (محمد بن علي بن محمد الأصبحي ت ٨٩٦هـ / ١٤٩١م) : بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط ١، ج ١، ص ١٧٩.

وبالتالي برز دور الإدارة العسكرية في كسب قلوب الذميين، وتجنيدهم للتجسس لصالحهم، فقد اتجه أهل الذمة إلى الوفاء بعهودهم عندما رأوا من المسلمين حسن السيرة والتصرف معهم، فصاروا أشداء على الأعداء، وبعثوا من كل مدينة رجالا امتازوا بتقصي الأخبار حتى يأتوا بها للمسلمين^(١).

وكان بعض قادة فتوح الشام يتولى عملية التجسس بنفسه فيدخل إلى أرض العدو بصفة أنه رسول وهذا ما فعله القائد عمرو بن العاص عندما دخل على أرتوبون الروم حيث تأمل حصونه وعرف مكامن الضعف فيها ومخارجها، ومداخلها وأخذ بعثة ثم رجع إلى معسكره^(٢).

ومثلما فعل الخليفة أبو بكر بأمداد جيوش الفتح سار الخليفة عمر على خطاه، فلما قصدت الروم القائد أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من جند المسلمين بحمص لحربهم، طلب من الخليفة عمر رضي الله عنه المدد وأخبره بخبرهم، فكتب عمر إلى سعد بن مالك بالكوفة أن يندب مع القائد القعقاع بن عمرو ويسرحهم إلى حمص لمعاونة إخوانهم فقدم المدد في اليوم الثالث بعد الانتهاء من المعركة وجمع الغنائم، فكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنهما يخبره بما حدث ويستفسر عن حكم الغنائم في ذلك فأجابه عمر: "أن أشركهم فإنهم قد نفروا إليكم وتفرق لهم عدوكم"^(٣). أي أن الخليفة عمر قد شرع امداد جيوش الفتح حتى من العراق، وكذلك شرع أمراً آخر وهو استحقاقهم الغنيمة على الرغم من عدم مشاركتهم في المعركة، لكنه اثابهم على طاعتهم.

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٨٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٠٦، ٦٠٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١١٦، ١٢٧، الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م): الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث، القاهرة ١٩٦٠م، ط ١، ص ١٣٥.

لم يترك الخليفة عمر الشورى، وإنما جعلها إجراءً إدارياً أساسياً في نظامه الإداري، فقد اتخذ مجلس شورى يتألف من كبار الصحابة - كهولاً وشباناً - للشؤون الإدارية في الدولة والتي كان من ضمنها مهام الإدارة الحربية^(١).

وعندما مصر عمر البلدان كان يستشير العسكر، فعندما يمر به منهم من يريد الجهاد يسأله: "الشام أحب إليك أم العراق؟ فيقول الشام أحب إلي" فيلبي رغبته فيما اختار، ومن مشهور قول الفاروق في الشورى،: "الرأي الفرد كالخيط السيل والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد يتنقض"^(٢).

ومن أجل أن تكون إدارة الخليفة عمر للفتوح على أكمل وجه، جعل أمر الاهتمام بالبريد من أوليات مهامه في الإدارة الحربية، وبالتالي شغل البريد دوراً مهماً في إدارته، فبواسطته كانت تصل الأوامر إلى القواد في الأجناد، ومن خلاله كان يرسل سكوك تعيين القادة، وفي المقابل كان الخليفة يتلقى التقارير من جبهات القتال والمتضمنة الوقائع والأحداث، وما ترتب عليها من نتائج^(٣).

كما استخدم الخليفة عمر بن الخطاب البريد لنقل الرسائل الشخصية من الثغور الشامية إلى أهل الجنود العرب في المدينة المنورة، فقد كان عمر رضي الله عنه يقول لنساء الجند في المدينة كما سلف القول: ((أزواجكن في سبيل الله وأنتن في بلدة رسول الله إن كان عندكن من يقرأ وإلا فافترين من الأبواب حتى أقرأ لكن))، ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فأكتبن حتى نبعث بكتبكن ثم يدور عليهن بالقرطيس والدواة ويقول هذه الدواة وقرطاس فأدنين من الأبواب حتى أكتب لكن ويمر بالمغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن^(٤).

(١) الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٧٨. ابن اعثم الكوفي: الفتوح، مج ١، ص ٢٢٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٨٥.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١١٩، ١٢٠، ١٢٢. الكتاني: الترتيب الإدارية، ج ١، ص ١٩٢.

(٤) الطرطوشي: سراج الملوك، ص ٢٢٧.

وكذلك في المقابل كان بريد الولاة في الشام وثغورها إذا أراد التوجه إلى مقر الإدارة العليا في المدينة، قام ونادى بين الناس قائلاً: "ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب"^(١).

التنظيم الإداري الحربي لبلاد الشام والثغور:

بعد إتمام مراحل الفتح العسكري لبلاد الشام كان على المسلمين أن يواجهوا مهام التنظيم الإداري والحربي، فكان عليهم أن ينظموا الولايات الشامية إدارياً ومن ثم ينظموا الثغور إدارياً، ويحصنوا المراكز المهمة منها، وأن يعززوها بقوات كبيرة من المحاربين، أي أوجبت الضرورات العسكرية أن ينظموا إدارة البلاد وأن يقيموا جهازها الإداري.

عمد الخليفة عمر إلى اعتماد التقسيم الذي كان موجوداً في الشام منذ حروب هرقل ضد الساسانيين، حيث قسمت إلى أربعة أجناد، وهي جند حمص، جند دمشق، جند الأردن، جند فلسطين، وهذه الأجناد كانت عبارة عن أقاليم تستقر فيها فرق من الجنود العرب كانت مهمتهم حمايتها والدفاع عنها، مقابل قبض أعطيات خاصة بهم يحددها الخليفة^(٢)، وكان الخليفة عمر قد استقى هذا التقسيم من نظام البنود البيزنطي الذي بدأ هرقل بتطبيقه في الشام، فلقد أوجبت الضرورات العسكرية تقسيم الشام إلى أجناد، ولاسيما أن الساحل الشامي الذي تم فتحه كان طويلاً، هذا من الناحية الجغرافية، أما من الناحية الحربية فقد كانت الشام وسواحلها ما تزال مهددة بالخطر البيزنطي، لذلك اتجه عمر إلى إيجاد مراكز عسكرية متعددة كي يتمكن كل جند من الدفاع عن المدن الساحلية التابعة له^(٣).

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن الخطاب، ص ٨٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٢٣.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ١٣٧،

(٣) ابن شداد (محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلام الخطيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبّارة، ط ١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، ط ١، دمشق ١٩٩٦م، ص ٩٤، ٩٦، ١٠١. اليعقوبي: البلدان، ص ٣٢٧.

فقد احتفظ المسلمون بالتقسيم السائد آنذاك-أي في العصر البيزنطي- إذ كان حاكم الإقليم يجمع بين السلطات الإدارية والعسكرية إلا أنهم اقتصروا في بداية الأمر على أربعة أجناد، وهذا ما أكدّه ابن كثير: "قأبو بكر رضي الله عنه، عندما عزم على فتح الشام، سمى لكل أمير على الجيوش كورة، فسمى لأبي عبيدة كورة حمص وليزيد بن أبي سفيان كورة دمشق، ولشرحبيل بن حسنة كورة الأردن، ولعمرو بن العاص وعلقمة بن محرز كور فلسطين"^(١).

كما كانت المقاطعات في بلاد الشام مكونه من مدن داخلية وأخرى ساحلية، فكان كل جند يضم منطقة ساحلية وأخرى داخلية، بحيث تستطيع كل منطقة أن تعتمد على الأخرى حربياً واقتصادياً، وبالتحديد أن العرب لم يمتلكوا حتى تلك اللحظة أسطولاً قادراً على حماية السواحل، لذلك جعل الولاة مراكز الأجناد مدناً داخلية، فكانت قسبة حمص مدينة حمص، وقسبة جند دمشق، مدينة دمشق، وفلسطين قصبته اللد، أما الأردن قصبته طبرية^(٢).

وعند تحريرها اتجه الخليفة عمر إلى إدارتها، وتنظيم امورها، فقد كانت بلاد الشام في بداية تحريرها بيد خالد بن الوليد، إلا أن الخليفة عمر ما أن تولى الخلافة حتى سارع إلى عزله ، كما سلف ذكره. وولى عليها أبا عبيدة بن الجراح، الذي قام بإعادة ترتيب الولاة على الشام بعد تحرير دمشق سنة ١٤هـ / ٦٣٥م، ودون تدخل من قبل الخليفة عمر رضي الله عنه، فقد ذكر أبو حفص الدمشقي انه لما افتتح ابو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق وعمرو بن العاص على فلسطين وشرحبيل على الأردن ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت^(٣).

فإذا كان الخليفة عمر قد ترك للقائد أبي عبيدة حرية ضبط الأجناد وتوزيعها إدارياً على الولاة، لكنه ما لبث أن سارع إلى إحداث تغيير في هذه التعيينات، فرافق ذلك تغييراً إدارياً كبيراً، فقد

(١) ابن كثير: تاريخ الخلافة الراشدة ، ص ٨٦-٨٧.

(٢) (القلقشندي) (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤، ص ٩٩.

(٣) (البلاذري): فتوح البلدان ، ص ١٣٣.

أعاد ترتيب الشام بعد زيارته ١٧هـ / ٦٣٨م، وعقده لمؤتمر الجابية^(١)، فقد جعل أبو عبيدة على حمص وخالد تابعاً له على قنسرين، وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان وعلى الأردن معاوية وعلى الأهراء (إدارة تموين الجيش) عمرو بن عنبسة، وعلى السواحل عبد الله بن قيس، وعلى كل عمل عامل^(٢)، ووظيفة الإشراف على الأهراء كانت موجودة من أيام الفرس^(٣).

أما فلسطين فقد قسمها إلى قسمين بناء على طلب أهلها عندما عقد الصلح معهم، وقد أوضح الطبري ذلك حين قال: واكتبوا منه على ايلياء (القدس) وحيزها والرملة وحيزها فصارت فلسطين نصفين: نصف مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة^(٤)، وما يؤكد ذلك ما ذكره الطبري أيضاً حين أورد كتاب الصلح مع أهل بيت المقدس من أن عمر فرق فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة وعلقمة بن مجزر على نصفها وأنزله ايلياء، فنزل كل واحد منهما في عمله مع الجنود المرافقين له^(٥).

وبالتالي شهد عام ١٧ هـ / ٦٣٨م تطوراً في تقسيم الأجناد من جهة وفي توزيع الولاية وعزلهم من جهة ثانية. أي تطورت تطوراً إدارياً ملحوظاً، ففكسر أصبحت إدارياً تابعة لحمص وجعل عاملاً عليها، وعزل شرحبيل عن ولاية الأردن بسبب ضعفه في الإدارة والحرب، وتعيين معاوية ابن أبي سفيان جاء من أجل تثبيت ما شهدته الشام من التراتيب الإدارية وهذا ما يتطلب رجلاً قوياً ويتسم بالحنكة والدهاء كما كان معاوية.

يتبين من خلال ما سلف أن الخليفة عمر بن الخطاب ترك للقائد العسكري أبا عبيدة حرية التصرف ، فقد تمتع بصلاحيات واسعة سواء في الإدارة المدنية أو العسكرية، من خلال توجيه

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٤-٦٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٧.

(٣) كريستين (آرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة : يحيى لخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٩٤-٩٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠٨. طه (عبد الواحد ذنون): إدارة بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب، مجلة آداب الراشدين، موصل، ١٩٨٦م، العدد ١٦، ص ٢٩٠.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٥.

القادة أو تعيين العمال على الكور^(١). ويقيم بنفسه عقود الصلح وفق الشروط التي تناسب المسلمين وتناسب سكان المناطق المفتوحة، كما أنه تولى أمرة القضاء، أي جمع بين القيادة والإمامة والقضاء.

وكان من عادة الخليفة عندما يقوم بإرسال قائد لفتح منطقة يعينه والياً عليها قبل خروجه للقيام بالمهمة المناطة له^(٢). فمعاوية كان على دمشق وبلبك والبلقاء وعمرو بن العاص على فلسطين والاردن وعياض بن غنم كان عن حمص وقنسرين والجزيرة^(٣).

كما كانت صلاحية من تم تعيينه على قيادة الاجناد تتوقف على ما يرد في صك التعيين من ولاية الصلاة، أو الحرب، أو الخراج، أو قد يتولى الأمور الثلاثة، إلا أن الخليفة لم يتبع بهذا الخصوص تدبيراً إدارياً معيناً إذ أن اتخاذ مثل هذا القرار كان يتوقف على شخصية الوالي وعلى الجند نفسه^(٤). كما أن الخليفة كان يتدخل بتعيين العمال لإدارة الجند، ولكن بطريقة غير مباشرة، فمثلاً عين علقمة بن علاثة بن عوف على حوران لكن جعل ولايته من قبل معاوية، الذي كان يتولى قيادة جند دمشق وكانت حوران تابعة له^(٥).

عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إلى الشام لمصالحة أهل بيت المقدس جدد إدارة تموين الجيش (الأهراء)، وكان عمرو بن عنبسة أول موظف عليها وقد سلف ذكر ذلك، ويعد ذلك تطوراً في الإدارة الحربية^(٦).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٧، ١٥٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة، ج ١، ص ١٥٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٤٤. الدينوري: الأخبار الطوال، ص ١٢٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٥.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٥. حسيني(علي): الإدارة العربية، ترجمة: إبراهيم

العدوي، طبعة القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٣٢.

لكن هذا التغيير في الإدارة لم يستمر إلا لعام واحد، وهذا عائد إلى الظروف التي مرت بها بلاد الشام من الطاعون الذي فتك في البشر والحجر، والذي يسمى بطاعون عمواس، وكان عام ١٨ هـ / ٦٣٩ م، فأحدث الخليفة تغييراً آخر في ترتيب الجند وفي تعيين العمال وتغيير أماكن عملهم والسبب يعود إلى موت الكثير من الجند والقواد والناس الأمر الذي استدعى تغييراً إدارياً، وكان ممن توفي من القادة، أبو عبيدة بن الجراح، فخلفه عياض بن غنم على حمص وما والاها من قنسرين، وتم تعيين معاذ بن جبل على الأردن إلا أنه ما لبث أن توفي، وذهب كذلك ضحية الطاعون يزيد بن أبي سفيان، فاقر الخليفة عمر معاوية على عمل أخيه أي على دمشق^(١).

واستمر الوضع الإداري حتى عام ٢١ هـ / ٦٤١ م، حيث أحدث الخليفة عمر تغييراً للمرة الثالثة في ترتيب الأجناد حيث أعاد تقسيمها إلى قسمين إداريين كبيرين وجعل عليها عاملين فقط، فكان عمير بن سعد الأنصاري على دمشق والبتنية وهوران وحمص وقنسرين والجزيرة، ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعة مصرين وقليلة^(٢).

وعندما توفي الخليفة عمر كانت الشام مقسمة إلى ثلاث ولايات يديرها ثلاثة ولاه معاوية على دمشق والأردن، وعمير بن سعد على حمص وقنسرين وعلقة بن مجز على فلسطين^(٣).

من كل ما تقدم يتبين أن الشام كانت تعيش حالة من الفوضى الإدارية وهذا عائد إلى الظروف التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية، أولها: الطاعون الذي ضربها وحصد رؤوس الكثير من القواد والجنود وترك فراغاً في القيادة، وثانياً: عدم القدرة على حسم مسألة استقرار القبائل من عدمها، كما أن الخليفة اضطر إلى عزل القواد ممن لم يتمتع بكفاءة إدارية وقوة في التفكير العسكري.

أما فيما يتعلق بالسواحل والثغور التابعة لها (فتوحاتها وتنظيمها):

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٣٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٤٤.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٩٤.

اتبع المسلمون خطة مخططاً لها ومحددة فيما يتعلق بفتوحات ساحل بلاد الشام، حيث قام العرب المسلمون بعد الفتح العربي الإسلامي لدمشق وقبل معركة اليرموك باختراق خطوط البيزنطيين في بلاد الشام من مدينة دمشق الداخلية^(١) إلى ساحل بحر الروم (المتوسط) في سريتين، وكان الهدف منها تهديداً لسيطرة الروم على السواحل، والقيام بعملية استطلاع لتلك المنطقة.

- وقد انطلقت السرية الأولى بقيادة "خالد بن الوليد" واستهدفت موكب الروم البيزنطيين الذي خرج من مدينة دمشق بعد فتحها وكانت بقيادة هرييس وتوما وابنه الإمبراطور هرقل، وقد توجهوا إلى مدينة أنطاكية، فلحق بهم خالد ومعه أربعة آلاف، وحصل القتال بين سرية العرب المسلمين والروم البيزنطيين في مرج يعرف باسم مرج الدياج، حيث استطاع القائد خالد بن الوليد قتل هرييس وتوما وأسر ابنة الإمبراطور هرقل^(٢).

أما السرية الثانية فكانت بقيادة "عبد الله بن جعفر" ابن عم رسول الله (ﷺ)، وعُرفت وقعتها بوقعة "أبي القدس"، وسبب هذه التسمية لوجود حصن يُعرف بـ"أبي القدس" على ساحل بحر الروم (المتوسط) بين مدينتي عرقة وطرابلس عند مرج السلسلة، حيث ورد لأبي عبيدة أن الروم البيزنطيين يقومون في كل سنة بزيارة راهب يقيم في صومعة، ويُقام جانب الصومعة سوق يجتمع فيه الكثيرون من جميع أنحاء ساحل بلاد الشام، ولاسيما من مدينة طرابلس القريبة، فأراد أبو عبيدة النصر والغنيمة للعرب المسلمين، وتم تكليف عبد الله بن جعفر قيادة هذه السرية، وانطلقت من مدينة دمشق بعد فتحها، ولكن تفاجأ العرب المسلمون بالأعداد الكبيرة للروم البيزنطيين، فطلبوا النجدة من أبي عبيدة الذي أنجدهم بالقائد خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف، فاستطاع الوصول إلى أرض المعركة وقلب الميزان لصالح العرب المسلمين، فانهزم الروم البيزنطيون وعلى رأسهم حاكم طرابلس الذي كان يشتهر بقوته^(٣).

(١) يلحظ أن العرب المسلمين اتخذوا من مدينة دمشق عاصمة لبلاد الشام، بعد أن كانت مدينة أنطاكية هي العاصمة البيزنطية لبلاد الشام.

(٢) الواقدي: فتوح، ج ١، ص ٨٣-٩١.

(٣) الواقدي: فتوح، ج ١، ص ٩٧-١٠٩.

وبالتالي مهدوا الطريق أمام فتح حلب ومن بعدها أنطاكية، وفتح سواحل حمص ودمشق والأردن.

فكيف تم فتح سواحل جند فلسطين:

كان فتح مدينة رفح من ضمن مهام جيش القائد عمرو بن العاص، الذي قام بفتحها صلحاً بعد أن أمن أهلها على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وذلك ضمن خطة لتأمين فتوحات العرب المسلمين الداخلية، وليقطع طريق الساحل على أرطوبون^(١) الروم في أجنادين، وليمهد الطريق لحصار بيت المقدس^(٢).

أما مدينة غزة فقد تم فتح مدينة غزة مرتين، الأولى: حدثت عندما توجه القائد "عمرو بن العاص" بجيشه إلى فلسطين، حيث حدثت أولى المعارك بين العرب المسلمين والجيوش البيزنطية، وهي معركة داثن قرب غزة في جمادى الأولى سنة (١٣هـ/٦٣٤م)، وبنتيجة هذه المعركة استطاع العرب المسلمون فتح داثن ومدينة غزة صلحاً واكتفى عمرو بن العاص بالجزية مقابل الأمان^(٣).

أما الفتح الثاني فكان بقيادة القائد "علقمة بن مجزر"، وبتكليف من القائد عمرو بن العاص، وكان يحكم مدينة غزة من قبل الروم البيزنطيين حاكم عرف باسم الفيقار^(٤)، فقام القائد علقمة بن

(١) هو نائب الملك هرقل على السواحل والقدس، يصفه العيني بأنه كان ملكاً كبيراً داهية.

انظر: العيني (بدر الدين محمود): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق من الورقة (٥١٨) إلى الورقة (٥٩٥) - معركة أجنادين - وفتح بيت المقدس - وقعة قيسارية - وقعة نهر سير، ١٧ - ١٩هـ/٦٣٨ - ٦٤٠م، تحقيق: رنه محمد طاهر الشيخ، إشراف شكران خربوطلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق ٢٠١٠-٢٠١١م، ص ٨٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٧٧. البلاذري: فتوح، ص ١٤٠-١٤٤. اليعقوبي: البلدان، ط ١، ص ١٦٨.

(٣) الواقدي: فتوح، ج ١، ص ٣٣، ٤١. البلاذري: فتوح، ص ١١٣.

(٤) هو القبطار بن نسطور استخلفه الإمبراطور البيزنطي هرقل على أمراء الشام حين سار إلى القسطنطينية، كما كان خصياً لهرقل.

مجزر بحصارها مدة طويلة، ولكنه لم يستطع فتحها؛ بسبب أسوارها المنيعة، ولذلك حاول إرسال عناصر لاستطلاع مواطن الضعف فيها، لكن هذه العناصر لم تتمكن من معرفة ذلك؛ بسبب إجراءات الحذر التي اتبعها حاكمها، ولذلك قام علقمة بإتباع أسلوب "عمرو بن العاص" في استطلاع حصون أربطون الروم في أجنادين، فتظاهر بأنه أحد قادة القائد علقمة ويريد مفاوضات، واستفاد من كل فرصة لدراسة التحصينات، وأفضل الطرق للوصول إليها، وقد شعر الفيقار أن علقمة من الرجال الخطرين وشك في أمره، فأرسل من ينصب له كميناً في طريق عودته، إلا أن علقمة أدرك ذلك، فقال في نهاية حديثه للفيقار أنه راغب في اصطحاب عشرة من رفاقه حتى يستمعوا إلى حديثه ويفاضوه، فإن تم الاتفاق يمكن بذلك تحقيق السلم من دون قتال، وعندها قام الفيقار باستدعاء قوة الكمين على أمل الحصول على صيد ثمين في قتل عشرة من قادة العرب المسلمين ونجحت الحيلة، بعدها قام علقمة بهجوم حاسم، واستطاع فتح مدينة غزة بما توافر له من معلومات، وأصبح طريق مصر ممهداً للفتح والتحرير^(١).

في حين أن الداروم فتحت في عهد الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م)، بإرسال حملة أسامة بن زيد إلى بلاد الشام، وقد استطاع الوصول إلى الداروم وبينى^(٢).

وقد أكد الخليفة عمر بن الخطاب ضرورة الإسراع في فتح مدينة عسقلان لأهميتها الاستراتيجية، وتم ذلك في سنة (١٩هـ/٦٤٠م)، حيث قام القائد "عمرو بن العاص" بفتحها صلحاً، لكن أهلها نقضوا هذا الصلح، فقام معاوية بن أبي سفيان سنة (٢٣هـ/٦٤٤م) بفتحها مرة ثانية، وقد كان فتح القائد عمرو ضعيفاً لأنه جاء بمبادرة من أهل عسقلان، لهذا قام معاوية بعد ذلك بفتح عسقلان

انظر: العيني: العقد الفريد، ص ٨٠.

(١) الواقدي: فتوح: ج ١، ص ١٤٠. اليعقوبي: البلدان، ص ١٦٧. الطبري: تاريخ، ج ٣،

ص ٦٠٤-٦٠٧. العسلي (بسام): فن الحرب، دار الفكر، دمشق ١٩٧٤م، ط ١، مج ١، ص ١٦٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ١١١٧، ١١٢٢-١١٢٤. ابن حبيب: المحبر، ص ١٢٥. الطبري:

تاريخ، ج ٢، ص ٢٤٤-٢٤٦.

كما ذكرت معظم المصادر، أضيف إلى ذلك أن المصادر التي أشارت إلى فتح عسقلان (١٩هـ/٦٤٠م)، صلحاً على يد عمرو بن العاص لم تذكر دخوله المدينة وبذلك يكون عمرو بن العاص قد اكتفى بقيام أهل عسقلان بدفع الجزية، لذلك سرعان ما نقض أهلها الصلح ولاسيما عندما غادر عمرو فلسطين متوجهاً إلى مصر، أو ربما لقدم معونات أو مساعدات من الأسطول البيزنطي من البحر^(١).

أما مدينة يافا فُتحت في عام (١٦هـ/٦٣٧م)، على يد "معاوية بن أبي سفيان"، وقيل على يد "عمرو بن العاص"^(٢)، وبما أن معظم مدن جند فلسطين فُتحت صلحاً، وتم تأمين سكانها على أموالهم وأنفسهم وذرائعهم، فمن المؤكد أن مدينة يافا فُتحت صلحاً على صلح بقية المدن الأخرى نفسه.

وقد أزعج الخليفة عمر بن الخطاب من بقاء مدينة قيسارية بيد الروم البيزنطيين، فقام بإرسال كتاب لواليه "يزيد بن أبي سفيان" يأمره بالإسراع بفتح مدينة قيسارية، وذلك لأن وجودها يهدد تحركات العرب المسلمين، ويعطي للروم البيزنطيين الفرصة للاتصال بالإمبراطور البيزنطي، ويمهد الفرصة للانقلاب على فتوح العرب المسلمين في بلاد الشام^(٣).

عندها تولى فتحها "يزيد بن أبي سفيان" بأمر من الخليفة عمر، غير أنه أُصيب بالطاعون، ووكل أخاه معاوية بمحاصرتها وفتحها، وتوجه هو إلى دمشق حيث توفي فيها، أما معاوية فقد بقي مع جيش مؤلف من ١٧ ألف لحصارها وفتحها، وكان على قيسارية حاكم من قبل الروم البيزنطيين عُرف باسم أبني^(٤)، وقد استطاع معاوية الانتصار عليه في كل مواجهة حصلت بينهما، وفي آخر معركة بينهما بلغ عدد قتلاهم ٨٠ ألفاً، في هذه المرحلة استطاع العرب المسلمون التواصل مع أحد اليهود ويدعى يوسف؛ واتفقوا معه بعد أن أمنوه على نفسه وأهله،

(١) البلاذري: فتوح، ص ١٤٤.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ١٤٠. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٣) الواقدي: فتوح، ج ١، ص ٢٥٠.

(٤) الطبري: تاريخ، ج ٣، ص ٦٠٤.

فقداهم إلى سرداب ماء موصل إلى المدينة كان مُعداً للهرب منها في حال اقتحامها، فدخلها العرب المسلمون وفتحوا بابها فدخلها معاوية وجيشه، وقد بلغ سبي قيسارية ٤ آلاف، بعث بهم معاوية إلى الخليفة عمر فأنزلهم الجرف^(١).

وفتحت مدينة حيفا على يد عمرو بن العاص عام (١٢هـ/٦٣٣م)، فقد فتحت صلحاً، ولم تقاوم العرب المسلمين، ولم تنقض صلحهم. وتلك هي أهم المدن التي كانت تابعة لجند فلسطين.

أما فيما يتعلق بفتوحات ساحل جند الأردن فقد تمكن القائد شرحبيل بن حسنة من فتح مدينة صور في سنة (١٣هـ/٦٣٤م)^(٢)، في حين ذكر قدامة ((إن يزيد بن أبي سفيان كان حاصر صور، ولكن فتحها تحقق على يد راهب نصراني حابى الإسلام ويدعى يوقنا، وذلك في خلال حصار يزيد بن أبي سفيان لصور))^(٣).

أما مدينة عكا سنة (١٥هـ/٦٣٦م)، فقد فتحت على يد القائد "يزيد بن أبي سفيان" وأخيه "معاوية"، وبعد دخول العرب المسلمين إلى عكا أمر معاوية بترميم ما خُرب منها^(٤)، ولم ينتظر مدة طويلة من الزمن لإعادة إعمارها كمدينة صور، وهذا لا شك لأهمية هذه المدينة، ولتنفيذ استراتيجيته التي كان يُخطط لها منذ أن وطئ ساحل بلاد الشام، وهذا يؤكد أن ساحل بلاد الشام لم يفتح إلا باستراتيجية قائمة وضع أسسها خليفة المسلمين عمر بن الخطاب^(٥).

(١) الطبري: تاريخ، ج ٣، ص ٦٠٣-٦٠٥.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ١٢٠. قدامة بن جعفر: الخراج، ص ٢٩٠.

(٣) الواقدي: فتوح، ج ٢، ص ١٨-٢١.

(٤) الحموي: معجم، ج ٤، ص ١٤٤-١٤٨.

(٥) البلاذري: فتوح، ص ١٥٣-١٥٤. مؤنس(حسين): تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣، ط ٢، ص ٤٥-٤٧.

وقد بدأ العرب المسلمون بالتفكير الجدي بفتح مدن جند دمشق الساحلية من خلال حصارهم لمدينة بعلبك سنة (١٤-١٥هـ/٦٣٥-٦٣٦م)^(١)، فكانت صيدا كأول مدينة ساحلية في جند دمشق تم فتحها على يد القائد يزيد بن أبي سفيان، وقد ارتبط بتاريخ فتح صيدا كل من عرقة وجبيل وبيروت (مدن ساحل جند دمشق)، ويُعد تاريخ الفتح العربي الإسلامي لمدينة بيروت مرتبطاً بتاريخ فتح مدن جند دمشق الساحلية الأخرى، أي صيدا- عرقة-جبيل؛ ذلك لأن هذا الفتح جرى بتاريخ واحد لجميع مدن ساحل جند دمشق وذلك سنة (١٣هـ/٦٣٤م)، وقد فُتحت على يد القائد يزيد بن أبي سفيان وأخيه معاوية، ونتيجة لذلك تركها معظم أهلها من الروم البيزنطيين^(٢)، وبعد وفاة يزيد سنة (١٨هـ/٦٣٩م) بطاعون عمواس أصبحت تابعة لأخيه والي الشام معاوية، وأصبحت الميناء الجغرافي الطبيعي لدمشق بسبب قربها منها، واهتم معاوية بترميمها وإعادة إسكانها للدفاع عنها^(٣).

يرتبط تاريخ فتح مدينة جبيل بتاريخ فتح كل من مدن عرقة وصيدا وبيروت، وذلك من خلال قول البلاذري: حيث فتحها يزيد بن أبي سفيان وأخوه معاوية، وذلك بعد فتح دمشق، وقد تم فتحها بتاريخ فتح كل من صيدا وبيروت وعرقة^(٤).

وقد تعددت الروايات التي تتحدث عن فتح مدينة طرابلس، حيث يذكر الواقدي أن مدينة طرابلس فُتحت سنة (١٨هـ/٦٣٩م)، وأن ذلك تحقق على يد الراهب الحلبي "يوقنا"، من خلال خدعة قام بها، حيث سلم المدينة لخالد بن الوليد^(٥).

(١) ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله): تهذيب تاريخ ابن عساكر، ترتيب عبد القادر بدران، دار السيرة، بيروت ١٩٧٩م، ط ٢، ج ١، ص ١٦٠.

(٢) البلاذري: فتوح، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) الحموي (ياقوت): معجم الأدباء، نشر مرجليوث، القاهرة د.ت، ج ١٨، ص ٥٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٩.

(٥) الواقدي: فتوح، ج ٢، ص ١٧.

ويؤكد البلاذري وسط اختلاف المؤرخين حول سنة فتحها أن فتح مدينة طرابلس كان في سنة (١٨هـ/٦٣٩م)، قبل فتح قيسارية بسنة واحدة، ولكن البلاذري لم يتحدث عن الراهب الحلبي "يوقنا" ودوره في فتح طرابلس وتسليمها لخالد بن الوليد^(١).

وقد تم فتح عرقة على يد معاوية بن أبي سفيان في عهد أخيه يزيد بن أبي سفيان؛ وذلك بعد فتح مدينة دمشق سنة (١٤هـ/٦٣٥م)^(٢).

وفيما يتعلق بفتوحات ساحل جند حمص: فقد بدأ أبو عبيدة بحصار المدينة اللاذقية، ولاحظ صعوبة اقتحامها عنوة، فترجع أبو عبيدة بجيشه عن المدينة، وعسكر على بعد منها، وأصدر أوامره بحفر حفر للفرسان تستطیع الحفرة الواحدة إخفاء الفارس وفرسه، وانتشرت هذه الحفر حول المدينة، وتم إنقان إخفائها وتمويهها عن الأنظار، ثم تظاهر أبو عبيدة برفع الحصار عن المدينة وسحب قواته إلى حمص، وفي الليل عاد الفرسان إلى الحفر وقاموا بالاختفاء فيها، وعندما خرج سكان اللاذقية في اليوم التالي إلى حقولهم ومزارعهم، وفُتحت أبواب المدينة، خرج الفرسان من الحفر بشكل مفاجئ، وأسرعوا بدخول المدينة، ولحق بهم أبو عبيدة، ولكن استطاع الروم البيزنطيون التحصن والاستمرار في المقاومة، وطلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم، فقبل منهم، وثُركت لهم كنيستهم، وعقد صلحاً مع أهلها، وقام باستخلاف القائد "عبادة بن الصامت" عليها، فبنى مسجد عبادة، وكان هذا الفتح سنة (١٥هـ/٦٣٦م)^(٣).

و قام القائد "عبادة بن الصامت" بتكليف من القائد "يزيد بن أبي سفيان" بعد فتح مدينة اللاذقية، بتوجيه قوة إلى مدينة انطرسوس، حيث قامت بفتحها وكان ذلك سنة (١٥هـ/٦٣٦م)، وكان فتحاً سهلاً، بسبب قيام معظم سكانه بالجلء عنه بعد فتح معظم المدن الرئيسة على يد العرب

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٩.

(٣) البلاذري: فتوح، ص ١٣٤. الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٣. العسلي: فن، مح ١، ص ١٥٤-

المسلمين^(١)، وعندما توفي القائد "زياد بن أبي سفيان" قام معاوية والي الشام بإعادة بناء أنطرسوس، فمصرها وأسكنها الجند وحصنها تحصيناً جيداً^(٢).

فُتحت بلنيس مثلما فُتحت بقية مدن الساحل، وقام معاوية بتحصينها من خلال بناء حصن أودع فيه الجند وأقطع لهم القطن تشجيعاً لهم على الاستقرار^(٣).

وقد فتح العرب المسلمون عام (١٩هـ/٦٤٠م) أفامية، على يد أبي عبيدة بن الجراح وذلك بعد أن فتح شيزر حيث تابع مسيره نحوها فصالحه أهلها على الجزية والخراج، ومن ثم قسمها العرب المسلمون بين حمص وحماة بعد أن كانت في القرن الخامس الميلادي قسبة سورية الثانية وعاصمتها^(٤).

و قام القائد عبادة بن الصامت بعد فتح اللاذقية بتوجيه قوة إلى مدينة جبلة، حيث كان أهلها قد جلوا عنها والتحقوا بالروم البيزنطيين عندما علموا بفتح العرب المسلمين لمدينة اللاذقية، وقد قامت هذه القوة بفتحها وكان ذلك سنة (١٥هـ/٦٣٦م)^(٥).

أما مرقية فُتحت على يد القائد عبادة بن الصامت، وجددت قلعتها واستخدمت في أعمال المراقبة والدفاع عن ساحل بلاد الشام من هجمات الأسطول البيزنطي^(٦).

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٠. ابن العديم: بغية، ج ١، ص ١١٩. أبو عبيدة (طه عبد المقصود عبد الحميد): موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة د.ت، ص ٢٤.

(٢) ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٢٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ، ج ٦٨، ص ٢٣٢.

(٤) عثمان: الحدود، ج ١، ص ٢٨٩-٢٩٠. طقوش (محمد سهيل): تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ٢٠٠٣م، ط ١، ص ٢٤٨.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٥. ياقوت الحموي: معجم، ج ٢، ص ١٠٥.

وفي عام (١٥هـ/٦٣٦م) توجه القائد أبو عبيدة بن الجراح من حلب إلى أنطاكية، وكان قد تجمع بها بعض من سكان حلب وقنسرين وغيرها، فحاصرها وضيق على أهلها الحصار، ثم صالحه أهلها على الجلاء أو البقاء، فصالحه أهل حلب وعادوا إلى مدينتهم، والتحق قسم من أهل أنطاكية بالروم البيزنطيين، وبقي قسم منهم فيها، وعقدوا صلحاً مع أبي عبيدة. ولكنها لم تستقم إذ قامت بالتمرد، ونقضت الصلح المعقود مع العرب المسلمين، عندها قام الخليفة عمر بن الخطاب بتوجيه رسالة إلى أبي عبيدة بن الجراح، جاء فيها: ((رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعلهم بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء))^(١).

فقام أبو عبيدة بتوجيه جيش بقيادة "عياض بن غنم"، و"حبيب بن مسلمة" إلى أنطاكية ففتحها من جديد، حيث صالح أهلها على الصلح السابق نفسه، وترك بها قوة من العرب المسلمين^(٢).

وعندما تم فتح مدينة أنطاكية تم فتح مدينة السويدية، لأنها كانت فرضتها وميناءها، وقد ألحقها العرب المسلمون بجند قنسرين حيث أصبحت من أهم مدنها^(٣). وبعد هزيمة هرقل وتراجعها إلى أنطاكية، هدم جميع الحصون ما بين الإسكندرية وطرسوس وأخلاها من أهلها؛ خوفاً من استيلاء العرب المسلمين عليها، وبالتالي أصبحت خالية عندما دخلها العرب المسلمون، إلا من بعض جنود الروم البيزنطيين الذين بقوا فيها لنصب كمائن لمن يتخلف من الجند العربي المسلم، وهذا ما دفع العرب المسلمين إلى أخذ الاحتياطات اللازمة^(٤).

(١) البلاذري: فتوح، ١٣٤-١٤٤. ياقوت الحموي: معجم، ج ٥، ص ١٠٩. كرد علي: خطط، ج ١، ص ٨٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٣) البلاذري: فتوح، ص ١٤٨. طقوش: تاريخ، ص ٢٥٦.

(٤) المقدسي البشاري (محمد بن أحمد بن أبي بكرت ٣٨٧هـ/٩٩٧م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٦م، ص ٥٤.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج ١٩، ص ١٠٥.

كما أن هزيمة الروم مكنت العرب المسلمين سنة (١٥هـ/٦٣٦م) من فتح طرسوس^(١)، وجاء عند ابن العديم أن طرسوس خربت وجلا عنها أهلها بعد فتح حلب وأنطاكية^(٢).

كان أول قائد عربي إسلامي وصل إلى مدينة طرسوس هو أبو عبيدة بن الجراح، حيث غزا بالصائفة كلاً من المصيصة وطرسوس، التي خلت من أهلها، وقيل أرسل القائد "ميسرة بن مسروق العبسي" لهذه المهمة^(٣).

وهكذا تم فتح مدن الساحل الشامي، فمنها من خربه الروم حتى لا يكون مسلحة للعرب، ومنها ما خربها العرب حتى لا تعود الروم إلى احتلالها والاستفادة منها، ومنها خليت تماماً من سكانها، والأخرى وضعت فيها حاميات من أجل حمايتها من غارات البيزنطيين.

تسليح الثغور وتنظيمها:

ومن أجل إدارة السواحل سارع الخليفة عمر إلى إقرار نظام الصوائف والشواتي أي إرسال فرقة عسكرية للغزو في فصل الصيف، وهو ما عرف بالصوائف، وكذلك الأمر إرسال فرق عسكرية للغزو في فصل الشتاء وهو ما عرف بالشواتي، وعمل على تحصينها وتسليحها، واستعمل عبد الله بن قيس عليها، فقد كانت ثغور المسلمين الشامية أيام عمر بن الخطاب ما بعد ذلك أنطاكية وغيرها من المدن التي عرفت بالعواصم، فكان المسلمون يغزون ما وراءها، وكان فيما بين الاسكندرونة وطرسوس حصون ومسالح للروم، فقد خليت من أهلها الذين هربوا إلى الدولة البيزنطية خوفاً، ثم أدخل هرقل أهل هذه المدن معه عند انتقاله من أنطاكية لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم، وخربها، فكان المسلمون إذا غزوا لم يجدوا بها أحداً، أو كان فيها بعض من الروم يهاجمون بمن تأخر عن جيش المسلمين أي المتخلفين عن

(١) البلاذري: فتوح، ١٦٤. قدامة بن جعفر: الخراج، ص ٣٠٧. ابن العديم: بغية، ج ١،

ص ١٦٠. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٢) ابن العديم: بغية، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) البلاذري: فتوح، ص ١٦٥.

الجيش أو المنقطعين عنه، فكان ولاية الشواتي والصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جندا كثيفا^(١).

وبالتالي لما كان الروم لا يكفون عن الإغارة على المدن الساحلية في بلاد الشام، تزايد اهتمام العرب بمنطقة الحدود البرية والبحرية التي أخذت تتضح شخصيتها، وتأقلمت بأن تأخذ شكلها، وتشغل دورها، وأخذت تسميتها بما عرف بالثغور^(٢). والتي هي المدن المحصنة الواقعة على الحدود البرية والبحرية، لذلك سميت الثغور البرية لبلاد الشام ثغورا شامية، أي مما يلي الشام، وثغوراً جزرية أي الحدود مما يلي الجزيرة^(٣).

وكانت أنطاكية من أهم الثغور: أنطاكية التي : اهتم بها العرب بعد الفتح وجعلوها قاعدة للدفاع من ناحية الحدود البيزنطية، فضلا عن ذلك كانت مركزاً دينياً^(٤).

ومن الثغور أيضاً قورس والتي تبعت إدارياً لجند حمص، وكانت خط الدفاع الأول عن حلب وأنطاكية^(٥).

ودلوك ورعبان، وعينتاب، وبغراس ومنبج، التي كانت مهمتها حماية مواقع الحدود، وكذلك مراقبة الصحراء الشامية في الجنوب حتى بالس^(٦) وبالس هذه كانت نقطة تجمع الجيوش الإسلامية للانطلاق الى القتال فيما وراء الحدود الجزرية.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٥. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٤.

(٢) عثمان(فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري- الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ط ١، ج ١، ص ٣٣٦.

(٣) زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٤. عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٩٩-٢٣٠.

(٥) عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٣٤.

(٦) عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٢٦.

أما الثغور البحرية لم يهتم الخليفة عمر بن الخطاب بالثغور البحرية بالدرجة نفسها التي وجهها لمدن الداخل من الناحية الإدارية، فقام بترميم حصونها وترتيب المقاتلة فيها إلا أن تنظيمها إدارياً لم يكن كافياً تجاه ما تتعرض له من خطر من قبل البيزنطيين، حيث لم يكن لهم فيها أي عاصمة ساحلية، كما كان الأمر بالنسبة للبيزنطيين حيث كانت أنطاكية هي عاصمة سوريا^(١).

ولما كان الخطر البيزنطي يهدد التراتيب الإدارية التي وضعها عمر في الداخل، لأن اسطولهم ما يزال يهemin على البحر، ولم يكن العرب قد أنشأوا اسطولهم بعد، لذلك اتجه عمر إلى اتخاذ التدابير الكافية لحماية المدن والموانئ الساحلية المعرضة لتهديدات الاسطول^(٢).

كتب الخليفة عمر إلى أبي عبيدة بعد فتح انطاكية أن رتب جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة وأجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء^(٣)، أي اعتمد على اتخاذ وسيلة الدفاع فقط، وليس الهجوم.

وبما أن قسماً من الثغور الشامية أصبح مخرباً والآخر خاوياً، فقد شرع عمر من الناحية التنظيمية فقط نظام الدفاع والمرابطة، والقائم على إعادة تعمير ما تخرّب وإعمارهِ وتجهيزه بوسائل مناسبة لحمايته، وطلب الإمداد، ومن الثغور التي اهتم بها العرب بعد تحريرها هي قورس فقد كانت قورس كالمسلحة لأنطاكية يأتيها في كل عام طالعة من جند أنطاكية، ثم حول إليها ربع من أرباع انطاكية وقطعت الطوالع عنها^(٤).

(١) حمدان: جغرافية المدن، ص ١٠٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٠. العلي (صالح): مقدمة في صدر الاسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨١م، مج ٣٢، ق ٢، ص ١٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٩. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٩٠.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٠.

إن إدارة السكن في الثغور لم تقتصر على اسكانها بالمجاهدين بل قام أبو عبيدة بإسكان العرب الذين كانوا بالشام واسلموا بعد قدوم المسلمين الشام، وقوماً لم يكونوا من البعوث نزحوا من البوادي من قيس^(١).

وبما أن التدابير الإدارية التي وضعها أبو عبيدة لحماية السواحل التابعة لأجناد الشام، لم تكن كافيه للحفاظ على الفتوحات والتراتب الإدارية فيها، لذلك قام معاوية بشحن السواحل وتحصينه^(٢). لكنه كان قد لقي في البداية اعتراضاً من القيادة الإدارية في المدينة بهذا الخصوص، فعندما طلب من الخليفة أن يأذن له في غزو جزيرة قبرص مبينا له شدة خطورة هذا المعقل التابع للروم على سلامة المدن الشامية سواء الداخلية منها والساحلية، واستشار الخليفة عمر كبار رجالات العرب وأمام تعدد الآراء، تبنى الرأي القائل بعدم الغزو تجنباً للمخاطر البحرية، وعلى الرغم من أن هدف كل من الوالي والخليفة هو سلامة المسلمين، فالخليفة خشي على حياة المسلمين أما معاوية خشي من وجود اسطول للروم قريباً من شواطئها، وافتقارها لوسائل الدفاع، وهذا ما جعل معاوية يكتب مرة أخرى إلى الخليفة شارحاً له سوء أحوال السواحل، عندها أمره الخليفة بترميم الحصون وترتيب المقاتلة وإقامة الحرس على المنائر واتخاذ المواقد لها كما بالنسبة للثغور^(٣).

وبالتالي طلب الخليفة من معاوية تقوية السواحل واتخذ خطة الدفاع وليس الهجوم، وهذا ما هدف اليه معاوية عندما كتب له مرة ثانية أن يقوم بتنفيذ سياسته على مراحل حتى لا يغضب المعارضة والموالاة^(٤).

رغب الخليفة عمر من خلال نظام الدفاع هذا، إقامة الحرس على المنائر من أجل اكتشاف سفن الاعداء، أما وضع المواقد: كان الهدف منها إرسال إشارة للقواد في الداخل بضرورة إرسال

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥١.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٠. بدر: التنظيم العسكري، ص ١٥٦.

المدد إلى المرابطين في الثغور نتيجة لتعرضهم لهجوم مباغت من قبل العدو، ويتم إرسال الإشارة من خلال إشعال النار في هذه المواقد. وبالتالي اجراء الخليفة عمر الإداري الحربي كان بداية لظهور نظام المراقبة، على الساحل أو بداية لاستخدام حاميات مع توفير وسائل عند الضرورة لطلب المدد من الداخل.

كما كتب عمر إلى الوالي معاوية يأمره بتحرير عسقلان، ففتحها وتم له ذلك، وأسكنها الروابط ووكّل بها الحفظة^(١)، وكذلك فعل معاوية بملطية فقد فتحها عنوة ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عامل لها^(٢)، ثم شحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة^(٣)، ولعل الحاميات التي وضعت في كل من عرقه وصيدا وجبيل وبيروت جرى اسكانها وتوزيع القطائع والأراضي عليها، ويرى الدكتور الدوري أن إعطاء القبائل أراضي قرب مراكز الاجناد وخاصة في دمشق وحمص وفي أماكن استراتيجية في الشمال على نهر العاصي وفي المناطق الساحلية كان من ضمن سياسة الخلافة في تشجيع الهجرة^(٤).

ويبدو أن اتخاذ مثل هذه التدابير كانت لازمة عند تحرير كل مدينة على الساحل فكانوا كلما فتحوا مدينة أو الساحل التابع لها، رتبوا فيها جماعة من المسلمين تفادياً لأي حدث قد يحدث فيها، كتعرضهم لهجوم من قبل البيزنطيين ، أو في حال سرب البيزنطيون إليها الإمدادات، كما أنهم اعتمدوا الإغراء لبقاء المرابطين فيها من خلال القطائع والهبات المالية.

إدارة التنظيمات الاجتماعية في بلاد الشام (القبائل، وسكان المناطق المفتوحة):

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٥.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٥.

(٤) الدوري (عبد العزيز): الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، مجلة المستقبل العربي بيروت ١٩٨١م، عدد ٢٤، ص ٤٦-٤٧.

اتبع في توزيع القبائل العربية في الشام وتجنيدتها نظاماً يختلف عن النظام الذي اتبع في العراق، وهو نظام الاجناد، فقد وزعت الجيوش العربية أجنادا تعسكر قرب مدن الشام الرئيسية، وكل جند كان ينسب إلى المكان الذي هو فيه لا إلى القبائل التي يتألف منها، كما كتب إلى أمراء أجناد الشام ألا يتبددوا إلى القرى وأن ينزلوا المدائن وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً ولا تتخذ القبائل مساجد، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده^(١).

وبالتالي كان الخليفة عمر حريصاً على إقامة قواعد حربية لجنده التي كانت في الأساس عبارة عن قبائل عربية غالباً معها نساؤها وأطفالها، في المناطق المحررة، وقد اتخذت هذه القواعد شكل الأمصار أو مدن أنشئت لتكون مقراً للمقاتلين من القبائل في كل من العراق ومصر، أما في بلاد الشام فلم تنشأ فيها أمصار إسلامية لأسباب متعددة منها: كانت لبلاد الشام أحوال خاصة حملت العرب على اتخاذ تنظيمات خاصة تلائم أوضاعها، وذلك لأن الانتصارات الساحقة التي أحرزها العرب على الروم لم تؤد إلى القضاء على الدولة البيزنطية، كما حدث في العراق حيث تم القضاء على الدولة الفارسية، فقد ظلت جيوشها مرابطة في شمال بلاد الشام، كما أن المناطق الساحلية ظلت معرضة لتهديدات البيزنطيين بحكم امتلاكها لأسطول كان يسيطر في البحر المتوسط^(٢).

إن بلاد الشام أمطارها غريزة وهذا يقتضي أن يقيم العرب في مساكن محكمة البناء بخلاف الوضع في جنوب العراق حيث الأمطار القليلة وبالإمكان السكنى في اخصاص القصب أو في بيوت من الطين، وكان هذا يتطلب إعداد المساكن الملائمة لذلك المناخ^(٣)، ولم يكن العرب المقاتلون على استعداد للقيام بذلك بسبب انشغالهم بالأمر العسكري.

فضلاً عن ذلك فإن بلاد الشام كان يسكنها عند تقدم الجيوش العربية الإسلامية عدد كبير من القبائل العربية منها لخم، وجذام، وبلقين، وبهراء، وبلق، وعاملة، وغسان، وقضاة، وفزارة، وبني

(١) المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ٦.

(٢) العلي: امتداد العرب، ق ١، ص ٦.

(٣) العلي: امتداد العرب، ق ٢، ص ٧.

تغلب، وتتنوخ، والضجاعم، ومسلم، ومذحج، وكلب، وسليح، وخشين، والقين، وإياد^(١)، لم يكن في نية الخليفة الإدارية أن يعزلهم عن الجند المقاتلة ببناء مدن خاصة بهم ويبدو أن الخلافة قررت في البداية اتخاذ الجابية مقراً لتجمع الجيوش العربية الإسلامية وانطلاقها^(٢).

وعندما سير أبو بكر أبا عبيدة إلى الشام أمره أن يقصد بمن معه أرض الجابية^(٣)، ولا ريب أن موقعها الجغرافي ووقوعها في هضبة الجولان وارتفاعها مما أهلها لأن تكون مركزاً لإنفاذ الجيوش القادمة من الحجاز ومناطق شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام وفلسطين ومصر^(٤)، ويمكن أن يكون التفكير قد اتجه إلى جعلها منطقة لاستقرار العرب وليس فقط لتجمع الجيوش وذلك لوقوعها على طريق البادية كالكوفة والبصرة ذات المناخ الملائم لسكنى العرب^(٥)، إلا أن هذه الفكرة لم تطبق.

في حين تشير بعض الروايات إلى أن عدداً من المدن في بلاد الشام صالح أهلها العرب على أنصاف منازلهم فيذكر الهيثم بن عدي أن شرحبيل بن حسنة افتتح الأردن عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم^(٦)، ويذكر الطبري أن أهل طبرية وبيسان صالحوا شرحبيل على صلح دمشق على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن^(٧).

(١) الأزدي: فتوح الشام، ص ١٠٧.

(٢) عبد العزيز الدوري: العرب والأرض، ص ٢٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٤) طه: إدارة بلاد الشام، ص ٢٩٩.

(٥) جودة: العرب والأرض، ص ٢٦.

(٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ص ١١٩.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٤٤.

وصالح السمط بن الأسود الكندي أهل حمص على أن يقسم حمص خططاً بين المسلمين، فنزلوا واستقروا في الأماكن المهجورة من قبل أهلها عند الفتح ولما قدم أبو عبيدة أقر لهم هذا الصلح^(١).

كما أن جلاء الروم عن بعض المدن والمساحات الواسعة من الأراضي الزراعية، جعل القبائل العربية التي كانت تسكن دمشق قبل الفتح تتسارع إلى الاستيلاء عليها وخاصة أنها قد دخلت في الإسلام وساعدت العرب أثناء الفتح فعدت نفسها لها الحق في امتلاكها، وكان هذا يعني في الحقيقة حرمان المقاتلين من ثمرات جهادهم^(٢).

وهذا ما دفع العرب إلى توزيع المجاهدين العرب في عدة أماكن تقيم فيها بشكل دائم لتأدية واجباتهم الحربية، وقد تهيأ للعرب جملة من الظروف ساعدتهم على ذلك، ومنها فرار بعض السكان من مدن بلاد الشام، واللاحق بهرقل الذي كان ما يزال في أنطاكية، فكثرت المنازل الخالية وهذا ما دفع المسلمين إلى السكن فيها^(٣).

لذلك بعد مجيء الخليفة عمر إلى بلاد الشام، عقد مؤتمر الجابية سنة ١٦هـ / ٦٣٦م، الذي حضره قادة الاجناد، والذي لم يكن لتقسيم الغنائم، وإنما السبب الرئيس الذي استدعى قدومه على ما يظهر هو معالجة سكنى القبائل العربية التي كانت من أكبر المشكلات التي تحتاج إلى حلٍ سريع نظراً للظروف العسكرية الصعبة وهجمات البيزنطيين^(٤). وكان من أهم ما قام به من أعمال هو إعادة توزيع الدور والأراضي بين جميع المسلمين العرب سواء كانوا من السكان الاصليين أو القبال المشاركة في التحرير^(٥).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٣. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٩١ - ٤٩٢.

(٢) شعبان: صدر الاسلام، ص ٥١.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٥.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠٨. طه: إدارة بلاد الشام، ص ٣٠٠.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٢٩٩.

أما مواطن القبائل التي شاركت في الفتح، ففي فلسطين استقرت قبائل لخم، وجذام، وعاملة، وكندة وقيس، وكنانة^(١)، وفي الأردن وجدت بطون من غسان، ومذحج، وهمدان، وكنب، والسكاسك، والسكون^(٢)، وأغلب القبائل التي نزلت دمشق كانت من اليمانية الي جانب قلة من قيس وقريش، بينما نزلت قبائل قيسية ولا سيما بني مرة في الغوطة، وحواران والبثنية^(٣)، وجل أهل حمص كانوا يمانية قضاعية من طيء وكندة وهمدان وكنب وبهراء وتتوخ مع قلة من قيس وإياد في جبلة^(٤)، ولكثرة القبائل اليمانية في جند حمص تعرض القيسيون إلى الذل من قبلهم^(٥)، وكانت مواطن قيس قنسرين وما حولها^(٦)، بالإضافة إلى تتوخ وطى، أما قبيلة كلب فقد نزلت البقاع وبالتالي أطلق عليه بقاع كلب ومنهم بنو عامر ونزلوا المرح الفلسطيني الذي عرف بمرج ابن عامر^(٧).

كما قرب الولاة والأمراء وبأمر من الخليفة عمر سكان المناطق المفتوحة من المعاهدين أو أهل الذمة: وذلك عن طريق حسن المعاملة، فقد أعطوهم الأموال على الأنفس والأموال والأولاد والكنائس والمنازل، فجاء ذلك في كتاب خالد لأهل حمص، وكتاب عمر بن الخطاب لأهل القدس، وغيرهم من القواد سواء في دمشق أو غزة أو سببلة، أو نابلس^(٨)، وكان الخليفة عمر قد منح الأمان ليس لسكان البلاد وحدهم وإنما للروم كذلك، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمّنهم ومن أقام فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيليا وهو ما عرف بالعهد

(١) ابن خياط: تاريخ خليفة، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٣١.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ٦١، ج ٦٨، ص ٢٣٥.

(٤) البلاذري: أنساب الاشراف، ج ٥، ص ١٤٧.

(٥) أبو الفضل النيسابوري (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م)، مجمع الامثال،

تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ٣٤٩.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٥، ص ٥٣٥، ٥٣٨.

(٧) (الدباغ (مصطفى مراد): بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع ١٩٩١ م، ج ١، ق ١، ص ٧١٤.

(٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٨، ١٢٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤.

العمرية، ومن كان بها من أهل الأرض ممن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله^(١).

وعامل الخليفة عمر أهل الذمة معاملة حسنة، فخفف عنهم من الضرائب ومن عجز عن دفعها إما دفعها عنه أو أسقطها^(٢)، كما أنه التزم بعقود الصلح المبرمة في عهد الرسول من أهل الذمة، فمنعهم ولم يكلفهم فوق طاقتهم^(٣).

وعلى الرغم من سياسة التسامح التي انتهجها عمر تجاه أهل الذمة إلا أنه اضطر أن يتخذ موقفاً معيناً من عرب الشام والجزيرة، فعرب الشام قبل الفتح كانوا على الدين المسيحي وكان للغساسنة مكانة مرموقة، لكن موقف ملكهم جبلة بن الأيهم الذي أسلم وارتد ومن ثم التحق بالروم ترك أثراً على سياسة الخليفة عمر بن الخطاب تجاههم، فضاعف الصدقة على قبيلة تغلب عندما رفضت الدخول إلى الإسلام، وكذلك رفضت دفع الجزية^(٤).

وعندما لم يكن هناك دوراً خاصاً للقيام بالضيافة، أوجب المسلمون على النصارى عند الفتح أن لا يمنعوا كنائسهم عن المسلمين في الليل ولا في النهار، فقد صالح أبو عبيدة أهل الشام أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة أيام^(٥).

أما فيما يتعلق بتياب النصارى، فقد ألزم الخليفة عمر النصارى بزي خاص بهم، حتى يتم التمييز بين المسلم والنصراني^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠٩.

(٢) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكِر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام ١٩٩٧، ط ١، ج ١، ص ١٣٤.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٣٠.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ١٦٥.

(٦) ابن قيم الجوزي: أحكام أهل الذمة، ج ١، ص ٤٩١ - ٤٩٢.

أما أهل البلاد من المدنيين، فقد تركهم الخليفة عمر أحراراً في أراضيهم^(١)، أما رقيق الخمس فقد استخدموا في شؤون شتى، فعندما أرسل معاوية بن أبي سفيان سبى قيسارية البالغ حوالي أربعة آلاف إلى عمر بن الخطاب قسّمهم على يتامى الأنصار ثم كلف بعضهم بأعمال الكتابة ولخدمة المسلمين^(٢).

أما فيما يتعلق بتنظيم الأمور القضائية لكافة رعايا الدولة الإسلامية: كان القائد المتولي أمور الجيش هو الذي يتولى أمور القضاء في بلاد الشام، وهذا ما تدل عليه رسالة الخليفة عمر رضي الله عنه الموجهة إلى أبي عبيدة بن الجراح، حيث أمره بأن لا يصدر قراراً قضائياً إلا بعد توفر الأدلة الكافية، وأن يعامل الضعيف معاملة حسنة حتى يتمكن من بيان حجته، وأن يتعهد القادم من مناطق بعيدة للبت في أحد القضايا، لأنه إذا طال به المقام سيرجع إلى بلده دون أن يتمكن من حل قضيته^(٣).

ولكن بعد طاعون عمواس جعل الخليفة عمر القضاء وظيفة متخصصة، وجعلها بيد رجال متخصصين فبعد أن ولى معاوية بن أبي سفيان ولاية الشام إثر وفاة أخيه يزيد بالطاعون، ولى معه رجلين من اصحاب رسول الله الصلاة والقضاء، وكان أبو الدرداء أحدهما حيث تسلم ولاية القضاء في دمشق والاردن وصلاتهما، والثاني عبادة بن الصامت الذي تسلم ولاية القضاء في حمص وقنسرين وصلاتهما^(٤).

إدارة الجيش في بلاد الشام وتنظيماته:

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٧.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١١٧. ابن الجوزي: سيرة عمر، ص ٩٢.

(٤) أبو زرعة (عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م) : تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ص ١٥١، ١٦٥،

على الرغم من ظهور أساليب قتالية متعددة في فتح العراق وغيرها فقد خرج العرب إلى الشام بهيئة قبائل واستمروا منظمين وفق تقسيمات أساسها الوحدات القبلية من قبيلة إلى عشيرة^(١)، فعندما سير أبو بكر الجيوش إلى الشام أمر الأمراء وطلب أن يعقدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم^(٢).

لكن خالد بن الوليد عندما قدم من العراق إلى الشام وجد أن الجيوش المتوجهة إلى الشام قد ازداد عددها وتكونت جيوش ضخمة اضطرت في أثناء زحفها لمواجهة جيوش كبيرة منظمة محتشدة وبالتالي قام بإحداث تطوير ملائم واستخدم أساليب جديدة في اللحظات الحاسمة، وعندما كان لكل جيش من الجيوش الأربعة قائد وكل جيش مخصص لتحرير منطقة وبالمقابل الجيش البيزنطي المحتشد في اليرموك، ورأى أنها عاجزة عن مواجهتها بوضعها الراهن. وقال: " لا تقاثلوا قوماً على نظام وتعبئة على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من ورائكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا"^(٣).

ويعني التساند خروج القوم على رايات شتى دون قائد عام يجمعهم^(٤)، كما يعني الانتشار تفرق الجيش عن قائده^(٥)، لذلك فإن أول عمل قام به هو إيجاد قيادة عامة للجيوش الأربعة، وبدأ القيادة بنفسه^(٦).

ثم عبأ الجيش على طريقة الكراديس وجعل أعداده التي تبلغ حوالي الأربعين ألفاً في حوالي أربعين كردوساً، وكان خالد بن الوليد أول من أوجد نظام الكراديس في القتال، فجعل القلب كراديس وأقام أبو عبيدة، وجعل الميمنة كراديس عليها عمرو بن العاص^(٧).

(١) الدوري: مقدمة في صدر الاسلام، ص ٨٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٣. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، م ١، ص ٥٣٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٥. بدر: التنظيم العسكري، ص ١٢٩.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٢٢١.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج ١، مادة انتشر.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٦.

لم يكتف خالد بتحويل وحدات القبائل الى كراديس بل جمعت هذه الكراديس في وحدات أكبر هي مقدمة وقلب وجناحان وساقة، وهو ما يسمى نظام الخميس^(٢). وقد ساعد هذا التقسيم على تحقيق النصر في معركة اليرموك. واشترك في المعركة القبائل العربية التي بقيت على نصرانيتها، فقد هدف الخليفة عمر من وراء هذا الإجراء الحربي دمجهم مع المسلمين، والتعرف على مبادئ الدين الإسلامي، فذلك سيدفع الكثير منهم للدخول في الإسلام طوعاً، ومن أجل ذلك أرسل رسلاً إلى القبائل العربية التي شاركت في الحرب إلى جانب ملك الروم، وحملهم مصاحف من القرآن، لعلهم يدخلون في الدين الإسلامي ويقاثلون إلى جانب أخوتهم من العرب^(٣).

تطلب مشاركة القبائل العربية بكثرة في تحرير الشام واستقرار وارد الدولة المالي بعد إبقاء الأرض ملكاً للدولة إيجاد جهاز إداري ومالي مركزي لتنظيم هذه الأمور، فكان إنشاء الديوان الذي كتب فيه أهل الجيش وأهل العطاء وأهلهم وأنسابهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم^(٤).

لم يشرع الخليفة عمر بن الخطاب لجنوده العمل بالزراعة ، بل أمر منادي أن يخرجوا إلى أمراء الأجناد ويبلغوا العسكر أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل وأن ينهونهم عن الزراعة حتى إنه عاقب من لم يمتثل لهذا الأمر، واستثنى من ذلك المرابطين بالثغور لحمايتها^(٥). إضافة إلى ذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمدهم بالأسواق إلى ما يصيبون من العدو ويسأل الرسل عن الأسعار^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٢) فروخ (عمر): العرب والاسلام، بيروت ١٩٨١م، ص ٧٢.

(٣) البكري(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): معجم ما استعجم، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ، ط ٣، ج ١، ص ٧٥.

(٤) ابن منظور: لسان، ج ١٣، ص ١٦٦. الياس: نظام العطاء، ص ٢٠٧.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٦٢. السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ/ ١٥٠٦م): حسن المحاضرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ١٩٦٧م، ط ١، ج ١، ص ١٥٥.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٥١٠، ج ٤، ص ١٨٨.

كل ذلك حرصاً من الفاروق حتى يتفرغ الجند بشكلٍ كاملٍ للجهاد ونشر الإسلام وكى لا يلتصقوا بالأرض حين يزرعوا فيركنوا إلى ذلك ويصبح جلهم منشغلاً، فعندما يأتي النفير لا يوجد من يحارب ، وبذلك استطاع عمر رضي الله عنه أن يوجد في إدارته العسكرية جنداً متفرغاً للقتال جاهزاً لوقت الحاجة والطلب وضمن عدم انتشارها لجني الثمار والزراعة وما يتبعها من حصاد وحرث وتسويق وبخاصة أن الدولة الإسلامية في تلك المرحلة كانت في مرحلة التكوين.

ونظراً لكثرة الأموال التي تدفقت إلى الخلافة بعد تحرير دمشق ، وما رافق ذلك من عقود الصلح مع اهل الشام، ونظراً للحاجة الماسة إلى تنظيم جباية الأموال وإدارتها وتوزيعها على مستحقيها، أدى ذلك إلى تأسيس ما يسمى بديوان سنة ١٥هـ/٦٣٦م، ولما كان الديوان قد تطور وتنظم بشكل جيد جداً في عهد عمر بن الخطاب، ولم يكن توزيع العطاء مركزياً، لذلك كان لا بد من إيجاد دواوين محلية في الولايات الإسلامية تتولى توزيع العطاء، وتسجيل الجند.

كان المقاتلة في الشام يسجلون حسب مكان إقامتهم، فكان لكل جند من أجناد الشام مقاتليه الذين يأخذون أعطياتهم من مراكز أجنادهم ويتم تسجيل المقاتلة وفقاً لأنسابهم، أما إذا كانوا بدون نسب التحقوا بأية قبيلة يختارونها وانضموا إلى ديوانها، ومن ذلك ضم ديوان خثعم بلال الحبشي لأن الرسول أخا بينه وبين أبي ربيعة الخثعمي، ونظراً لذلك لم يبق في الشام حبشي إلا صار ديوانه في خثعم^(١)، كما أن الخليفة عمر حاول قدر الإمكان الجمع بين الوالد وابنه، وعلى رأس هؤلاء السمط بن الأسود الذي ابلى في فتوح الشام بلاءً حسناً، فيما كان ابنه في العراق يقاتل، فأمر ابنه بالتوجه إلى الشام ونزلاً معاً في جند حمص^(٢). وكان الديوان الذي أوجده عمر بن الخطاب قد انقسم إلى قسمين قسم للذرية، وقسم للمقاتلين الآباء، ففي قسم الذراري كان يسجل عدد الأولاد الذين يحق لهم الحصول على العطاء، ولم يقتصر الفرض على الأبناء فقط وإنما حصلت عليه النساء^(٣)، وكان عطاء الأولاد مائة درهم سواء أكان ذكراً أو أنثى بعد الفطام، لكنه لم يستمر على هذا التشريع إذ سرعان ما اتخذ إجراءً إدارياً مالياً يقتضي بفرض العطاء للمولود

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ١٩٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٣.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٣، ص ٦١٤. المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٧١.

حال ولادته، ولاسيما بعد أن وصلتته أنباء عن قيام النساء بفطم أولادهن قبل الموعد المحدد وذلك طمعاً في الحصول على العطاء مبكراً^(١).

إدارة النظام المالي في بلاد الشام وتشريعاته:

اتجه المسلمون عند فتح المناطق إلى تنظيم الأمور المالية الخاصة سواء بالمعاهدين أو الخاصة بأهل الذمة، وكذلك تنظيم الأمور المالية الخاصة بالفاتحين، ففرضوا على أهل الذمة من سكان المناطق المفتوحة ضريبتين الخراج والجزية، وغيرها من الضرائب الأخرى الإضافية، أما فيما يتعلق بالفاتحين فقد وزع عليهم العطاء والأرزاق والقطائع.

ففيما يتعلق بالجزية المفروضة:

وكانت الطريقة السائدة في الشام هي فرض دينار على كل رأس وجريب من الحنطة على كل جريب أرض، والملاحظ عدم تفريق الجزية عن الخراج بدقة فإنهما عدا جزئين لضريبة واحدة^(٢).

فقد أمن السمط بن الأسود الكندي أهل حمص مقابل دفع مائة ألف وسبعون ديناراً، إذ كان العرب بحاجة ماسة إلى الأموال من جهة، وأهل حمص كانوا بحاجة إلى أن يشعروا بالأمان فكانت الفائدة متبادلة، لكن أبو عبيدة عندما فرغ من فتح دمشق عاد وصالحهم وفرض عليهم الجزية والخراج شأنهم شأن أهل بعلبك^(٣)، وبتقدم هرقل اضطر أبو عبيدة إلى الانسحاب منها وبالتالي أزال الخراج وأعاد ما جباه لأنه لم يتمكن من نصرتهم، وبعد معركة اليرموك عاد العرب مرة أخرى ودخلوا حمص. وبالتالي اتبع العرب في بلاد الشام أسلوبين فبعضهم صالح على أساس دفع ضريبة ثابتة تقدر بدينار عن كل جريب أيسروا أو تعسروا في حين صالح بعضهم على قدر طاقته إن زاد ماله زيد عليه وإن نقص نقص عليه^(٤).

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ٢١٥. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٥.

(٢) الدوري: النظم الإسلامية، ج ١، ص ١٣٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠٠.

وذكر اليعقوبي أن أبا عبيدة بن الجراح صالح أهل حماه على جزية على رؤوسهم والخراج في أرضهم^(١)، أما قدامة بن جعفر فيرى أن الجزية في الشام في بدء الأمر على كل رأس ديناراً^(٢)، ووصلحت دمشق على المقاسمة في العقار بالإضافة إلى دينار عن كل رأس^(٣)، ويحدث سعيد ابن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب عاتب سعيد بن عامر بن جذيم واليه على حمص قائلاً: "ما لك تبطئ بالخراج؟ قال: أمرت أن لا نزيد الفلاحين ولن نزيدهم على ذلك، ولكننا نؤخرهم إلى غلاتهم، قال عمر: لا عزلتك ما حييت"^(٤). وقد ذكر هذا من قبل.

ويمكن التوصل من خلال المعاهدات التي عقدت مع أهل الشام والجزيرة إلى أنه وجد في المرحلة الأولى من الفتح ضريبة على الرأس هي الجزية، والتي حددت بجريب ودينار على كل شخص^(٥)، وذكر بعض الرواة أن خالد بن الوليد فرض على أهل دمشق بالإضافة إلى الجزية، مقداراً من الحنطة والزيت كضريبة عينية^(٦)، أما عياض بن غنم فقد صالح أهل الجزيرة في المدن والقرى بأن الزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة وأخرج النساء والصبيان ووظف عليهم مع الدينار اقفة من قمح وزيت وخل وعسل^(٧)، لكن هذه الجزية المؤلفة من دينار وأرزاق لم يلبث أن أصابها التعديل لأن عمر عمد إلى جعلها أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعين درهماً على أهل الورق وفرضها حسب الحالة المادية لكل شخص فعلى الغني جزية، وعلى المتوسط جزية وعلى الفقير جزية، أي جعلها فئات^(٨).

(١) اليعقوبي: تاريخ، ج ٢، ص ١٣٠.

(٢) قدامة: الخراج، ص ٢٩٥.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٤٤٠.

(٤) ابن سلام: الاموال، ص ٤٤.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣١.

(٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧، ١٧٩.

(٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣ - ١٣١.

أما الأرزاق فقد فرضت على أهل الريف فقط دون أهل المدن، وذلك لأن الأرضين لهم فبإمكانهم دفعها، فيذكر أبو يوسف: "أنهم إنما فعلوا ذلك لأن أهل الرساتيق هم أصحاب الأرضين والزرع وأهل المدن ليسوا كذلك"^(١).

كانت الجزية في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه تجبى عيناً ونقداً فكان أهل الذمة إذا جاؤوا بعرض، قبل منهم، كالدواب والصناعات وغير ذلك يؤخذ منهم بالقيمة، رفض منهم أن تكون الجزية ميتة أو خنزير أو خمر^(٢). ولتنفيذ ذلك طلب من أهل الذمة أن يتولى بيعها جابي الضرائب وأن يقوم بأخذ أثمانها إن كان ذلك أرفق بهم^(٣).

والجزية عن غير المسلمين كفريضة الزكاة على المسلم من باب المساواة في الحقوق والانتفاع بمرافق الدولة وأمنها وحمايتها وهي تفرض على البالغين الذين يستطيعون الجهاد لو كانوا مسلمين ولم تكن متساوية، فالغني من أهل الذمة يدفع ٤٨ درهماً، ومتوسط الحال ٢٤ درهماً، والعادي الذي يكسب رزقه ١٢ درهماً، وروعي في جبايتها العدالة^(٤).

لكن الخليفة عمر واجه مشكلة فيما يتعلق بالعرب الذين رفضوا دفع الجزية، وعلى رأسهم جبلة ابن الأيهم الذي ولى هارباً^(٥)، عند ذلك أشار عليه عبادة بن الصامت أن يأخذ منهم الصدقة، فاضطر إلى أن يضاعف الصدقة على تغلب وشرط عليهم أن لا ينصروا أولادهم^(٦).

فأخذت الصدقة مضاعفه على صدقة المسلمين، من كل شيء على المسلمين فيه الزكاة من الإبل والبقر والغنم والزرع والثمار ولا يؤخذ من أقل مما تجب فيه الزكاة على المسلم^(٧)، وكانت

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٤٨.

(٢) الصولي: ادب الكتاب، ص ٢١٥.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٦٩.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ٨٨-٨٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٢.

(٦) أبو عبيدة: الاموال، ص ٢٨. ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٤١.

(٧) ابن قيم الجوزي: أحكام أهل الذمة، ج ١، ص ٧٥-٨٦.

المرأة والرجل في الصلح سواء لأنه ليس على رؤوسهم وإنما على أرضهم، وكذلك من كان عليه دين ومن لم يكن عليه دين فهو سواء يؤخذ منهم جميعاً^(١). غير أنه قبل بداية التنظيم الضريبي سنة ٢٠هـ / ٦٤١م، عقدت عقود صلح مع المدن أخذت منهم فيها الجزية، بينما هذا الأمر لم يطبق في الريف حيث وضعت عليهم الجزية إلى جانب الأرزاق من الأرض ابتداء ثم مسحت الأرض بعد استقرار الأوضاع ووضع الخراج عليها^(٢).

فقد أمر الخليفة عمر بأن يفرض على الجزيرة التي حررت بعد تحرير الشام ضريبة الجزية التي كانت بمثابة الضريبة على الأرض الخراجية^(٣)، فقد حررت مدن الجزيرة صلحاً والريف عنوة على يد عياض بن غنم^(٤)، وقد فرض عياض على الجزيرة على كل جمجمة ديناراً ومدين قمحاً وقسطين زيتاً وقسطين خلأ وجعلهم فئة واحدة^(٥)، كما صالح أهل الرقة بأن ترك الأرض بيدهم مقابل الخراج، وفرض على الرأس ديناراً في كل سنة باستثناء النساء والصبيان، كما فرض على الرجال أقفزة من القمح ومقدار من الزيت والخل والعسل^(٦).

أما أهل الذمة فقد فرضت عليهم مقابل المنعة، وتعهد المسلمين بالمحافظة على أرواح السكان وأموالهم وأعفاهم من الخدمة العسكرية، ولم تكن عقوبة أو جزاء، والدليل على ذلك أنها فرضت على الذكور ولم تفرض على النساء والأطفال والشيوخ، كما إن خالد قد أعفى منها كل شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً وافقر، كما أنه جعل بيت المال مسؤولاً عن إعالتهم وإعالة عوائلهم ما أقاموا بدار الهجرة ودار الاسلام^(٧). وكما كان أهل الذمة

(١) يحيى بن ادم: الخراج، ص ٦٦.

(٢) ابن سلام: الاموال، ص ٤٠٠.

(٣) الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص ٢٨ - ٢٩.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٥. الدوري: التنظيمات المالية، ج ٢، ص ١٨٠.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ٤١.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٣. قدامة: الخراج، ص ٣١٣.

(٧) حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، والخلافة الراشدة، ١٩٦٩م، ط ٣، ص ٣١٦، ٣١٧.

يعفون من الجزية في بعض الأحيان، فإن أبو عبيدة قد صالح أهل السامرة في الاردن وفلسطين، على أن يكونوا عيوناً له، ففرض عليهم الخراج فقط وأسقط عنهم الجزية^(١).

كما إن العرب قد اعتمدوا على مسؤولين في الإدارة المحلية للمدن في المعاهدات وعقود الصلح التي عقدها معهم وأن يتخذوا وكلاء عنهم في جباية الضرائب. وقد دلت رواية سريانية مجهولة المؤلف أن الخليفة قد أمر قواده عند إجراء الصلح أن ينصوا على أن أهل المدن المفتوحة يبقون إن شاءوا يواصلون حياتهم حسب قوانينهم وتقاليدهم قبل الفتح، ولكن عليهم أن يؤدوا الضريبة حسبما فرضت عليهم^(٢).

لذلك قام موظفو الإدارة المحلية بجمع مبلغ من المال على أساس عدد السكان من الذكور ومساحة الأراضي، فكان أول تغيير أحدثه الخليفة عمر هو فرض ضريبة الرأس على الجميع^(٣)، إلا العبد المسيحي فلم يكن عليه جزية سواء كان سيده مسلماً أو مسيحياً أو من أهل الذمة^(٤)، كما أجرى الخليفة عمر إحصاء من أجل ضريبة الرأس التي فرضت على النصارى سنة ٢٠هـ/ ٦٤١م، وعمد الخليفة عمر إلى إجراء إحصاء للرجال والأراضي والحيوانات وأشجار النخيل.

وعلى غرار ما حدث في العراق رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن تقسم الأرض بين الفاتحين، وأمر أبو عبيدة بن الجراح أن يتركها بيد أصحابها وأن يوظف عليها الخراج^(٥)، وذلك بعد أن استشار الصحابة^(٦). فأيد معاذ بن جبل رأي علي بن أبي طالب بعدم القسمة وأيدهم الخليفة عمر في ذلك^(٧) بعد أن لقي معارضة من بعض الصحابة، ولاسيما ممن شارك منهم في فتح

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٣.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠٠.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣١.

(٤) ابن قيم الجوزي: أحكام أهل الذمة، ج ١، ص ٥٥.

(٥) أبو يوسف: الخراج، ص ١٤٠. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٨٤، ٨٨.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٢.

(٧) نصر الله (محمد علي): تطور نظام ملكية الأرض في السواد، رسالة ماجستير، بغداد ١٩٧٤م، ص ٥٦.

بلاد الشام ورغبوا في القسمة، وعلى رأسهم بلال الحبشي^(١)، وبعد انقسام المهاجرين في الرأي اتجه الخليفة عمر إلى الاستعانة بالأنصار، وعرض عليهم رأيه فوافقوا، عند ذلك أقر هذا الإجراء الإداري الذي ضمن مصدراً مالياً ثابتاً لهم يأخذون منه عطائهم^(٢). وكان هدف الخليفة من هذا، هو تنفيذ خطة الخلافة بتوجيه القبائل نحو التحرير وبالتالي انسجم قراره مع إدارته ورغبته في جعل العرب أمة مقاتلة ومجاهدة لنشر الاسلام وفتح المزيد من المناطق وليس العمل بالرعي، والزراعة والخنوع للاستقرار.

كما أنه في حال شرع قرارا بالقسمة فإنه لم يستطيع تنفيذه لأن مثل هذا التغيير في إدارة الممتلكات كان صعباً، كما أن قسمة هذا الكم الكبير من الارض بين العرب سيكون صعباً جداً وربما لن يكون عادلاً وهذا ما سيؤدي إلى نتائج خطيرة على وحدة المسلمين^(٣)، أما موعد جباية الخراج فقد أورد الطبري في صلح ايلياء أنه كان يجبي منهم بعد موعد الحصاد^(٤)، أما فيما يتعلق بالضرائب المترتبة على التجارة، فقد شرع الخليفة عمر أن ما قام من أهل الذمة بالتجارة داخل الجند الذي يسكن فيه لا تؤخذ منه إلا الجزية، أما إذا تاجر في بقية الأجناد أو خارج أجناد الشام فيؤخذ منه العشر^(٥)، ويتبين من شروط الصلح التي عقدت مع أهل الذمة في الشام والجزيرة انه فرضت عليهم ضرائب العشر على التجارة^(٦).

وبعد أن حل الخليفة عمر مشكلة الأرض المفتوحة والتي كادت تهدد عرش التراتيب الإدارية التي وصل إليها الخليفة عمر بعد عناء الفتح، كان عليه إدارة الأراضي التي أصبحت صوافي نتيجة

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٦.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٥.

(٣) عبد المنعم ماجد: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٨.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٠٩.

(٥) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٥٠٨.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مج ١، ص ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٦.

تحرير الشام، والتي كانت مملوكة للأسر المالكة والنبلاء^(١)، وقد أورد ابن عساكر أن الروم عندما هزمت هرب البطارقة وتركوا ما كان في أيديهم من تلك المزارع، فلهقوا بأرض الروم ومن قتل منهم في المعارك، فصارت تلك المزارع خالية من أصحابها، وبالتالي عادت بملكية صافية للمسلمين^(٢).

ويبدو أن الصوافي في بلاد الشام كانت كثيرة نتيجة هروب عدد كبير من البيزنطيين، مما دفع العرب إلى استغلال بعضها والبقاء فيه للضرورة الأمنية والحربية، كما وافق الخليفة عمر بن الخطاب على إقطاع البعض من أراضي الصوافي. وكان هناك مروج مباحة فيما بين أهل دمشق وقراها ليست لأحد منهم فأقاموا بها حتى أوطأ الله المشركين ذلاً وقهراً فأحيا كل قوم محلثهم ورفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب فأمضاه لهم فبنوا الدور ونصبوا الشجر...^(٣).

والمفيد ذكره أن الخليفة عمر شرع إقطاع الأراضي الصوافي^(٤) في بلاد الشام للمقاتلين لأنه لم يتم بتصوير المدن الشامية كما فعل في بقية المناطق المفتوحة، وبالتالي استغل المقاتلون بعض الأماكن التي تركها أصحابها وأقاموا فيها واستثمروها، وخاصة أن الكثير من جنود القبائل وزعوا في أجناد الشام بعد الفتح لضرورات عسكرية^(٥). وعندما توجه أبو عبيدة نحو بالس وقاصرين وكانتا لشريفين من الروم كانت الدولة البيزنطية قد أقطعتهما القرى القريبة منهما مقابل حماية ما بين الثغرين من مدن للروم في الشام، ولكن عندما تم فتحهما من قبل أبي عبيدة خلت من السكان لأن أكثر ساكنيها جلو نحو الروم والجزيرة، فعمد أبو عبيدة إلى إسكان المقاتلين من

(١) جاسم(باسل طه): التنظيمات الادارية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رسالة ماجستير غير منشورة، اشراف: هاشم يحيى الملاح، جامعة الموصل ١٩٧١م، ص ١١٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٨٤-١٨٥.

(٤) كَلَّ أَرْضٍ كَانَتْ لِكِسْرَى أَوْ لِلَّ كِسْرَى، أَوْ رَجُلٍ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ، أَوْ رَجُلٍ لَحِقَ بِأَهْلِ الْحَرْبِ، أَوْ مَغِيضٍ مَاءٍ، أَوْ دَيْرٍ بَرِيدٍ.

انظر: يحيى بن آدم: الخراج ص ٦٠.

(٥) جاسم: التنظيمات الادارية، ص ٣١.

العرب الذين كانوا بالشام، فأسلموا بعد قدوم المسلمين^(١)، كما أقطعوا المقاتلين في منطقة السواحل بعض القطائع من أجل تشجيعهم على البقاء فيها، ولكن هذا الأمر حدث في أواخر خلافة عمر بن الخطاب^(٢).

إن الطريقة التي اعتمدها الخليفة عمر بن الخطاب في إدارة أراضي الصوافي في الشام لم تكن واضحة المعالم فقد استغلت وأديرت عن طريق المزارعة أو المشاركة وكان الولاة هم من يقومون بإدارتها، وهذا ما أوضحه ابن عساكر، بالقول: "فصارت تلك المزارع والقرى موقوفة يقبلها والي المسلمين كما يقبل الرجل مزرعته... فلم تزل تلك المزارع موقوفة تدخل مواردها بيت المال"^(٣).

كما طبق في عهد عمر نظام المقاسمة وهذا ما ذكره الإصطخري: "كانت هناك مقاسمات على قرى صارت لبيت المال يزارع الناس عليها"^(٤)، فيقاسمون على العشر والثلث والرابع وغير ذلك" وقد وجد هذا في العراق كما وجد في بلاد الشام^(٥).

وقد عوملت أراضي الصوافي كأراضي الخراج من حيث منع البيع والشراء، فقد منع عمر شراء أرض الصوافي لأنه عدها ملكاً عاماً للمقاتلة وأولادهم، حيث أن جرير بن عبد الله البجلي اشترى أرضاً على الفرات فأتى عمر فأخبره فرد ذلك الشراء وكرهه ونهى عن شراء شيء لم يقتسمه أهله^(٦).

وبعد أن أوجد الخليفة عمر مورداً ثابتاً لبيت المال من الجزية والخراج، أوجد ما يسمى بديوان العطاء، حيث كانت مهمته تقديم قيمة محددة من العطاء لكل مقاتل حسب ما يتمتع فيه من

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٥.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٣، ١٣٤، ١٣٥.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٨٣. فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٧٨.

(٤) الإصطخري: مسالك، ص ٩٥. الدوري: النظم الإسلامية، ج ١، ص ١٢١.

(٥) الإصطخري: مسالك، ص ٩٥.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٣٣.

صفات حددها الخليفة، وتم فرضه سنوياً في الشام^(١)، بعد عقده لمؤتمر الجابية أثناء زيارته للشام عام ١٧ هـ / ٦٣٨ م^(٢).

بعد أن منح الخليفة أهل الايام العطاء اعقبهم أهل القادسية ومن شارك منهم في معركة اليرموك، وقد اختلف في تقدير عطائهم، حيث تذهب بعض المصادر إلى أنه: "فرض لأهل القادسية وأهل الشام في ألفين ألفين"^(٣).

ثم جاء بعدهم الروادف وهم من القبائل العربية الذين اتجهوا إلى بلاد الشام بعد معركة اليرموك، وكانت كل مجموعة تتعت بالأولى والثانية والثالثة وهكذا، بحسب موعد وصولها، حيث تراوح عطاؤهم ما بين المائتين إلى الألف: "ثم فرض للروادف المئتي خمسمائة وخمسمائة والروادف الثلاث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة، وسوى كل طبقة في العطاء قوبهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم من أهل الهجر والعباد على مائتين"^(٤)، ويذكر البلاذري أن عمر فرض لأهل اليمن وقيس بالشام لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة ولم ينقص أحد عن ثلاثمائة، بينما يشير النص الذي أورده الطبري أن الحد الأدنى كان مائتين^(٥).

وبالتالي فإن فرض العطاء في الشام كان قد ارتكز على عاملين اثنين الإسلام والنسب، فكان لهما دوراً في تحديد مكانتهما الاجتماعية، وإيجاد طبقة من الصحابة انشطرت بدورها شطراً اتجه إلى المعرفة وآخر نحو السياسة والحكم، وروعي في العطاء السبق في الإسلام ونصرة الرسول أو القربة منه، وتقديراً للحروب التي خاضوها والبلاء في الجهاد^١، فقد كان عطاء المقاتلة الذين

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٥. بطاينة: النظام المالي، ص ٣٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٥. جودة: العرب والأرض، ص ٩٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٦٨، ٦١٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٤. المقدسي (المطهر بن طاهر المقدسي

ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ج ٥، ص ١٦٨.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٨.

(٦) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٩٩-٢٠٠.

اشتركوا في معركة اليرموك ألفين^(١)، وفرض لأهل البلاء البارح منهم في الفين وخمسمائة ثم تدرج العطاء ما بين ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة^(٢).

وكان الحد الاعلى للعطاء ويدعى شرف العطاء محددا بألفين وخمسمائة في عهد الخليفة عمر^(٣)، كما كان يمنح لمن يقوم ببعض الأعمال الإدارية والقيادية^(٤).

وبالتالي أصبح العطاء هو المردود الأساسي للمسلم، ولاسيما أن عمر اعتمد على قواعد في فرضه ومنها الرجل ويلأؤه في الإسلام والرجل وقدمه في الإسلام والرجل وغناؤه في الإسلام والرجل وحاجته^(٥). وكان صحابة الرسول قد شغلوا دوراً في الشام وقد بلغ عددهم في كتاب الطبقات حوالي ١١٣ صحابياً^(٦). وقد وجد في حمص نحواً من ثلاثين كهلاً من أصحاب الرسول في المسجد، وهؤلاء قد أدوا دوراً في إرساء قواعد الدين وتقويه المسلمين وتعليمهم دينهم وسنتهم، ولاسيما أنه تم توزيعهم بين الأجناد، فقد تفقه معهم التابعين في الشام على يد عبادة بن الصامت وأبي الدرداء ومعاذ بن جبل^(٧)، فعندما كتب يزيد بن أبي سفيان إلى الخليفة عمر يعلمه أن أهل الشام كثروا وأنهم بحاجة إلى من يعلمهم القرآن أرسل عمر معاذ، وعبادة، وأبا الدرداء وأمرهم بأن يتجهوا أولاً إلى حمص ثم يخرج واحد منهم إلى دمشق وآخر إلى فلسطين فأقام عبادة

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦١٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٨.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص ٢٥٥، ج ٦، ص ١٥١.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٤٢. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٧٧، ١٧٨.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ٢١٥.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ج ٧، ص ١١١ - ١٥١.

(٧) ابن بدران (عبد القادر الدمشقي ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) : تهذيب تاريخ دمشق، المكتبة العربية، دمشق ١٩٣٦م، ط ١، ج ٧، ص ٢١٣، ج ٦، ص ٣٩٠.

في حمص، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين^(١). ومن ثم اتجه عمر إلى إتباع سياسة خاصة لنشر الدين وهو بناء مسجد في كل مكان فيه كنيسة^(٢).

ولعل قرار توزيع الأرزاق اتخذته الخليفة عمر في مؤتمر الجابية، وقبل انشاء الديوان وفرض العطاء على التفضيل^(٣). فكانت الأرزاق توزع على المسلمين من المواد العينية التي تأتي من البلاد المحررة وبالأخص من الشام التي فرضت على أهل الذمة لأنه وإن كان من الواجب عليهم دفعها على شكل نقود إلا أنه في أحيان كثيرة كان يسمح لهم بدفعها عينا ولاسيما سكان الريف^(٤)، وكانت المواد العينية تتكون من الخل والزيت والعسل والحنطة والشعير والخردل والكمون والسمن والتمر والزيت^(٥).

وكان على أهل العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالأسلحة ويذهبوا للقتال عندما يضرب عليهم البعث ويدعون إلى الخدمة^(٦)، فقد قال الخليفة عمر بن الخطاب: "لقد هممت أن أجعل العطاء ٤٠٠٠ الاف ، ألفاً يجعلها في أهله، وألفاً يزودها معه وألفاً يتجهز بها وألفاً يتفرق بها"^(٧).

وبسبب مشاركة عدد من القبائل العربية في الشام مثل لخم، وخثعم، وقضاعة، وعاملة، وغسان^(٨)، وتعاونهم مع الجيوش العربية الإسلامية في قتال الروم^(٩)، طالبوا بالعطاء حيث ذكر

(١) ابن بدران: تهذيب تاريخ دمشق، ج٧، ص٢١٣.

(٢) الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٢١.

(٣) الازدي: فتوح الشام، ص٢٥٦.

(٤) فالج حسين: الحياة الزراعية في بلاد الشام، ص١٢٢-١٢٣.

(٥) ابن سلام: الاموال، ص٢٤٧، القلقشندي(أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت ٨٢١هـ/

١٤١٨م): مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة

الكويت، الكويت ١٩٨٥م، ط٢، ج١، ص٩١.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٣٠، ٢٣١.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٦١٥.

(٨) لامانس: دائرة المعارف، ج١٣، ص٧٩. مادة شام

البسوي أن الخليفة عمر في بداية الأمر وخلال مجيئه للشام أراد حجب العطاء عنهم أي عن لخم وجذام لعدم انطباق صفة الهجرة عليهم قائلاً: "أنا أجعل أقواما انفقوا في الظهر وشدوا العرض وساحوا في البلاد مثل قوم مقيمين في بلادهم"^(٢). ولكن يبدو أن أحد زعمائهم وهو أبو حديدة الأجمي استطاع إقناع الخليفة بحقهم بالعطاء قائلاً: "يا أمير المؤمنين إن كان الله تبارك وتعالى ساق الهجرة إلينا في ديارنا فنصرناها وصدقناها أذاك الذي يذهب حقنا فقال عمر: والله لأقسمن لكم"^(٣). فعندما دعا أبو عبيدة بعض القبائل اليمانية إلى الإسلام أسلم البعض منها وبقي قسم آخر على النصرانية^(٤).

ومن خلال كل ما سلف يظهر أن التنظيمات الإدارية التي وضعت في بلاد الشام، كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، إذ أن الفتح الفعلي لبلاد الشام كان بعد وفاة الخليفة أبو بكر الصديق، فأبقى بلاد الشام كما كانت قبل الفتح مقسمة إلى أجناد، وجعل لهذه الأجناد سواحل وثغور شامية وجزرية، كما أنه نظم كيفية التعامل مع المناطق المفتوحة، وكذلك مع سكان المناطق المفتوحة سواء من المعاهدين أو مع أهل الذمة، من خلال فرض الجزية على الرأس أو الخراج على الأرض، كما أنه نظم أماكن استقرار القبائل العربية، وفرض لهم عطاء دائماً بعد أن منعهم من العمل سواء بالزراعة أو بالتجارة، فكان عمر بن الخطاب رجل إدارة فذ بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

(١) (لويس (برنارد): العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه أمين فارس، محمد يوسف زيدان، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٥م، ط ١، ص ٧٠-٧٢.

(٢) (البسوي: المعرفة والتاريخ، ص ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) (ابن سلام: الاموال، ص ٢٦٣.

(٤) (البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٤٦.

الفصل الرابع

الحياة الإدارية والتشريعية في مصر :

- فتح مصر (إدارة الفتح وما رافقه من تشريعات):
- إدارة الحياة الاجتماعية والسكانية في مصر وتشريعاتها:
- إدارة الاقتصاد في مصر وتشريعاته:
- إدارة الجيش وتنظيمه بعد الفتح:

الحياة الإدارية والتشريعية في مصر :

شكلت السيطرة البيزنطية على مصر خطراً كبيراً على استقرار العرب في الشام، ولا سيما أن كلا المصريين مرتبطين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً منذ الأزل، فمن سيطر على مصر، سيتوجه إلى السيطرة على الآخر، وهذا ما أدركه المسلمون، فتحرير مصر ضرورة اقتضتها ليس فقط حركة التحرر العربي، وإنما كانت ضرورة من أجل الحفاظ على أمن واستقرار جميع المناطق المفتوحة في الجناح الشرقي للدولة العربية الإسلامية الناشئة.

وقد كانت مصر إحدى الولايات الرومانية، وكانت تدين بالوثنية وعندما ظهر نقت روما على مسيحي مصر إلى أن اعتنقت روما المسيحية، ولكن الديانة ما لبثت أن انقسمت إلى مذاهب (الطبيعة والطبيعتين)، وأدى ذلك إلى الاضطهاد والعنف، وفرض مذهب الدولة (مذهب الطبيعتين)، ولما كانت مصر مصدراً للغلات، فقد زادت الضرائب على الشعب، وألزم المصريون بإحكام الجند، فمهد ذلك كله للترحيب بإخوانهم العرب المحررين.

ولقد كانت الصلات بين مصر ككنيسة وبين العرب المسلمين قديمة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان قد راسل المقوقس (مقوقس مصر) رأس الكنيسة في الإسكندرية، ودعاه إلى الإسلام فأجابه بإرسال هدية له، وفي عهد أبي بكر قام هذا الخليفة بإرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر، فالتقى مع المقوقس وعمل معه عهداً، وبقي هذا العهد سارياً حتى قام عمرو بن العاص زمن الخليفة عمر بفتح مصر وهذا ما سيتم تفصيله فيما بعد.

ولعل حركة الفتح الإسلامي امتدت غرباً كما امتدت شرقاً وشمالاً وفق الامتداد الطبيعي للأرض وللقوى المناوئة للإسلام ومن هذا المنطلق كان فتح مصر، فمصر امتداد لبلاد الشام وقد أدركت القوى التي كانت متحكمة آنذاك في العالم هذه الحقيقة، فكانت تسعى دائماً لضمها تحت قيادة موحدة، وإذا كان المسلمون تحوهم دوافع ذاتية في الحركة ، وينطلقون وفق خطة استراتيجية خاصة بهم، فإن هناك العديد من العوامل التي دفعتهم إلى ناحية الغرب لاجتياز بلاد الشام والابتعاد عن حدود آسية لاقتحام إفريقيا وصولاً إلى أوروبا من الغرب، ومن هذه العوامل أن كلاً من بلاد الشام ومصر كانتا خاضعتين للدولة البيزنطية وقد انتزع منها الشام، ويأتي دور مصر

لأنه لا يؤمن من جانب الروم في انتهاز أي فرصة للانقضاض عن الدولة العربية الإسلامية خاصة إذا انتبهنا أن الدولة البيزنطية تمتلك اسطولاً وتهدد الشام عبر السواحل المطلّة على البحر المتوسط، وبذا تكون مصر قاعدة انطلاق لبيزنطة، ومن العوامل أيضاً أن القبط أنفسهم كانوا يعانون من اضطهاد الروم، وأن هؤلاء لا يعيشون في مصر إلا الحاميات عسكرية فلما لا تنتهز هذه الفرصة خاصة أن عدل وإنصاف المسلمين لابد وأن يكون سبقهم إلى مصر، أما الحامية نفسها فإن الرعب لابد وأن يكون قد تملكها حينما رأت ملكها هرقل يترك بلاد الشام لتصير جزءاً من الدولة العربية الإسلامية، كل هذا كان يدركه عمرو بن العاص^(١).

فتح مصر (إدارة الفتح وما رافقه من تشريعات):

لم يتمكن المسلمون من فتح مصر في عهد الخليفة أبي بكر، وذلك بسبب وفاته وانتقال الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث تابع القواد الفتوحات وعلى رأسهم فاتح مصر - عمرو بن العاص - وهو القائد الوحيد الذي له الفضل الكبير بفتحها، وساعده العديد من العمال، فبعد أن تمكن من فتح فلسطين وتسلم الخليفة مفاتيح القدس وعقد مؤتمر الجابية، عرض عليه عمرو بن العاص ضرورة فتح مصر لأن القوات البيزنطية التي نجت من حروب الشام التجأت إلى مصر، وكذلك بعض قبائل غسان وسواها وخوفاً من أن يقع العرب المسلمون بين فكي كمانشة في آسيا الصغرى ومصر إضافة إلى وقوع السواحل تحت رحمة أسطول بيزنطة، قرر التوجه إلى فتح مصر، إذ أن تركها في رأيه دون فتح يشكل خطراً كبيراً على ما قاموا به من تنظيمات إدارية وتشريعية في البلاد المفتوحة، ولفتحها كان لابد من أخذ أذن الخليفة للقيام بالعمل^(٢).

ولم يشرع الخليفة في كتابه الذي وجهه إلى عمرو بن العاص بالفتح بشكل مباشر، وإنما كان يتوخى الحذر في كل خطوه يخطوها، وهناك روايات عديدة حول فتح مصر والحق إن الإنسان

(١) الأزدي: فتوح الشام، ص ١٧١.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٧. فيصل (شكري): حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، دار الكتاب العربي، ١٩٥٢م، ص ١١٥.

لا يملك إلا أن يبدي تقديره العظيم لفهم عمرو بن العاص لأهمية فتح مصر على الأقل من الناحية العسكرية^(١).

وصل عمرو بن العاص إلى مدينة الفرما قادماً من العريش، ولفتحها كان لابد من حصارها، إلا أن العرب لم يكونا يملكون شيئاً من عدة الحصار، وبالتالي وجب عليهم إما مهاجمتها وفتح الأبواب، أو الصبر عليها حتى يضطر الجوع أهلها أن ينزلوا إليهم، واستمرت المناوشات بين الطرفين أكثر من شهرين، إلى أن تمكن العرب من تملك أحد الأبواب عندما نزلت مسلحتها لقتالهم، فلادوا فارين عندها تبعهم العرب وتمكنوا من دخول المدينة^(٢).

غدت مدينة الفرما بعد فتحها مقراً للعرب ومعقلاً يؤمن لهم الطريق المؤدي لبلادهم، كما انها تضمن لهم الرجوع إذا ما حلت بهم الهزيمة، ولما أدرك عمرو بن العاص مدى الخطر المحدق بهم بعد فتحهم للفرما، وخاصة إذا ما اتاح لهم فتح حصن بابلين أو الإسكندرية، وأنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً إذا لم يوافه عمر بن الخطاب بالمدد، وان هذه المدد لن تصله إلا عن طريق الفرما.

لم يكن مع عمرو عدد كافٍ من الجند يسمح له بوضع حامية في المدينة لذلك قام بهدم أسوارها، حتى لا يستفيد منها العدو لو عادوا إليها لامتلاكها مرة أخرى، ومن ثم تابع عمرو طريقه وأثناء ذلك انضم إليه عدد لا بأس به من البدو ليس حباً بالقتال بل طمعاً بالغنائم، وبالتالي عوض عمرو النقص الذي حصل في جيشه^(٣).

ثم واصل عمرو بن العاص سيره، وعلى الرغم من المصاعب التي تعرض لها وصل إلى أم دنين، حيث نشب قتال شديد بين المسلمين والبيزنطيين الذين تحصنوا في حصن بابلين، وبسبب

(١) النويري: نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٢٨٥ - ٢٨٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٧، ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) بتلر: فتح العرب لمصر، ٢٤١ - ٢٤٣.

(٣) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٧٢.

شدة المقاومة أرسل عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستنجد به فأمدّه الخليفة بأربعة آلاف رجل^(١).

اعتمد العرب أسلوب الحصار، الذي استمر لأشهر حدثت فيه مفاوضات ما بين العرب والروم من خلال إرسال السفراء من كلا الطرفين، وأصر العرب على ألا يقبل من الروم أما الإسلام أو دفع الجزية، أو القتال، لكن الروم رفضوا تلك الشروط، فاستمرت الحرب بين الطرفين، حتى استسلم الروم في النهاية، وقبلوا دفع الجزية^(٢)، ولكن هناك من يقول إن العرب فتحوا الحصن عنوة، وأن الفضل في فتحه يعود إلى الزبير بن العوام، ثم عقد الصلح بين العرب والمصريين بمعاهدة أجازها الخليفة عمر بن الخطاب^(٣).

وبالتالي اعتمد الخليفة عمر بن الخطاب في إدارة فتح مصر على الطريقة نفسها التي كان يدير بها فتوح بقية المناطق، فاعتمد على البريد، وعلى إمداد الجيش العربي الإسلامي بالجنود وقت الحاجة، فعندما تأخروا في فتح حصن بابلين، أرسل إلى عمرو بن العاص المدد، وذلك بعدما أصيب بنوع من القلق بسبب تأخر خبر الفتح عليه^(٤).

وقد كان هذا الصلح يخص المصريين فقط دون الروم، إذ أن المقوقس رأس الكنيسة في الإسكندرية اشترط أن لا يبيت بأمر الروم إلا بعد الحصول على موافقة هرقل بذلك، فإن قبل الإمبراطور هذا الصلح سرى عليهم، وإلا سيعود الحال بين الروم والعرب إلى ما كانت عليه^(٥).

لكن الإمبراطور رفض بشكل قطعي الصلح وألقى باللوم على المقوقس واتهمه بالتخاذل، ووجهه إلى محاربة العرب، وأن لا يرضى بالذل كما فعل المصريون من القبط^(٦).

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٠ - ٨١. المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٧٤.

(٣) البلاذري: فتوح، ص ٢١٣ - ٢١٥.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٣٨. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٨٩.

(٥) كاشف (سيدة اسماعيل): مصر في فجر الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٤٧م، ص ١٢.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، ص ٦٤ - ٦٥.

وكان صلح بابليون عهداً حربياً لا عقداً سياسياً، حيث رضي فيه عمرو بأن يشتري الحصن ويدفع ثمناً له تأميناً من كانوا فيه، وخروجهم منه بغير أن يدفعوا الجزية، وإنما دفع الجزية من بقي من أهل المدينة، وهذه الجزية كانت قليلة ومؤقتة، حيث كانت ديناراً لكل من جنود العرب ولباساً^(١).

وتجمعت حاميات الروم بالإسكندرية لمحاربة المسلمين، أما عمرو بن العاص فإنه أخذ في هدم المقامات التي صادفها في طريقه، وعندما علم الروم بذلك استعدوا واستجاشوا، إلى أن وصل جيش المسلمين إليها، والقى عليها الحصار^(٢). لأن الإسكندرية حاضرة مصر الثانية وثغرها، وثانية حواضر بيزنطة في الشرق بعد أنطاكية، وقد رأى هرقل أن سقوط الإسكندرية معناها سقوط هيبة بيزنطة نهائياً من الشرق وسقوط مصالحها التجارية وتعرضها إلى أشد الأزمات الاقتصادية إلى جانب الأزمات السياسية لذلك أمر قائد المدينة البيزنطي أن يستعد استعداداً كبيراً لمجابهة العرب الفاتحين، وبأن يحصن المدينة تحصيناً قوياً وأن يقطع الطريق على العرب، ولكن هذا كله لم يمنع عمرو من المسير لإتمام ما ندب نفسه له، وبذل المسلمون قصارى جهدهم وأبلوا بلاءً حسناً مكنهم من فتح الإسكندرية عنوة وأجبروا البيزنطيين وقواتهم ورجال الإدارة منهم على الهرب^(٣).

كانت مقاومة البيزنطيين في الإسكندرية قوية جداً لدرجة أن عمر بن الخطاب قد استتبأ الفتح^(٤)، ولكن نتيجة لظروف الدولة البيزنطية، إذ نصبت مارتينه أم ولده هرقل شريكه له في الحكم، فعملت على إنهاء الحرب ولاسيما أن المصريين والقيادة البيزنطية في مصر متوافقة معها في الرأي، لذا اجتمعوا مع قيرس على إنهاء الحرب بعقد صلح مع المسلمين^(٥).

(١) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٣٠٣.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٠٦-١١٤.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٠٦. كاشف: مصر في فجر الاسلام، ص ١٣.

(٥) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٣٣٤-٣٣٥.

توجه قيرس إلى بابليون حيث كان قائد جيش المسلمين عمرو بن العاص، وهناك طلب الصلح فرحب به عمرو وعقد المقوقس مع عمرو بن العاص صلح الإسكندرية، لأنها كانت خاصة بأهل الإسكندرية وحاميتها، ومن أهم شروطها: - أن تعقد هدنة بين الطرفين مدتها أحد عشر شهراً تنتهي في أول شهر سبتمبر سنة ٢١هـ / ٦٤٢م، وفي اثائها يكف الروم والعرب عن القتال كما يتم جلاء حامية الروم عنها حاملين أمتعتهم وأموالهم واشترط ألا يعود جيش الروم إلى مصر أو يسعى لردها، وأن يكف المسلمون عن أخذ كنائس المسيحيين ولا يتدخلوا في أمورهم أي تدخل، وأن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية، وضماناً لنفاذ هذا العقد يأخذ المسلمون مائة وخمسين من جنودهم وخمسين من غير الجند ضماناً لإنفاذ العقد، وقد عقدت هذه المعاهدة سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م^(١).

ولكن أهل الإسكندرية والروم لم يفوا بشروط الهدنة وعادوا مناوشة العرب المسلمين أكثر من مرة وأرسلوا البعوث إلى أرض مصر، واضطر العرب لأن يثبتوا مركزهم بمعارك جديدة، وقد أبقي العرب المقوقس على رئاسة قومه، واستمر في هذا المنصب طيلة حياته، وكان العرب المسلمون يشاورونه في أمور الحكم، كلما بدت لهم مشكلة استعصى عليهم حلها، واتجه العرب بعد فتح الإسكندرية إلى برقة وكان الهدف من ذلك تأمين فتوحاتهم في مصر، فسار عمرو إلى برقة وفتحها وفرض عليها الجزية وكان ذلك سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م^(٢)، وبعدها أراد أن يتوجه إلى بلاد المغرب لكن الخليفة عمر رفض حيث تخوف من تفرق المسلمين عبر مساحات شاسعة، وخاصة أن أقدامهم لم تكن قد تثبتت بعد^(٣).

إن تيقظ الخليفة عمر ونبوغه في الإدارة وتوجيه الجيوش دفعته إلى إنفاذ حملته باتجاه النوبة، وكان الهدف من ذلك تأمين الحدود الجنوبية، وكانت هذه الحملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي

(١) بتلر: فتح العرب لمصر، ٣٤٣. كاشف: مصر في فجر الاسلام، ص ١٤.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ١٩٧.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٠٠.

السر، وذلك سنة ٢٠هـ/٦٤١م إلا أنه أخفق في المهمة الموكلة له، بسبب شدة مقاومة النوبيين، فأمره الخليفة عمر بالرجوع^(١).

وعندما تمت هزيمة الروم في الإسكندرية: أدار عمرو بن العاص دفة المفاوضات، وعقد صلحاً حفظ للمسلمين كافة حقوقهم، ووضع الأسس الإدارية التي سيتم التعامل فيها مع سكان المنطقة المفتوحة، ففرض الجزية على القبط، وقد بلغ عددهم حوالي ستة آلاف ألف، لكنه استثنى منهم النساء والشيوخ والأطفال، كما فرض عليهم النزول حيث نزلت جماعتهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام، مقابل أن تبقى لهم أموالهم وأراضيهم، وأن لا يتعرض لهم أحد في شيء، أما الروم المقيمين في مصر فقد طلبوا منه التوجه إلى الدولة البيزنطية، وبالفعل خرجوا إلى أرضهم دون أن يتعرض لهم أحد في سوء، ومن أجل تنفيذ المعاهدة حدد مدة الهدنة بأحد عشرة شهراً، ولتنفيذ انسحاب الروم بسلام، طلبوا منهم أن يرسلوا رهائن من قبلهم مئة وخمسين من جنودهم، وخمسين من المدنيين، كما وتخللت المعاهدة أمور المسيحيين القبط الدينية إضافة إلى المالية، فلا يقربوا كنائسهم ولا يتدخلوا في أمورهم أي تركوا لهم حرية ممارسة شرائعهم الدينية، وكذلك الأمر تضمنت المعاهدة اليهود حيث سمح لهم البقاء في الإسكندرية^(٢). أي نظم أسس التعامل الإداري للنواحي المالية لأهالي الإسكندرية، والنواحي الدينية.

أما عندما فتح النوبة : فقد منح حرية العقيدة للجميع كما فعل في الإسكندرية وكان ذلك بتوجيه من إدارة الخليفة عمر رضي الله عنه في المدينة، فأذاع الوالي أن حرية العقيدة أمر مقدس، فلن يتعرض أحد في حريته أو في ماله، بسبب دينه أو مذهبه، فمن شاء أن يبقى على دينه فله ما يشاء، ومن شاء أن ينتقل من دين إلى دين، ومن أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ونفذت هذه التشريعات بدقة وإخلاص، فقد وجد أسقفاً ملكانياً في مصر بقي على مذهبه حتى

(١) المقرئزي: الخطط. ج ١، ص ٣٦٩.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٩٣. طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ط ٢، ص ٣١٥ - ٣١٦.

مات ولم يمسه أحد بسوء^(١). وبقيت الكنائس في مصر قائمة تؤدي طقوسها ولم يجرؤ أحد على تدنيسها أو يحمل أحد من أهل هذا المذهب أو ذاك على أمر لا يرضاه^(٢).

وبالتالي شرع عمرو في مصر حكماً جديداً احترمت فيه الحريات وترك الناس أحرار في آرائهم، وعقائدهم ومذاهبهم الفكرية، وقارنوا بين ما جاءهم به حكم الإسلام، وما كانوا عليه من اضطهاد وتعذيب دام عشرة أعوام أيام الرومان، فأيقنوا أن دين الفاتحين هو دين الحرية.

لكن لم يبدأ الاستقرار في مصر من النواحي الإدارية والتشريعية، إلا بعد أن تم فتح الإسكندرية مرة أخرى عندما خرجت من سيطرة المسلمين بسبب تحريض الروم لهم حيث قاموا بعملية إنزال بحرية، عند ذلك بدأ الاستقرار الإداري وحدد الوالي عمرو أسس التعامل مع السكان وأعاد تنظيم شؤونهم، وعلى الرغم من ثورتهم، إلا أنه لم يأخذ منهم إلا المال المحدد ولم يقرب مال الكنائس ولكن لم يبخسهم حقهم ولم يسلبهم أو ينهبهم وإنما حافظ على كرامتهم وذلك بسبب وصية الرسول عليه السلام بهم خيراً ومن ثم وصية الخليفة عمر بن الخطاب الذي سار على خطى الرسول^(٣).

استطاع عمرو بن العاص أن يستفيد من خبرة القبط أهل مصر أثناء الفتح وبعده، فشرع للعرب الاعتماد عليهم وتقبل مساعدتهم، إذ أن أسقف القبط أدرك أن العرب المسلمون قادمون لفتح مصر لا محالة، لذلك وقفوا إلى جانب المسلمين، فأصلحوا الطرق والجسور والأسواق، فصار القبط عنصراً أساسياً في إدارة الفتوح وعوناً في قتال الروم^(٤)، وقدموا للمسلمين الأطعمة والمؤن والمساندة في كافة النواحي: " فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس إلى ما وراء ذلك، ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة"^(٥). وفي ذلك دليل على أن

(١) هيكل (محمد حسنين): الفاروق عمر بن الخطاب، د.ت، دار المعارف، ط ١٠، ص ١٥٤.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٤، ص ٤٠٨. شلبي (محمود): حياة عمرو بن العاص، دار الجيل، بيروت ١٩٩٧م، ط ١، ص ١٣٩.

(٣) النيوقي (يوحنا): تاريخ مصر، ترجمة عمر صابر أحمد عبد الجليل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٠.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ٤، ص ٤٠٧. ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٩٦.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، ص ٨٦. النويري: نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٣٠٣.

المسلمين لم يكونوا دعاة حرب وطلاب توسع وإنما كانوا أصحاب رسالة سامية حملوا أمانتها وأرادوا أن يشركوا غيرهم معهم في حمل رسالة التوحيد وتحرير البشرية.

وبعد الانتهاء من الفتح كان لابد لهم من مقر رئيسي ينزلون فيه يتخذونه مقراً إدارياً لهم ليس فقط لإدارة المناطق المفتوحة فحسب، وإنما أيضاً من أجل جعلها قاعدة عسكرية لإدارة الفتوحات إلى ما بعد مصر، ومن أجل ذلك أرسل عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة يستشيريه في اتخاذ الإسكندرية عاصمة إدارية وتشريعية لهم، ولاسيما أن العرب قد رغبوا في أول الأمر الاستقرار فيها، إلا أن الخليفة عمر وكعادته رفض رفضاً قاطعاً أن يفصل بينه وبين الجيوش العربية أي حواجز مائية، عندها استخلف حامية في الإسكندرية وشدت الرحال إلى حصن بابلون وجعلوه مركزاً لمعسكرهم ودعوا ذلك المكان من ذلك اليوم بالفسطاط، والتي تعني باللاتينية الحصن أو المعسكر المحاط بالماء (ماء النيل)^(١)، ومنهم من قال إن اسم الفسطاط اسم أعجمي وبالتالي اختلفوا فيه، فهم بشكل إجمالي يقولون إن معناها الخيمة التي تتخذ من الأدم والجلد، وكان عمر يتخذ لنفسه خيمة منها، ومنهم من يقول إن معناها الموضع حيث يجتمع الناس^(٢)، لكن جاء لدى بتلر أن الفسطاط لفظ روماني، حيث كانوا إذا ذكروا موضع عسكر العرب سموه الفسطاطون، فأخذ عنهم العرب اللفظ وعربوه^(٣).

بعد الاتفاق ما بين الخليفة والوالي في مصر على اتخاذ بابلون مقراً إدارياً وعسكرياً في مصر، إلا أن انحصار الجنود في الحصن، قد نغص عليهم حياتهم، لذلك وجد العرب أنه من الأفضل أن يبنوا خارج الحصن، ولاسيما أنه لا يوجد شيئاً يثير خوفهم، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وبالفعل ابتدأت المدينة صغيره ثم نمت بعد سنة من إنشائها منذ أن رفض الخليفة عمر طلب عمرو بن العاص أن يتخذ من الإسكندرية مركزاً ومقراً لهم^(٤). واختط عمرو بن العاص بعد ذلك

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١١٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦١-٢٦٣، ج ٥، ص ٤٥٣.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٦٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٣.

(٣) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٣٦١.

(٤) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٣٦٢.

المدينة في نحو عشرين حارة دعاها الخطط، وأقام أربعة من كبار رجاله للإشراف على إنشائها وانزال العرب المسلمين في الخطط المذكورة بحسب قبائلهم، ثم أنزل غير العرب أطراف المدينة، فأسكن الروم جنوبها، وسكن القبط قصر الشمع، وأقام في المدينة شارعاً يتوسطه ميدان بنى فيه مسجداً مازال يحمل اسمه إلى اليوم (جامع عمرو بن العاص)، لكنه كان بسيطاً وكان أمامه فضاء ولم يجعل له صحن، ومد الطريق حوله وجعلت له ستة أبواب، كما وضع فيه عمرو منبراً كان يقوم عليه خطبته^(١). أما المنازل فقد كان أكثرها من اللبن، وكان خارجة بن حذافة نائب عمرو بن العاص أول من اتخذ لداره مشربة أو طنفاً، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو أنه أن فعل ذلك إلا ليشرف على من حوله ويطلع على عورات الناس وسرهم، وأمره أن يهدمها، كما بنيت في الفسطاط الحمامات وكان يسمى أحدها (حمام الفار) وذلك لضيقه إذا ما قيس بالحمامات الرومانية الواسعة^(٢).

وكان لابد للمدينة من مقبرة حيث أن قبرس أرسل إلى عمرو أن يبيعه قطعه من الأرض عند سفح الجبل بسبعين ألف ديناراً، فلما سئل عن سر ذلك الثمن، قال إنه قد جاء في كتبهم أن ذلك موضع روضه من رياض الجنة، فلما علم عمر بن الخطاب، أبى ذلك البيع على المقوقس، وأمر بجعل تلك الأرض مقبرة للمسلمين^(٣).

وأرسل عمرو قبائل العرب من لحم وجذام وكندة والأزد، وحضرموت وخزاعة للإقامة فيها ولحراستها^(٤).

وكان اختيار الخليفة عمر لموقع الفسطاط ومن ثم التزام المسلمين بتوجيهاته موقفاً من وجوه كثيرة، إذ أنها في رأس الدلتا، وهذا ما جعلها من الناحيتين الإدارية والحربية في مأمن من

(١) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٣٦٤.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٣٠. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٨٥.

(٣) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٣٦٦.

(٤) النويري: الإلمام، ج ٢، ص ١٣٥.

هجمات العدو وتسهيل وصول العتاد والأقوات لقربها من الأراضي الزراعية، وكما أن وقوعها في الجانب الشرقي من النيل سهل اتصالها بمركز الخلافة في المدينة^(١).

لم يكن لعمر بن العاص مقرات معينة ولا دار إمارة مخصوصة، فنزل بداره بالقرب من الجامع، ثم توالى الأمراء بالنزول بالدور التي تكون سكنهم^(٢)، وأول ما اتخذ عمر بن العاص خيمة من الشعر، واتخاذ هذه الخيمة يعني الموضع الذي يجتمع فيه المقاتلون العرب ويمثل مقر القيادة، ولأسيما أن فتح الإسكندرية عنوة حتم على الخليفة والوالي أن يتخذوا مقر للمقاتلين العرب، فوقع اختيارهم على الفسطاط^(٣)، وقد أدى انتقال عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط إلى انتقال مركز الإدارة من الإسكندرية إليها، إذ غدت الفسطاط المركز الإداري والسياسي والتشريعي.

وبالتالي تم إنشاء الفسطاط لتكون قاعدة يقيم فيها على الدوام المقاتلة العرب وعيالهم، وأن تكون مركز الولاية والإدارة لمصر والبلاد التي يقوم بفتحها هؤلاء المقاتلة، وقد راعوا فيها توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أبرزها ألا يفصلهم عن جزيرة العرب والمدينة المنورة أي حاجز مائي، قد يعطل اتصالها بالمركز، وأن يكون مناخها ملائم للإبل، أي أن يكون مناخها شبه صحراوي وهو المناخ الذي كان يعيش فيها المقاتلة العرب قبل التحاقهم بجيوش الفتح، كما أن الخليفة عمر وضع المبادئ العامة التي تحقق حاجات الدولة وغاياتها، ومن أبرزها الاستقرار والحفاظ على متطلبات القتال مع مراعاة المثل الإسلامية في توفير السلم والانسجام بين السكان، غير أن تطبيق هذه المبادئ لم يتعارض مع تقرد أهل الفسطاط في تكوينهم القبلي، وما تقتضي متطلبات الحياة والواجبات القتالية المطلوبة منهم^(٤).

(١) (لويون (غوستاف): حضارة العرب، القاهرة ١٩٥٣م، ص ٢١٥.

(٢) (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٣١.

(٣) (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٣.

(٤) (العلي) صالح : أهل الفسطاط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص ٩.

لقد كانت الحملة التي انفذها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فلسطين إلى رفح، قوامها في البداية فقط ثلاثة آلاف وخمسمائة^(١)، ومن ثم قام بإرسال إمداد آخر انضم إلى الحملة الأولى، فبلغ عددها حوالي ثلاثة عشر ألفاً، وكان ثلثهم من غافق، وثلث من قضاة من قبيلة بلي، وقد استطاعوا أن يحقوا انتصارات كبيرة وغنموا غنائم وفيرة، أدت إلى دفع أعداد غير قليلة من العرب إلى الانتقال من شبه الجزيرة والانضمام إلى المقاتلة، وهؤلاء أطلق عليهم الأمداد^(٢).

وكانت الفسطاط كما سلف الذكر هي المركز الرئيس والثابت للمقاتلة العرب في مصر، ومنها تنفذ الحملات المؤقتة إلى المناطق التي تتطلب الأحوال إرسالها، وتلك البعوث تم تنظيمها من قبل الخليفة عمر، فقد كانت الإسكندرية خالية من الخطط بعد فتحها، فلما استقرت البلاد أقطع لهم عمرو بن العاص لرباط الإسكندرية ربع الناس، وربعاً في السواحل، والنصف يقيمون معه، وكان الربع في الإسكندرية يربط في الصيف لمدة ستة أشهر، ويعقبها بعد ذلك شاتية، ستة أشهر، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه من معه من أصحابه، واتخذوا فيها أخائذ، وكان يسكنون هناك حتى إذا غادروا سكنها الروم، عليهم مرمتها، كما أنه عمرو أقطع لبعض المقاتلة البارزين بعض القطائع في الإسكندرية^(٣).

وقد ولى عمرو أمر قطع القطائع إلى مجموعة من الشخصيات من أهل اليمن من عرف عنهم علمهم بالعشائر وإدراكهم الأسس المقبولة في تطبيقها، فكانوا هم من انزلوا الناس وفصلوا القبائل، وهؤلاء هم معاوية بن حديج التجيبي، وشريك بن سمي الغطفاني، وعمر بن محزم الخولاني، وحبويه بن ناشرة المعافري^(٤).

إدارة الحياة الاجتماعية والسكانية في مصر وتشريعاتها:

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٥٦.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٩، ٥٦، ٦١، ١١٦، ١٢١، ١٢٨.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٣ - ١٣١. العلي: أهل الفسطاط، ص ١١.

(٤) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٢٩٧.

عامل المسلمون الفاتحون بأمر من الخليفة عمر أهل مصر معاملة جيدة، فقد أدار واليه مدينة الإسكندرية ببراعة لا توصف، ففرب أساقفة القبط إليه، وعلى رأسهم الأب بنيامين، ممن كان قد اختفى هرباً من بطش الروم، فكتب إلى عمال مصر كتاباً يقول فيه: "الموضع الذي فيه بنيامين بطرك النصارى له العهد والأمان"، وهذا ما دفع الأب بالعودة مسرعاً إلى الإسكندرية، ومن ثم تبعه من هرب من النصارى أسوة بما قام به، والكتاب هذا لم يطبق على الأساقفة والآباء الكنسيين فحسب، وإنما يمكن التوصل إلى أن المسلمون عاملوا القبط بشكل عام بهذه المعاملة الحسنة^(١).

فلما أيقن رهبان القبط أن عمرو يحترم حرية العقائد ويضمن لهم حياة اجتماعية كريمة، خرج عدد كبير منهم من الأديرة التي كانوا قد اعتصموا بها هرباً من الاضطهاد، وساروا إليه يعلنون له الطاعة، وكتب للقبط جميعاً أماناً خص فيه بنيامين بقوله: "فليأت البطريرك الشيخ أماناً على نفسه وعلى القبط الذين بأرض مصر والذين في سواها لا ينالهم أذى"^(٢).

إذاً عندما علم بنيامين بما أذاعه الفاتح العربي، عاد إلى الإسكندرية، في مظاهر من ابتهاج القبط، لا يساورها خوف، ولا يشوب صفوها كدراً. ثم دعاه عمرو إليه، وقابله بالترحيب والتكريم، وجعل له ولاية الدين على القبط يسوسهم في أمورهم بما يشاء^(٣).

فعندما شرع عمرو للمصريين الحرية في العقيدة والحياة المدنية، أشاع جو من العدالة والمساواة في أنحائها، وجعل العقلاء من المصريين يقبلون على النظر في الأديان المختلفة، ثم انتهى إلى قبول الإسلام والدخول فيه. ولاسيما أن القبط أدركوا أن معاملة العرب لهم تختلف تمام الاختلاف

(١) ساويرس (ابن المقفع): سير بطارقة الإسكندرية تحقيق: Chr.F.Seyboly، نشر أوتو هاراسوفيتس، لبيسالا، ١٩٤٠م، ص ١٠٨، ص ١٠٩. المقريري (تقي الدين ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): تاريخ الأقباط-القول الإبريزي للعلامة المقريري-، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د.ت، ص ٩٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٠.

(٣) المقريري: الخطط، ج ٤، ص ٤٠٧ - ٤٠٨. بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ٤٥٦ - ٤٦٠.

عما كان الروم يتعاملون معهم، من قسوة وعنف، فعمر بن العاص كان يهدف ومنذ اللحظة الأولى إلى نشر الإسلام، فقد عرضه عليهم قائلاً: "فأن دخلتم الإسلام، كنتم إخواننا، وكان لكم ما لنا وعليكم ما علينا"^(١).

وعلى الرغم من هيمنة الخليفة عمر على واليه، إلا أنه شهد له بحسن الإدارة سواء في الفتح أو في تنظيم الحياة الاجتماعية والدينية لسكان مصر، فقد كان يقول عندما يرى رجلاً يتلجج في كلامه: "خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد"، وعمرو بن العاص المثل السائر في حسن السياسة بين رجال العرب^(٢)، ودهش قبط مصر بجميل عمله، فدخلوا في الإسلام، إذ أنه وقف إلى جانب رجل نصراني كان قد شكى له ضربه من قبل عرفة بن الحارث الكندي، فأنصفه وعاتب عرفة قائلاً له: "إنا قد أعطيناكم العهد"، كأنه يريد أن يؤخذ الصحابي بما فعل، فقال عرفة: "معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي، وإنما أعطيناكم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيما بدا لهم وأن لا نحملهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدو بسوء قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتون راضين بأحكامنا فنحكم بينهم وأن عيبوا عنا لم نتعرض لهم"^(٣)، وبالتالي اعتمد عمرو مع أهل الذمة مذهب الاعتدال والتسامح، لهم شروط وعليهم واجبات، فمن الشروط التي شرطت عليهم، أن يلبس الذمي لباساً يميزهم ويعقد الزناير على أوساطهم، وألا يبنوا أبنية عالية تعلو فوق مساكن المسلمين، وألا يزعجوا المسلمين عند ضرب نواقيسهم، ولا أثناء ترتيل صلاتهم، وأن لا يظهروا صليبهم ولا يشربوا الخمر ولا يظهروا جنائزهم، أي يقيموها بدون احتفال، وأخيراً أن يركبوا البراذين والخيول المعتادة، وليس الأصائل^(٤).

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٧. هيكل: الفاروق عمر، ج ١، ص ١٥٨.

(٢) الواقدي: فتوح الشام، ج ٢، ص ٥٣.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ١٢٥٥. كرد علي: الإدارة في عز الإسلام، ص ٢٥ - ٥٩.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٧. بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٤٦٤.

لكن ربما هذا الكلام غير صحيح فهذه الشروط لم تفرض في بداية الفتح، فقد أورد ساويرس، أن سنوتئوس أرسل إلى بنيامين مقداراً عظيماً من المال لبناء كنيسة القديس مرقس في الإسكندرية^(١).

واتجه العرب بعد فتح مصر إلى الاستقرار فيها، حيث كان معظم الجيش الفاتح من القبائل اليمنية والقبائل الحجازية، أي مختلط ما بين قيسية ويمنية^(٢)، لذلك كان الجيش وقيادته موقوفاً على المسلمين الفاتحين حصراً، وهذا ما تمليه ظروف البلاد، أما العس فقد تركت للمصريين كما كانت أيام الرومان، وكانت الأوامر إلى الجيش الإسلامي الفاتح، أن يكون دائماً مستعداً للدفاع عن البلاد ضد أي عدوان خارجي، لذلك حرم على أفراد أول الأمر امتلاك أي شبر من أراضي مصر^(٣).

وفرضت للجنود (العطاء) يقبضونه من أجل تغطية نفقتهم ونفقة عيالهم، وأقاموا على ذلك كل خلافة عمر، فكان العطاء يصرف إلى الجيش من حصيلة الجزية، وإن تبقى شيء أرسل إلى المدينة العاصمة المركزية للدولة^(٤).

وترك العرب الوظائف المتعلقة بالإدارة المدنية في مصر بيد الأهالي ومعهم جماعة من الروم ممن آثروا البقاء في مصر بعد الفتح الإسلامي لها^(٥)؛ وذلك لكي يضمنوا لأنفسهم الحصول على الموارد مع انصرافهم إلى الجهاد في المناطق التي لم تحرر بعد، وحتى يكونوا مستعدين لها، وخاصة أن العرب بعد تحرير مصر كان همهم الوحيد هو الإدارة العليا، وحفظ الأمن وجباية الخراج، خاصة أن القائد عمرو بن العاص كان هو المسؤول عن ذلك في بداية تحرير

(١) ساويرس: سير بطارقة الإسكندرية، ص ١٠٨.

(٢) كاشف (سيدة اسماعيل): مصر في فجر الإسلام، ص ٢٤٠.

(٣) ابن رجب: الاستخراج في احكام الخراج، ص ٣٣-٥٥.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٩٥.

مصر، حيث كان هدف الدولة العربية الإسلامية هو جعل التذمر ليس من السلطة وإنما يكون على أناس من أهل البلاد الذين يضطرون إلى معالجتها بأنفسهم^(١).

ولكن لم يكن لهم نظام سياسي محدد ليسيروا به البلاد، فاعتمدوا أنظمة الحكم التي وجدوها دونهم وأداروا بها البلاد، وفي الوقت الذي ترك فيه عدد من الروم وظائفهم اتجه العرب إلى الاعتماد على القبط، وبالتالي ما أن مر وقتاً حتى كان معظم موظفي ولاية مصر من المسيحيين، كما أن العرب حافظوا على طرق الروم في تدوين الدواوين وجمع الضرائب لكنهم كانوا أخف حملاً على الناس وأقل حرجاً^(٢)، وهذا ما أكدته ابن عبد الحكم عندما أورد أن عمرو بن العاص عندما استقر له الأمر جعل القبط يدفعون من الجزية مثل ما كانوا يدفعون للروم، غير أنها كانت تتغير بحسب غناهم ورواج أموالهم، أي كان الخراج يتغير حسب فيضان النيل وبحسب الحالة الزراعية^(٣).

وبعد تنظيم المقر الإداري والتشريعي والاهتمام بشؤون السكان المحليين والعرب اتجه عمرو إلى تحديد اللغة السائدة في إدارة مصر، فاتخذوا من اللغة اليونانية لغة سائدة، وكذلك استخدموا إلى جانبها اللغة القبطية اللغة التي كان يتحدث فيها عامة الأقباط، كما أمر الخليفة عمر بن الخطاب بإيجاد ديوانين الأول كان لإحصاء الناس وأعطياتهم، وهو ما عرف بديوان العطاء، والثاني من أجل جمع الأموال سواء الضرائب وغيرها وكان باللغة الرومية، وهو ما عرف فيما بعد بديوان بيت المال^(٤).

(١) كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٢٦. العدوي: التاريخ الإسلامي، ص ١٣٩.

(٢) بتلر: فتوح العرب لمصر، ص ٤٦٥.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ١٧٩. ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص ١٦٩.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٤٤. الشيال (جمال الدين): تكوين الشعب المصري منذ الفتح، مجلة الثقافة، مج ٨، ع ٣٣٣، السنة السابعة، ص ٢٠.

كما يلاحظ من تكتيك عمرو الإداري أنه لم يشرع تطبيق نصوص الإسلام فوراً، ولا سيما أنه لم يكن قادراً على نقل المصر من نظام إلى آخر وبشكل مباشر، وإنما اعتمد التآني والاستبطاء، إذ حافظ على النظام القائم بشكل مؤقت حتى يتطور مع الأيام ليلائم العصر الجديد.

وقد كان عمرو بن العاص يتخذ الإجراءات الإدارية والتشريعية، بعد مشورة أهل الرأي، وعلى رأسهم الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة المنورة، وهذه السياسة كان الخليفة قد طبقها ليس في مصر فحسب وإنما في كافة الأمصار، وبالتالي وجد في مصر نظامان في إدارة المجتمع: نظام ترك البلاد على ما هي عليه، ونظام طبق فيه الإسلام بحذافيره.

ولتنظيم الحياة الاجتماعية للعرب في مصر وبالتحديد في الفسطاط بعد اتخاذها مقراً عسكرياً وإدارياً، فعندما بدأت القبائل بالتنافس على أماكن السكن^(١)، وقبل الحديث عن توزيع القبائل لا بد من معرفة عدد المساجد التي اختطتها العشائر، فقد ذكرها ابن ظهيرة في كتابه الفضائل الباهرة، نحو مائتي وثلاث وثلاثون مسجداً، وكانت مبنية من الآجر الأحمر وبنوا منازلهم من اللبن، فعدد هذه المساجد دلت على عشائر المقاتلة، وحجمها، لكنها لم تكن الدليل القاطع على ذلك لأنه قد يكون بالعشيرة الصغيرة أكثر من مسجد، وفي الكبيرة مسجد واحد، أو مساجد قليلة^(٢).

وكانت أول القبائل التي سكنت حول المسجد ودار عمرو هم أهل الراية، وهم من قبائل مختلفة، وكانوا قد شهدوا مع عمرو بن العاص الفتح، ولم يكن من قومهم عدد فيقفون على قدمهم تحت راياتهم، وكرهوا أن يكونوا تحت راية غير عشيرتهم، فليل لهم أهل الراية^(٣)، وكما اختط حول المسجد كلاً من قريش والانصار وأسلم وغفار وجهينة، وغيرها من القبائل العربية مثل قبيلة سهم وثقيف وجمح^(٤).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٨.

(٢) الفضائل الباهرة: ص ١٠٢ - ١٠٦. العلي: أهل الفسطاط، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٩٧.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

واشتهر من بين خطط الفسطاط خطة غافق ويعود السبب في ذلك أن قبيلة غافق بكافة بطونها نهضت بدور أساس في تحرير مصر لكثرتها^(١).

كما دعت ضرورات الحرب لجمع قبائل أخرى في خطة أعطيت اسماً جامعاً لها وليس اسم قبيلة كما فعل عمرو مع أهل الراية وهي خطة اللفيف وكان أغلبهم من الأزدي بن الحجر، وغسان ومن شجاع، والتقى بهم نفر من جذام ولخم وتتوخ من قضاة، وعلى الرغم من أن لها عدة دواوين لكل قبيلة منهم ديوان، فقد سألوا عمرو بن العاص أن يفرز لهم خطة، لكن عشائهم امتنعت عن ذلك، عندها وافقوا على أن يجتمعوا في المنزل حيث كانوا، فأجابهم إلى ذلك مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان^(٢).

واشتهر من بين الخطط في الفسطاط خطة مهرة، وخطة تجيب، وخطة لخم ومن خالطهم من جذام وخطة أهل الظاهر، وهم جماعة من القبائل قفلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم، فتحاكموا إلى معاوية بن خديج الذي كان عمرو بن العاص قد جعله على الخطط، فقال لهم: "إني أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل فسميت منازلهم الظاهر، وخطة الصدف وخطة بني بحر، وهم قوم من الأزدي، وخطة ثقيف وخطة حضرموت. وخطة يحصب، وسبا وبلى والمعاقر وهذيل وبني وائل ورعين ومذحج وبني الكلاع ونافع وهجر، وكانت كل هذه الخطط تحتوي على قبيلة واحدة أو عدة قبائل^(٣).

وقد أنشئت خطط أخرى نزل فيها عناصر من غير العرب، وكانوا قوم من العجم يقال لهم الحمراء، والفارسيون، فأما الحمراء فقد دخلوا مع عمرو بن العاص، وهم قوم من الروم فيهم بنو بنه وبنو الأزرق وبنو روبيل، والفارسيون قوم من الفرس وفيهم قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء وكان حامل لوائهم ابن ينة وإليه تنسب سقيفة ابن بنة التي بفسطاط مصر بالحمراء^(٤).

(١) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٨٨. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٤٦.

وقد عرفت خطط هؤلاء بالحمراوات الثلاث، وهم الحمراء القصوى، الحمراء الوسطى، والحمراء الدنيا^(١).

وتجدر الإشارة أن هؤلاء ليسوا من الأبناء وهو المصطلح الذي يطلق على الجالية الفارسية التي ترجع أصولها إلى جند الحملة التي أرسلها الساسانيون إلى اليمن لمساعدة سيف بن ذي يزن في طرد الأحباش، ثم استقروا في اليمن وأسلموا برمتهم، وظهر منهم العلماء في اليمن ومكة على حد سواء، ولكن لم يُشر على أن فرس الفسطاط من أبناء اليمن، مع العلم أن أبا عبيدة بن الجراح في معاهدته لأهل بعلبك ذكر ((عربها ورومها وفرسها))، وبالتالي يرجح احتمال أن يكون هؤلاء ممن سكن بلاد الشام ومصر ولا علاقة لهم بالساسانيين، وأنهم كانوا مقاتلة وليس تجاراً مدنيين، وقد ذكر ابن الحكم أن عمرو بن العاص دخل مصر بعدد من الفارسيين من الشام، وسماهم الحمراء لأنهم عجم، وهؤلاء فرقوا عن منازلهم، "فنزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة، ونزل الفرس بناحية بني وائل، فمسجد الفارسيين هناك مشهور"^(٢).

وعلى هذا فإن الحمراء الدنيا كان بها خطة كل من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة، ومنها خطة ثراد من الأزد وخطة فهم بن عمرو بن قيس عيلان، ومنها خطة بني بحر بن سواده من الأزد^(٣).

أما الحمراء الوسطى منها خطة بني بنه، وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل، ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس مضر، ومنها خطة بني سلامان من الأزد، ومنها خطة عدوان، وبالتالي فإن خطة بني بنه كانت مختلطة بخط عشائر عربية من أهل الراية^(٤).

(١) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٧.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٩٠.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٩٠.

وكانت الحمراء القصوى، خطة بنو الأزرق، وكان رومياً، حيث حضر الفتح منهم حوالي أربعمئة، وخطة بني روبيل، وكان يهودياً حضر الفتح منهم ألف رجل، وخطة بني يشكر مفرقة في الجبل، فدُمِرت قديماً وعادت صحراء حتى جاء العباسيين^(١).

وذكر المقرئ أن خطط الفسطاط وجد فيها قوم عرفوا بالعتقاء، وهؤلاء كانوا في خطط أهل الظاهر، وهم جماعة من القبائل كانوا يقطنون على أيام النبي (ص) فأتى بهم السرى، فأعتقهم فقليل لهم العتقاء، وديوانهم مع أهل الراية، وخطتهم بالظاهر متوسطة فيهم، وكان فيهم طوائف من الأزد وفهم، وأول هذه الخطة من شرقي خطة لحم، وتتصل بموضع العسكر، وفي هذه الخطة سوقة العراقيين^(٢).

لم تكن الخطط متساوية في الحجم، حيث كانت تختلف حسب عدد أفراد كل قبيلة، وقد امتازت بيوت خطط الفسطاط بأن بناؤها كان من اللبن، وبالتالي كانت أكثر تطوراً من خطط الكوفة والبصرة، التي بنيت من القصب، كما كانت أكثر استقراراً، وامتازت البيوت بأنها أرضية وعندما اتجه خارجة بن حذافة إلى بناء طابق علوي، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو يأمره بهدمها حيث قال: "لقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه فإذا أذاك كتابي هذا فأهدمه"^(٣).

ولم يقتصر تنظيم حياة القبائل في الفسطاط فحسب بل تعداه إلى الجيزة فسكنها قوم من همدان، وقوم نافع، وبنى لهم عمرو حصناً سنة ٢١هـ / ٦٤١م^(٤).

بالإضافة إلى اختلاط العرب في المدينة وجد هناك اختلاط فيما بينهم في الريف، وذلك وفق نظام شرعه عمرو بن العاص وأداره بحنكة وذكاء عرف بنظام الارتباع، فقد جاء في خطبة لعمرو: "يا معشر الناس إنه قد تدلت الجوزاء وذكنت الشعري وأقلعت السماء وارتفع الوباء وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر

(١) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٨٨.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١١٩.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٦.

فحي لكم على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيريه ولبنه وخرافه وصيده وأربعوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها فإنها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأثقالكم واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا^(١).

وقد نظم عمرو عملية الارتباع الذي دعا لأجلها، حيث قسم القبائل نفسها على المرباع في وقت الربيع واللبن، وكان لكل قوم مرتبهم حيث أحبوا، وكانت تتجاوز القبائل بعضها في المرباع دون معرفة^(٢)، فكان الهدف من عملية الارتباع أخذ نوع من العطلة والاستجمام والراحة من مشاق القتال فينالوا من خيريه ولبنه وخرافه وصيده مع تجنب الترف في المأكّل والملبس، لأنه يفسد الدين^(٣).

وعلى الرغم من أن عمرو كان يترك للقبيلة اختيار الجهة التي تفضل الارتباع بها في الدلتا أو الصعيد، فإن الوالي كان يصدر أمراً كتابياً يحدد فيه القرية التي تذهب إليها القبيلة وكميات اللبن التي تسمح لها بالحصول عليها من سكان القرية^(٤).

وكانت من أهم مناطق الارتباع (منف، وسيم)، والسبب في اختيار هاتين الكورتين لما كانتا تتمتع به من خصوبة بالإضافة إلى قربهما من الفسطاط العاصمة الإدارية والعسكرية للمسلمين في مصر. ولكن الارتباع كان يقل كلما زاد الاتجاه نحو الشمال والجنوب، والارتباع ارتكز فقط حول الفسطاط في كل الاتجاهات وكانت القبائل تختار أماكن الارتباع وفقاً لاعتبارات معينة، فالقبائل التي ترتبع في منف ووسيم كانت قبائل تتمتع بنفوذ قوي وكانت على رأسها آل عمرو بن العاص، وآل عبد الله بن سعد بن أبي السرح وغيرها من القبائل ذات النفوذ^(٥).

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥٧

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٤، ص ٣٠.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٦٧. رمضان (هويدا عبد العظيم): المجتمع في مصر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ١٦.

(٤) رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية، ج ٢، ص ١٦.

(٥) المقرئزي: الخطط، ج ٤، ص ٣٠.

إن عملية الارتباع الذي شرعها عمرو كانت قائمة على العصبية القبلية ، فالقبائل المتقاربة في النسب كانت تتشارك في مرتبعات واحدة ومنها (بلى، ولخم، وجذام، وغفار، وأسلم، وآل عمرو، وآل عبد الله بن سعد، كما كان لبعض القبائل أكثر من مرتبع ومنها بلى، وتجب، ولخم، والمعافر)^(١).

وبالتالي أدت عملية الارتباع وإدارتها من قبل عمرو إلى اختلاط القبائل العربية بالمصريين، إذ أوجدت فرصة للتعرف على البيئية الجديدة وسكانها في الوقت نفسه الذي هيأت فيه للمصريين أن يتعرفوا إلى هؤلاء الوافدين الجدد.

وهذا ما أدى إلى ظهور الحجر الأساسي والخطوة الأولى في إكمال تعريب مصر، والسبب في ذلك يعود إلى أن القبائل بعينها انتهى بها الأمر إلى اتخاذ مرتبعاتها منازل، والإقامة فيها بصفة دائمة بعد أن تركت الفسطاط نهائياً، ومن تلك القبائل، مدلج ومن حالفهم من حمير وذبحان الذين استقروا في خريتا^(٢).

أما في الإسكندرية فقد ظهر نظام الابتدار، وهو ما يسمى بنظام الأخاند، وهو أن الجند كانوا يبتدرون المنازل التي تركها الروم، عند هجرتهم فلم يبق لها مالك فيسكنونها، وقد صحب ذلك تطور نظام إرسال الجند للمرابطة، وقد ذكر ذلك يزيد بن حبيب " أن المسلمين لما سكنوها في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا، ابتدروا، فكان الرجل يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتره فيسكنه "^(٣)، وبالتالي يتبين أن المنازل في البداية لم توزع على الجند ولم تقسم فيما بينهم، وإنما كانوا يعتمدون نظام المسابقة، فمن يسبق أحدهم إلى بيت سكنه.

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٤، ص ٣٠.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٨.

إن نظام الابتدار لم يدم طويلاً، لأن عمر خاف على هذه الدور من أن تخرب إذ كانوا يتعاورونها، لذلك لجأ إلى تخصيص كل جماعة بالمنزل الذي غلبوا عليه فيكون لهم ولأولادهم وأخوتهم^(١).

كانت مرافق الإدارة العامة قليلة في الفسطاط، ولم يكن هناك سوى سوق واحد فقط، قيل إن عمرو بن العاص قد بناه ليكون دار إمارة للخليفة وكتب له، قال له عمر: "أتى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر! وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين. قال ابن لهيعة: هي دار البركة، فجعلت سوقاً، فكان يباع فيها الرقيق"^(٢).

يظهر أن عمرو بن العاص أراد من خلال النمط الذي بنى فيه مدينة الفسطاط، أن يعطي صورة واضحة عن المجتمع الإسلامي ولكن بشكل مصغر، حيث يقوم هذا المجتمع على الجيش وجهاده أولاً ومن ثم تثبيت أركان الإسلام ثانياً، مجتمع جاهز من أجل القضيتين لبذل المال والنفس، وبالتالي كان تنظيمه للمدينة عمرانياً ثم سكانياً وإدارياً أبرع تنظيم وأسلوب في إدارة المصر أولاً ومن ثم الدعوة إلى دين الله ثانياً.

وبعد بناء مدينة الفسطاط نظمت مصر إدارياً، فقد قسمت إلى قسمين فعندما توفي عمر بن الخطاب كان على ولاية مصر أميران هما عمرو بن العاص بأسفل مصر، وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح على الصعيد^(٣).

لكن هذا لا يعني أن مصر كانت مقسمة ما بين اثنين، وإنما كانت جميعها بيد عمرو بن العاص هو القائد الأوحدها في حين أن عبد الله كان خاضعاً إدارياً له أو قد يكون أحد عماله أو قواده

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٤٧. فيصل (شكري): المجتمعات الإسلامية، ص ١٤٤.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١١٦. ناجي (عبد الجبار): دراسات في تاريخ المدن العربية، مطبعة جامعة البصرة، البصرة ١٩٨٦م، ص ١٩٣.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٠٠.

وخاصة أنه كان قائد ميمنة عمرو بن العاص منذ خروجه من فلسطين^(١). وبالتالي كان عمرو ابن العاص هو القائد العام للجيش، وهو المسؤول عن جمع الخراج والجزية ومن ثم إرسالها إلى المقر الرئيسي في المدينة المنورة^(٢).

يتضح أن مصر كانت مقسمة إلى قسمين مصر العليا ومصر السفلى، ولكن كل قسم من هذه الأقسام كان مقسماً إلى أقسام صغيرة تدعى الكورة ويقال إن بها ثمانون كورة والكور مقسمة إلى قرى، وبالرغم من أن مصر كانت واقعة تحت السيطرة البيزنطية لكن لم يستخدموا فيها نظام الأجناد الذي استخدموه في بلاد الشام، بل اعتمدوا نظام الكور^(٣). وطبق في مصر والعراق فقط، وترك الخليفة عمر التنظيم الإداري السائد في مصر، كما أنه ترك تفاصيل الإدارة والوظائف الإدارية في المراكز التي لم يقنطها العرب الفاتحون بيد السكان المحليين مع احتفاظ العرب بحق الأشراف والتبديل^(٤).

ويبدو أن عمرو اتخذ من الفسطاط مقراً له يشرف منه على الجزء البحري من مصر في حين أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح اتخذ من الفيوم مقراً له للإشراف على الصعيد، ولعل هذا ما قصد به سعيد بن غفير، عندما قال: (أن عمر بن الخطاب، ولي عبد الله بن سعد من الصعيد على الفيوم)^(٥).

وكان للخليفة صاحب بريد يخبره بما يقوم الوالي، وكان للوالي هو الآخر تشبه بخليفته صاحب بريد يخبره بما يقوم به عمال الأقاليم من أعمال، كما أشار القلقشندي إلى وجود ديوان للإنشاء في مصر منذ الفتح، لكنه لم يكن ذو أهمية كبيرة إذا ما قورن بالحقب التي جاءت بعد العصر

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٠.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٣.

(٣) ابن دقمان (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م): الانتصار بواسطة عقد الأمصار، بولاق ١٣٠٩هـ، ج ٤،

ص ٢٠١. العدوي: النظم الإسلامية، ص ٢٠١.

(٤) العلي: إدارة الدولة الإسلامية وتنظيماتها الأولى، ص ٢٣-٢٤.

(٥) الكندي (محمد بن يوسف بن يعقوب ت بعد ٣٥٥هـ / ٩٦٦م): الولاة والقضاة، تحقيق: محمد

حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ط ١، ص ١١.

الراشدي^(١)، كما كان عمرو بن العاص يشرف أحياناً على بلاد بركة وما يليها من شمال افريقية^(٢).

إدارة الاقتصاد في مصر وتشريعاته:

بعد فتح مصر اتجه عمرو بن العاص إلى تنظيمها بناءً على أوامر الخليفة عمر بن الخطاب، فنظم أمور الزراعة، ومن أجل ذلك طلب مشورة كبار مصر وعلى رأسهم المقوقس (قيرس)، ممن كان يمتلك خبرة في الأمور الاقتصادية، وبالفعل قدم له النصائح وأخلص في ذلك^(٣)، وكان هدف الخليفة عمر من ذلك هو الاستفادة من خبرة رعايا الدولة أولاً، ومن ثم إشراك هؤلاء في الإدارة وإعطاء آراء في التشريع الإداري ناجمه عن خبرة ودراية.

كانت آراء المقوقس أن يحصل الخراج من غلة الأرض عند فراغ الناس من زروعهم ومن عصر كرومهم، وأن تحفر الخلجان وتصلح الجسور وتسد الترع، وأن يعطى العمال أرزاقهم بغير انقطاع لئلا يرتشوا، وألا يباح مطل الناس حقوقهم بغير حق، وألا يلي أمور الناس عامل ظالم^(٤). أي إعطاء الرعايا كافة حقوقهم وإعانتهم على مهامهم وبالتالي يقدموا الخراج دون زيادة أو نقصان أو حتى تأخير.

أي أن المقوقس طلب من عمرو أن يحصل ضريبة الطيان الزراعية بعد جني المحاصيل، والاهتمام بمشروعات الري والطرق لزيادة الرقعة المزروعة، وصرف العطاء للعمال بانتظام خوفاً من الرشوة، ولسرعة إنهاء أعمال الدولة وأعمال الشعب وحتى لا تتعطل مصالحه، عليه عزل كل موظف ظالم مهما كانت أوضاعه.

(١) صبح الأعشى، ج ١١، ص ٢٨. كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٣٠-٣١.

(٢) كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٣١.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٤١.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٤١.

انطلق عمرو بن العاص إلى تنفيذ المشروعات الكبرى للنهوض اقتصادياً، وبادر إلى القيام بذلك في وقت قصير، فشرع في بناء خليج يجري من النيل باتجاه القلزم. فما أن مرّ عام حتى تم حفر الخليج، وجرت فيه السفن^(١).

إن القيام بهذا العمل خلال مدة قصيرة يدل ويشهد على مقدرة عمرو الإدارية الممتازة، حيث جند عمرو آلاف الفعلة المصريين للقيام بالحفر، وكانت أوامره صريحة قاطعة، وما إن مرت شهور حتى خرج الخليج إلى الوجود عملاً رائعاً يشهد للقيادة العربية وعلى رأسها الوالي والخليفة بالعبقرية، حيث غدا طريقاً تجارياً للتجارة الدولية، وبالتالي أعاد لمصر أهميتها كطريق عالمي للمواصلات^(٢).

ودفع عمرو عماله في مصر إلى القيام بالمشروعات العامة التي تعود بالمنفعة على أهل البلاد عامة وعلى المسلمين خاصة أخذاً بخبرة الفرس والروم، تطويراً لما كان موجود من أجل التخفيف عن الناس في حياتهم المعيشية، ولابد له من اتخاذ القرارات التي تمكنه من تحقيق ذلك الأمر، ومثلما فعل عمر في كل من العراق والشام حيث أمر قواده بأن يهتموا بأمور الناس العامة، وعلى رأسها حفر الترع وتنظيم المجاري ليصل الماء إلى كل بقعة صالحه للزراعة، وأن يصلحوا القناطر والجسور، وأن يعمرؤا كل ما خربته الحرب في الأرجاء، وكان المهندسون الفرس الذين أقاموا في العراق خير عون للمسلمين في تنفيذ هذا الإصلاح^(٣).

وقد فعل عمر مثل هذا الإجراء في مصر، فأنفق عمرو بن العاص من خراج مصر والجزية المفروضة على أهلها ما يحتاجه في تعمير البلاد من حفر الترع وإقامة الجسور وبناء القناطر^(٤).

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٧٩.

(٣) ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ص ١١٣. أبو يوسف: الخراج، ص ١٥٢.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٠٤. الطماوي (سليمان محمد): عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة، دار الفكر العربي، مصر ١٩٦٩م، ص ٣٢٢.

ولم يسمح الخليفة عمر بن الخطاب للعرب بالعمل بالزراعة، وإنما فرض لهم راتباً شهرياً ورزقاً لهم ولأولادهم^(١)، فأراد الخليفة من خلال هذا الأمر الإداري أن يبق الجنود على أهبة الاستعداد من أجل مواصلة عمليات الفتوح أولاً وثانياً من أجل الدفاع عن المناطق المفتوحة في حال حاول الروم مهاجمتها بهدف استردادها، ولتثبيت ما أقره الخليفة، فقد أرسل عمرو بن العاص والي مصر أحد المسلمين ويدعى شريك بن سمي الغطفاني الذي اشتكى من قلة العطاء، فطلب من عمرو أن يسمح له بالفلاحة والزراعة، إلا أن الأخير وتماشيا مع قرارات الخليفة رفض رفضاً قاطعاً، فاضطر شريك أن يزرع خفية، عندها أرسله عمرو إلى الخليفة، ليعاقبه على ما قام به^(٢).

ومن هذا يتضح أن الخليفة عمر كان على علم بعدم قدرة بعض العرب على القيام بالفلاحة لانشغالهم بالأمر العسكري، وبالتالي إذا ما قسم أرض مصر عليهم سوف تتحول إلى أرض بور، فلن يستفيد منها العربي المالك لها، ولا حتى خزينة الدولة ففضل تركها بيد أصحابها لخبرتهم أولاً بفلاحة أرضهم، وثانياً بالفلاحة بشكل عام، والثاني هو جعل الجهاد هي مهنة العرب الأساسية ومهنة رزقهم، وبالتالي لن يجدوا فرصة لتوسيع رقعة الفتوح إلا وطرقوا أبوابها^(٣).

أما الأراضي التي فتحت فقد تركها الخليفة بيد أصحابها وأعطاهم الأمان على أموالهم و بعد أن طالب العرب الخليفة بأن تقسم الأرض بعد الفتح، إلا أن الخليفة عمر رفض ، واتخذ ما شرعه إدارياً في كل من العراق والشام، فكان رده عليهم: " لا تقسمها وذرههم يكون خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم"^(٤)، وقال رداً على سؤال موجه من عمرو بن العاص بشأن التقسيم

(١)المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ٢٨.

(٢)المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ٢٨. الدوري: مقدمة في تاريخ الاقتصاد، ص ٢٣٠.

(٣)الجنحاني: الحياة الزراعية، ج ٢، ص ١٩٨.

(٤)ابن سلام: الأموال، ص ٨٠.

أقرها حتى يغزو منها حبل الحبله^(١)، أي حتى يغزو منها أولاد الأولاد ويكون عاماً في الناس والدواب أي يكثر المسلمين بالتوالد فإن قسمت الأرض انفرد بها الآباء دون الأبناء^(٢).

لأنه عد حرب الدولة العربية الإسلامية مع القبط وغيرهم ليست كحربهم مع الوثنيين^(٣)، وبالتالي فإن تقسيم الأرض بين من غلب عليها كانت عشيرة وأهلها رقيق. وأن لم يقسمها وتركها بين أهلها فعلى رقاب أهلها الجزية وقد عتقوا بها وعلى الأرض الخراج^(٤).

اعتمد الخليفة عمر بن الخطاب سياسة الإقطاع للمسلمين في مصر، حيث وجد في مصر كغيرها من المناطق المفتوحة أراضي يمتلكها الأباطرة، وأراضي أخرى كان يمتلكها الشعب من الروم والمصريين، لذلك غدت هذه الأراضي سواء أكانت ملكاً للأباطرة أو هرب أهلها، أو هلكوا أثناء الفتح ملكاً للخليفة يتصرف بها كما يشاء، لذلك اتجه إلى الانتفاع بالقرى والضياع التي استولت عليها بطريقة الإقطاع، فقد أقطع الخليفة عمر بن الخطاب ابن سندر أحد الصحابة منية الأصبع وهي تقع شمال القاهرة قرب ضاحية الدمرداش حالياً، وبقيت بيده حتى اشتراها منه بعد ذلك الأصبع بن عبد العزيز بن مروان من ورثة ابن سندر، وكانت هذه الأرض أقدم إقطاع وأفضلها^(٥).

وبعد أن تم تنظيم ملكية الأراضي بفضل إدارة الخليفة عمر الحكيمه وتشريعاته؛ اتجه إلى حل مشكلة كبيرة كان يعاني منها أهل مصر وهي الغلاء الفاحش والناجم عن نقصان مياه النيل عن حده مما يؤدي إلى الاحتكار وبالتالي ارتفاع الأسعار، لذلك شاور الوالي عمرو واستوضح منه الوضع، فاقترح عليه عمرو بأنه وجد ما يساعده على ري الأرض بأربعة عشر ذراعاً، ومن ثم الحد مما يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم، ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر

(١) ابن زنجوية: الاموال، ص ١٩٢.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١١، ٢١٦.

(٣) نظام (شيخ): الفتاوى الهندية، دار الفكر، ١٩٩١م، م ٢، ص ٢٣٧.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٨٢.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٦٣. كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٥٤.

ذراعاً، وبالتالي استطاع المسلمون أن يعتمدوا مقياساً لمياه النيل وهو عبارة عن عمود خشبي أبيض اللون يثبت في موضع ينحصر فيه الماء والعمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً^(١)، وكل ذراع مقسم إلى أربعة وعشرين قسماً متساوية عرفت بالأصابع، فقد بنى عمرو مقياساً بأسوان وآخر بدندرة، والصعيد، واستمر المقياس بهما حتى العصر الأموي^(٢).

وبعد أن نظم عمرو بن العاص إدارياً توزيع الأراضي كان لا بد من تنظيم الجوانب المالية، وعلى رأسها الجزية والخراج، فقد عرف عند المصريين نوعين من الصلح، الأول مؤقت وهو تسليم حصن بابلون ومدينة مصر، وبالتالي فرضت عليهم جزية قليلة تضمن دفع دينار وكسوة لكل من جنود العرب^(٣)، أما الصلح الثاني وهو صلح الإسكندرية وتم تطبيقه على مصر بأكملها فقد فرض عمرو على أهل اليسار دينارين وثلاثة أرباب^(٤) من القمح مبلغ وارد تلك الجزية، ١٢ مليون دينار، سوى ما كان يفرض على اليهود من أهل مصر^(٥)، وذكر البلاذري أن عمرو فرض على كل حالم من القبط دينارين^(٦).

أما ضريبة الخراج، فقد نظمت وأديرت في مصر التي كانت تتمتع بخصوبة لم تعرفها بقية المناطق المفتوحة لذلك حاول عمرو بن العاص قدر الإمكان الحفاظ عليها كمورد اقتصادي للدولة العربية الإسلامية.

(١) ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م): نزهة الأعم، ترجمة وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٨٤ - ٨٥.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٥١.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٥.

(٤) هو مكيال ضخم لأهل مصر، يسع أربعة وعشرين صاعاً، أو ست وبيات.

انظر: مصطفى (إبراهيم) وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت، ج ١، ص ١٣.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص ١٦٩. ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٠٣ - ١٠٨.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٨.

ووضع عمرو بن العاص تراتيب معينة بخصوص الأرض التي تركت بيد أصحابها ، وذلك بعد أن تباينت وجهات النظر بين الجند وبين حكومة المدينة، فالجند عدوها حقا لهم وجب تقسيمها فيما بينهم، أما الخلافة رفضت الأمر وعارضته بشدة وأبقتها بيد أصحابها، وهذا الإجراء الإداري شمل مصر حيث أقرت الأرض بأيدي أصحابها يعملون فيها مقابل تأدية الخراج للمسلمين، فجعل على كل جريب دينار وثلاثة أراذب طعاماً^(١)، وفي فتح الإسكندرية الثاني ٦٤٥/هـم وضع عمرو على أرضها الخراج وعلى أهلها الجزية^(٢).

فقد كان يجبي الخراج عينا ونقداً^(٣). وعلى أساس مساحة الأراضي التي يمتلكها الشخص، وكان يراعى فيها حالة فيضان نهر النيل في كل عام لارتباطه بالزراعة، وكان يراعى أيضاً كمية المحصول التي تنتجها الأرض وحالة الأرض إذا كانت عامرة أو غامرة^(٤)، وكانت مصر ترسل الحبوب إلى المدينة وبالتالي كانت لها أهمية اقتصادية بالنسبة للدولة العربية الإسلامية الناشئة^(٥).

فقد كان خراج مصر في زمن عمرو بن العاص في خلافة عمر في أول سنة أربعة آلاف ألف دينار، وفي السنة الثانية جبي عشرة آلاف ألف^(٦)، وبالتالي ظهرت لأول مرة في مصر ضريبة الخراج منفصلة عن الجزية، حيث أقرها عمرو، وأحصى أهلها، وفرضها عليهم، وبالتالي كانت مصر كلها صلحاً بفريضة دينارين على كل رجل، وألا يزداد على كل واحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين، إلا أنه بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الإسكندرية، فإنهم كانوا

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٣.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٩٦.

(٣) كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٤٩. دينيت: الجزية والإسلام، ص ١٥٠، ١٥١.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٤٢-١٤٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٦.

(٦) اليعقوبي: البلدان، ص ١٧٨.

يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى وليهم، لأن الإسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد^(١).

كان تشريع الخليفة عمر في فرض الخراج على المصريين يختلف عن بقية المناطق المفتوحة، وذلك لخضوعه لمعايير تتمثل بمستوى مياه النيل حيث أعطى الخليفة لعمر بن العاص أوامر بأن يعطي الأمان لأهل مصر على أن يعطوا الجزية: "إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وإن نقص نهرهم عن غايته رفع عنهم بقدر ذلك"^(٢).

وبالتالي يمكن أن يكون المبلغ مبالغ فيه نوعاً ما، ولكن الأهم من ذلك أن الخراج كان مرتبطاً بارتفاع منسوب النيل أو انخفاض منسوبه، ووجد في مصر معيار آخر لفرض الخراج، وهو جودة الأرض ونوع المحصول المزروع، إضافة إلى قربها وبعدها عن الأسواق ففي إحدى الوثائق البردية كان من المقرر على فدان مزروع بالقمح ٢ دينار في الوقت الذي كانت فيه الضريبة المفروضة على أرض بنفس المساحة مزروعة بالكتان ١٢ دينار، في حين اعفيت كل أرض أصبحت بوراً بسبب جفاف مائها، وهذا النوع من الأرض عرف عند العرب بالأرض المعطلة، أي أصبحت هذه الأرض أرض غير صالحة للزراعة، فتصحرت لأسباب خارجة عن إرادة المالك. وكان أول من جباى عمرو بن العاص، فكان جبايته عشرة آلاف دينار^(٣).

وقد تضمنت شروط الصلح التي عقدت بين عمرو بن العاص والمقوقس الاتفاق على مقدار الجزية كما سلف القول ولكن لماذا عقد صلح المقوقس؟ وللاجابة عن هذا السؤال ومن معرفة أنه بعد وفاة هرقل سنة ٦٢٠هـ / ٦٤١م، واستلام الامبراطور الجديد هرقل يونس الحكم، اضطربت في هذه المدة أحوال الدولة البيزنطية اضطراباً شديداً استمر الحصار عدة شهور، فلم يجد

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٠٨. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٣ - ٢١٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٠٩. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٥٥. حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية، ص ٣٥٢.

(٣) (الثعالبي) (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م): ثمار القلوب، دار المعارف، القاهرة ص ٤٢٠.

الامبراطور بدأ من تفويض المقوقس في عقد صلح مع المسلمين، فبدأ المفاوضات التي انتهت بتوقيع اتفاقية، فرضوا من خلالها على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين، وحصوا عدد القبط ممن بلغ منهم الحلم، وفرض عليهم الجزية، فكانوا أكثر من ستة آلاف ألف، نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة^(١).

يلاحظ أن عمرو بن العاص قد قيد أخذ الجزية بالدينار وإن مقدار الدينارين كانت ثابتة على كل فرد مشمول بها، وبالتالي لا يتكلف الغني في دفعها في حين أنهما يبهضان الفلاح الفقير علاوة على ذلك فإن مقدار الدينارين مبلغ باهظ فيما لو قارناه مع بقية الأمصار لأن الرسول أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن وأمره أن يأخذ من كل حالم ديناراً، وفي بلاد الشام كانت جزيتهم على كل رأس ديناراً^(٢)، وهكذا.

إن فرض الجزية في مصر لم تأخذ بقواعد القرآن والسنة، وإنما فرضها الخليفة عمر بن الخطاب على كل رجل ذمي أربع دنانير على عكس كل من العراق والشام الذي كان على أساس الوضع الاجتماعي^(٣).

فرض عمرو بن العاص على الذميين في مصر الجزية وفق شروط معينة، ومنها أن لا يخرجوا من ديارهم ولا تنتزع نساءهم ولا كنوزهم ولا أراضيهم ولا يزداد عليهم فيكلفوا فوق طاقتهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم، ومن خلال هذه الشروط يتبين مدى البعد الإنساني الذي اتصف فيه عمرو، وهو على عكس ما أورده ابن الحكم ، والبلاذري في أن عمرو فرض على أهل برقه أن يبيعوا أبنائهم في جزيتهم، وكذلك كتب على أهل لواته من البربر شرطه عليهم أن يبيعوا أبنائهم وبناتهم فيما عليهم من الجزية^(٤).

(١) ابن سلام: الاموال، ص ١٨٨. النويري: نهاية الأرب، ج ١٩، ص ٢٠٥.

(٢) ابن ادم القرشي: الخراج، ص ٦٨.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٢٧، ٢١٤.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، ٢٢١.

أما عند الكلاعي فقد أورد شروط أخرى في الجزية وهي مفروضة على أهل النوبة، : "إنا عاهدناكم وعاهدناكم أن توفونا في كل سنة ثلاثمائة وستين رأساً، وتدخلون بلادنا مجتازين غير مقيمين وكذلك ندخل بلادكم على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة وإن أويتم للمسلمين عبداً فقد برئت منكم الهدنة وعليكم رد من بقيا للمسلمين ومن لجأ إليكم من أهل الذمة"^(١). وفي ذلك افتراء على ما اتصف عمرو بن العاص وما طبقه.

كانت إدارة الجزية من قبل عمرو بن العاص قد لاقت قبولاً من أهل مصر، فعندما فرض في حصن أم دنين على كل رجل بالغ ديناراً وترساً وعمامة وخفين، وعلى الرغم من مقاومتهم إلا أن طلبهم للصلح دفع عمرو إلى التسامح في التعامل معهم، وهذه المعاملة الحسنة دفعت هؤلاء إلى أن يعرضوا على المسلمين الضيافة، فقدموا طعام بلغت تكلفته حوالي عشرين ألف دينار، عندها طلب منهم عمرو أن يؤديوا له مثل هذا المبلغ من أجل أن يعينهم على الفتح مقابل حمايتهم، فوافقوا على ذلك^(٢).

وكذلك فعل عمرو مع حصن بابلين إذ فرض على كل رجل منهم دينارين شريفهم ووضيعهم، ولكن أعفى منها الشيخ والصغير والنساء كما فرض عليهم ضيافة المسلمين ثلاثة أيام وخاصة بعد أن كان المصريون قد قدموا بنفسهم الضيافة سابقاً فتشجع عمرو بن العاص وفرضها كشرط ضمن شروط الصلح^(٣).

والسبب الذي دفع عمرو إلى طلب الضيافة هو حاجة الجيوش العربية الإسلامية إلى الطعام والمؤن وذلك من أجل توسيع الفتوح، وبالتالي كانت هذه المسألة ضرورة اقتصادية وعسكرية في نفس الوقت ولكن على ألا يكلفهم فوق طاقتهم^(٤).

(١) الاكتفاء، ج ٤، ص ٥٣.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، ص ٦٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٩٣.

(٤) الواقدي: فتوح الشام، ج ٢، ص ٥٣.

كما أن أهل مصر قد فرض عليهم ما يسمى بالعروض الذي لم يحدد مقداره، ففرض العروض هذه كان أمراً مخالفاً لشروط الصلح الذي اتفق عليه الطرفان فقد ورد في الصلح أن لا يزداد عليهم^(١).

رغبت الإدارة العربية بتحقيق العدالة في فرض الضرائب وطريقة جبايتها إذ يظهر أن مسؤولية الضرائب في مصر كانت جماعية، بمعنى أن سكان القرية أو الكور يتضامنون في أداء المبلغ الذي يتم فرضه بعد التقدير السنوي^(٢)، وبعد تخصيص الضرائب حسب كل قرية يتوجه الإداريون بتلك الحصص إلى القرى حيث يجتمعون هناك برؤسائها وبحضور أهل القرية ومن ثم يتقاسمون الحصص حسب احتمال كل قرية وحسب سعة المزارع، ومن ثم يقتطع من المجموع الكلي مقداراً معيناً يخصص لصالح الكنائس والحمامات العامة إضافة إلى ضيافة المسلمين وواليهم، ومن ثم يفرض على أصحاب الصناعات والأجراء مبلغاً بحسب قدراتهم، كما اقتضت الضرورة الفرض على اللاجئين في القرى فإذا كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها^(٣).

وبهذا النظام سهل عمرو بن العاص استيفاء المبالغ، كما ضَمِنَ العدل في جبايتها، فلا يظلم أحد من المصريين في حال قَلَّ المحصول أو خربت الأرض^(٤)، وهذه الطريقة كانت مستخدمة عند الروم، أي أن أهل القرية كانوا بمثابة لجنة خاصة تجتمع لتقدير مقدار ما يجبى من الأموال فإذا اجتمع من ذلك المال شيء فوق ما فرض على قريتهم أنفق في إصلاح أحوالها.

وقد فرض عمرو بن العاص على أرض مصر الزراعية على أساس الفدان وهو مقياس لم يدخله العرب معهم عندما فتحوا مصر، فجعل عليهم لكل فدان نصف أردب قمح وويبتين^(٥) من

(١) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٤٩، ٣٠٩.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ١٧٩.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص ١٦٩.

(٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٤٥.

(٥) الوبيبة: اسم وجمعها ويّبات، وهو اثنان وعشرون أو أربعة وعشرون مدّاً، وهو مكيال يختلف حسب البلدان، وفي الاغلب قدره كيلتان.

انظر: مصطفى: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ١٠٦١.

شعير^(١)، وكانت الجباية تجري على قدر طاقتهم فإن عجز أحد وشكا ضعفاً عن زرع أرضه وزرعوا ما عجز عنه على أهل الاحتمال وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطي ما عجز عنه أهل الضعف، فإن تشاحنوا قسموا ذلك على عدتهم^(٢). وبالتالي كانت واردات الخراج من الأراضي المفتوحة صلحاً ومن الأراضي المفتوحة العنوة التي فرض عليها الخراج والجزية معاً، ويضاف إلى ذلك الزيادة المفروضة من قبل ولاة الأقاليم الغير محددة النسبة.

وعلى الرغم من أن عمرو كان يحجز بعضاً من غلة الأرض أموالاً ينفقها على الصناعات والأجراء وعلى تعمير الأرض والكنائس والحمامات كما أن ضيافة المسلمين كان أمراً يحسب حسابه ويدخر لها على قدر حاجة القرية.

والخراج الذي فرضه عمرو على أرض مصر بلغ نحو كل فدان من أرض مصر سبع كيلات قمح سنوياً. وهي ما كانت تسمى ضريبة الأطين الزراعية، وبالتالي كانت هي ضريبة طبيعية فرضها عمرو على كل من يزرع نوعاً من المحاصيل في الأراضي الزراعية سواء كان مصرياً أو غير مصري. وقد قدرها تقديراً عادلاً ، كما يقال إنه ترك تقديرها إلى أهل مصر ، فهم أدرى بشؤونهم^(٣).

إن ما شرعه عمر من نظام الجباية قد ترك أثراً كبيراً على مقدار الخراج إذ كان أقل بكثير مما كان الروم يجبونه قبل مجيء الإسلام وفتحها، وعندما كتب عمر إلى والي عمرو يستبطنه بالخراج ويلومه على نقصه، جاء رد عمرو غير ما يشتهي الخليفة عمر، لذلك كتب مرة أخرى إلى عمرو يطلب منه أن يرسل إليه رجلاً من أهل مصر ، فبعث إليه رجلاً قديماً من القبط، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام، فقال يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شيء

(١) السيوطي: حسن المحاضرة، ص ١٤٦.

(٢) المقرئزي: الخطط، ص ١٤٦.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٨١.

إلا بعد عمارتها وعاملك لا ينظر إلى العمارة وعندما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريد لها إلا لعام واحد^(١).

وعليه كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يسأل المقوقس عن مصر من أين يأتي عمارتها وخراجها، فكتب عمرو إلى المقوقس قائلاً: "إنك وليتها، فبما تمت عمارتها، فقال: إنها لا تتم إلا بخصال وهي حفر خلجانها، وسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها إلا من غلتها، ولا يقبل مطل أهلها، وتوفي لهم بالشروط، حينئذ تدر الأرزاق على العمال، ولا يرتشوا ويرفع عن أهلها الهدايا، فيكون ذلك لهم قوة، فبذلك عمارتها وتوفر خراجها"^(٢).

ويتضح أن عملية إدارة الضرائب ترتبط بتحديد مواعيد معينة تستحق عندها الجباية، فضريبة الأرض الخراج شكلت مورداً أساسياً في مالية الدولة العربية الإسلامية، وارتبطت هذه الضريبة بالمحاصيل الزراعية لأنها الضريبة المفروضة على الأرض الزراعية وعملياً فإن الفلاح لا يستطيع دفع ما عليه من مواد عينية أو نقدية قبل جني المحصول.

فقد كان يجبي الخراج بعد انتهاء موسم الحصاد لذلك فقد تأخر ولادة مصر في إرسال الخراج إلى دار الخلافة وهذا ما ظهر من رد عمرو بن العاص على الخليفة عمر حين استبطنه الخليفة بإرسال الخراج إلى المدينة فقال عمرو: "أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطني في الخراج ويزعم أنني أعند عن الحق وأنكب عن الطريق، ولكن أهل الأرض استتظروني إلى أن تترك غلتهم، فنظرت للمسلمين فكان الرفق خيراً من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه"^(٣). وبالتالي يتبين بأن عمرو لم يحدد موعداً للجباية وإنما يتم تحصيل الخراج مجرد نضج المحصول وتم حصاده.

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٨٩.

(٢) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٤١.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٧٩.

لقد تم اتباع مبدأ التقسيط في الجباية، فمن خلال أوراق البردي تبين أنه قسّطت قسطين^(١)، ويقال إنها تجاوزت القسطين إلى ستة أقساط، التي شكلت في مجموعها المبلغ العام وكانت المصادر تعبر عن القسط بمصطلح النجوم، ففي أحد المصادر وردت العبارة التالية: "على أن تؤدي خراجك مع نجوم السلطان"^(٢)، بالإضافة إلى التقسيط اعتمد عمرو بن العاص مبدأ التعديل في إدارة الجباية، أي أنه إذا زاد عمران القرية وأهلها زادت الضريبة المفروضة عليهم وإذا قلت أراضيها أو خربت أو نقص أهلها خففت عنها الضريبة، وكانت توزع الضرائب على القرى من خلال نظام الضرائب الجماعية حيث تفرض الضريبة على القرية كمبلغ واحد ثم يقوم عرفاء القرى بتوزيع هذه المبالغ على السكان حسب أملاكه من الأراضي، وتولى عمرو بن العاص مهمة إدارتها والإشراف على الأوامر والتدابير المتعلقة بفرض وجباية الخراج من مقره في القسّطاط، كما اتبع العدل والمساواة في فرضها وجبايتها لحمايتهم من الظلم^(٣).

وقد كانت مصر تمول المدينة بالأرزاق من خلال تلك التي تفرض على أهل الذمة، لأنه وإن كان من الواجب عليهم دفعها على شكل نقود إلا أنه في أحيان كثيرة كان يسمح لهم بدفعها عيناً لاسيما سكان الريف، وكانت المواد العينية هذه تتكون من الخل والزيت والعسل والحنطة والشعير والخردل والكمون والسمن والتمر والزبيب^(٤)، وكانت هذه المواد تشحن من مصر إلى مدينة واقعه على البحر الأحمر من جهة الحجاز تدعى الجار لذلك فقد كان الرزق القادم من هذه المدينة يطلق عليها طعام الجار^(٥)، ومن أجل تخزين المواد في مصر ريثما يأتي موعد توزيعها على مستحقيها فقد أوجد الخليفة دوراً للرزق في الأمصار وعلى رأسها مصر^(٦).

^١ Bill, der islam, 1413, vol3,p.135.

^(٢) (جروهمان (أدولف): أوراق البردي العربي، دار الكتب المصرية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ج ٢، ص ٣٣ - ٣٤.

^(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٠٥.

^(٤) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ٢٧٦ - ٢٧٧، الأزدي: تاريخ فتح الشام، ص ٢٥٦.

^(٥) ابن أنس: الموطأ، ص ٥٣٦، العلي: العطاء، ص ٨٢.

^(٦) (البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٢.

أما فيما يتعلق بالصناعة والتجارة، كانت فقد فرضت الحكومة العربية متمثلة بالخليفة عمر والوالي عمرو بن العاص ضرائب على الصناع والأجراء وتقدر هذه الضرائب بقدر احتمالهم، وقد عرفت هذه الضرائب بالمكوس، ويقال إن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهما، وكان ممن شهد فتح مصر من أصحاب الرسول كان والياً لعمرو بن العاص على المكس في مصر^(١)، كما أن حكومة العرب فرضت ضرائب على التجارة الداخلية في البلاد، وكذلك على التجارة الخارجية، وكانت تجبى من التجار في الثغور المصرية ضرائب مقررة، فالمكس في الإسلام كان عيار عن حق فرض الضرائب على الأسواق أو حق فرض الضرائب التي تجبى من الموانئ والبلاد التي على الحدود المصرية، فحافظ المسلمون على هذا الحق وقربوه من نظام الزكاة أو العشور^(٢).

وكانت هذه الضرائب وغيرها، تجبى كل سنة قمرية وكان المصريون قبل الفتح يعتمدون في الزراعة والحصار وجباية الخراج على السنين الشمسية والشهور القبطية، وقد اضطر العرب إلى تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية، فكانوا يسقطون سنة عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية، وسموا ذلك الازدلاق لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية تعادل اثنين وثلاثين سنة شمسية، وكان الأهالي الذين يدفعون الضرائب يحصلون على إيصالات عرفت باسم البراءة^(٣).

إدارة الجيش وتنظيمه بعد الفتح:

ومن أجل تنظيم إدارة الجيش (المقاتلة في مصر) بعد فتحها اتبع الوالي عمرو التنظيمات الإدارية التي اتبعها الخليفة عمر في المناطق المحررة، والذي كان لا يقاتل جيشاً له أكثر من ستة

(١) المقرئزي: الخطط، ج ٣، ص ٢٢١.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ٣، ص ٢١٨.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٤٤. كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٦٣.

أشهر، كما استحدث نظام الصوائف والشواتي، فاتبع عمرو الأسلوب نفسه في تنظيم مقاتليه في الإسكندرية، فقد كانت المقاتلة تقيم في الصيف ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر^(١).

ومن هذا يمكن التوصل إلى أن الوالي عمرو بن العاص كان ينظر إلى ظروف المقاتل ولاسيما ممن كان متزوجاً، حيث لم يرغب أن يغيب المقاتلين مدة طويلة عن عوائلهم، على الرغم من رغبته الشديدة التي وافقت رغبة الخليفة عمر في التشديد حول توجه العرب نحو القتال والجهاد بالدرجة الأولى.

وكما اهتم الخليفة بظروف المقاتل المعيشية، فإنه اهتم أيضاً بكيفية إمدادهم بالطعام والمؤون وكذلك بأخبار عوائلهم، لذلك اهتم بالخيول لأنها الأساس في إيصال البريد، حيث وجه أمراً إلى عمرو بن العاص وطلب منه أن يترك مساحة من الأرض للخيول التي قدر عددها بحوالي أربعة آلاف فرس كما كانت موجودة في الكوفة، وكان يتواجد نفس العدد في كل مصر من الأمصار^(٢).

وبالتالي ترك عمرو بين المسلمين وبين البحر والحصن فضاء لتعريق دوابهم وتأديبها، وقد أطلق على هذا الفضاء اسم المضمار، فقد أورد معاوية بن حديج قائلاً: (فلما نزل الناس واطمأنت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيؤدبون خيلهم في المضمار)^(٣). وكان عمرو بن العاص يؤكد على رجال القبائل بوجوب الاعتناء بخيولهم محذراً إياهم سيخصم من عطائهم عند مخالفة ذلك، قائلاً: "إني مستعرض الخيل كاستعراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة، حططته من فريضته قدر ذلك"^(٤).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٦٤. ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٣٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٩.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٦٧.

كما أن الخليفة عمر لم يترك، الثغور المصرية بدون أن ينظمها، ولاسيما بعد أن أمر بتنظيم المقاتلة إدارياً، فعلى الرغم من أن العرب استقروا في الفسطاط واتخذوها قاعدة عسكرية لهم ومقراً إدارياً إلا أن الخليفة اتجه إلى الاهتمام بثغرين في مصر من أهم الثغور الأول في الإسكندرية وهو ثغر بحري، والآخر بري في خربتا القريبة من الحدود الصحراوية الغربية للدلتا^(١)، فكان اهتمام الوالي عمر بثغر الإسكندرية لما له من خطر كبير على الفتوح في مصر، كما أنه كان يقع تحت السيطرة البيزنطية قبل الفتح وبالتالي هناك احتمال كبير على قيام الروم بالانقضاض عليهم فجأة من هذا الثغر إذا ما لمسوا أي ضعف.

ولأهمية هذا الثغر لم يكتف الخليفة عمر بذلك وإنما كان يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية ونظراً لوجود بعضاً من الروم فيها، لم يغفلها الولاة^(٢). إن إقامة العرب في ذلك الثغر ولاسيما بين أهالي تلك المدينة كان له دوراً كبيراً في نشر الإسلام بين السكان الأصليين وكذلك أدت إلى تعريبهم، أي ترك ذلك الإجراء الإداري أثراً مهماً من الناحية السكانية والدينية معاً^(٣).

أما الثغر الآخر في خربتا فقد أوجدوا فيه قاعدة عسكرية وذلك لصد أي هجوم بيزنطي محتمل، فسكنت قبيلة مذحج بخربتا واتخذوا المنازل فيها وكذلك شاركهم نفر من حمير من ذبحان^(٤)، أما الجيزة فقد رفضت قبيلة همدان العودة إلى الفسطاط لذلك طلب منهم عمرو الإقامة في الجيزة بصفة دائمة ونزل معها من حالفها ووالاها من القبائل والموالي، وكان ذلك بتوجيه من الخليفة

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٣٠، ص ١٤٢.

(٢) السيوطي: المختار من كتاب حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٦٣.

(٣) (البري) (عبد الله خورشيد): القبائل العربية في مصر، دار الكاتب العربي، د.م، ١٩٦٧، ص ٥٠.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، ص ١٥٨.

عمر: "اجمعهم إليك فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابني لهم من فيء المسلمين حصناً" فعرض ذلك عمرو عليهم فأبوا... فبنى لهم عمرو حصناً في الجيزة في سنة ٢١ هـ / م ٦٤٢م^(١). ويتبين أن تنظيم الجيش عند الفتح كان على أساس قبلي ، فكانت كل وحدة منها عبارة عن قبيلة من القبائل ، وكان لكل قبيلة راية ، وكانت الراية مع زعيم القبيلة، وكان الناس إذا كان فزع خرجوا براياتهم وكان لكل قوم موقف^(٢)، وأكثر ما وضع التنظيم القبلي الذي اتبعه عمرو في إدارة جيشه أثناء الفتح، عندما قال بعد أن وصل هجوم المسلمين على حصن بابليون ذروته^(٣) : "يوم لمهران ويوم للصدف والمنجنيق في بلى تختلف".

أوجد الخليفة عمر بن الخطاب ديواناً للعطاء رئيسياً في المدينة كانت مهمته توزيع الأموال على الرعية والعاملين في مختلف أجهزة الدولة، وإلى جانب هذا الديوان وجدت دواوين فرعية في كل الأمصار وخاصة مصر وكان الهدف من هذا الديوان هو أن يتسلم المسلم عطاءه من بلده المجاهد فيه، بدل من التوجه إلى المدينة عاصمة الخلافة، وأصبح المسؤول عن كل ديوان والي مصر، وهو المسؤول عن إيصال العطاء إلى أصحابه في ولايته، كما كان عمر يول العطاء لأصحابه في المدينة وحولها^(٤).

وقد قدم ديوان العطاء الذي أوجده عمر لأول مره في تاريخ الدولة العربية الإسلامية أول احصائية شاملة ليس للمسلمين فحسب، وإنما لرعايا المسلمين عندما قدم لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن القبط العطاء^(٥).

ويظهر أن ديوان العطاء في مصر اختلف عن باقي دواوين الأمصار، لأن أغلب المشاركين في فتوح مصر كانوا ممن انضم إلى الجيوش الإسلامية بعد فتح مكة، وربما منذ زمن الخليفة عمر

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٦.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٤٤. البري: القبائل العربية، ص ٢٢٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب. ص ٣١.

(٤) الطماوي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص ٣٠٩.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٣٦ - ٤٥٦.

ابن الخطاب، وكان لابد من وضع قواعد تلائم الأوضاع الجديدة، منها تاريخ الانضمام إلى المقاتلة، والبسالة والاعمال البارزة في المعارك والحروب، والمكانة المتميزة، وقد أشارت المصادر إلى بعض القواعد التي اتبعت في العراق، وأبرزها تمييز أهل الأيام ممن شارك في مقاتلة الفرس قبل معركة القادسية، ويتلوهم من شارك في معركة القادسية، ومن انضم إلى الجيوش العربية الإسلامية بعدها، كما سلف الذكر في بحث العراق.

غير أن المصادر لم تذكر القواعد الخاصة بتنظيم ديوان المقاتلة في مصر، خلا الإشارة إلى الأمداد، وإلى العدد الكلي للمسلمين في ديوان مصر في زمن معاوية بن أبي سفيان^(١).

فقد كان لكل قبيلة عريف خاص بها، حيث ترد إشارة إلى أن عمرو بن العاص جعل لكل قبيلة محرساً وعريفاً^(٢)، كما سلف القول فكان للصدف عريفاً ولقبيلة حضرموت عريفاً، وقد ورد ذلك لدى ابن عبد الحكم أنه لما استقرت الصدف عرف عليهم عمران بن ربيعة فأقام عريفاً سنين^(٣)، وذكر أن الملامس بن جذيمة عريف حضرموت يدعون له الأشياء والحرث حتى كان زمان معاوية بن أبي سفيان، وبالتالي كانت القبيلة لا العشيرة تشكل في النظام الإداري في مصر وحدة مالية وعسكرية في ديوان مصر، عليها عريف يتولى مهمة تسلم العطاء وتوزيعه على الأفراد^(٤).

وأعطى الخليفة عمرو بن العاص صلاحية تعيين عريف لكل قبيلة يهتم بشؤونها المالية والعسكرية^(٥)، وكان من الطبيعي أن يكون لعريف القبيلة في مصر مكانة سامية، ففي الإسكندرية مثلاً كان العرب يتناوبون المراقبة كان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه^(٦)، وكان العريف يتمتع في قبيلته بسلطات واسعة وكان في الغالب سيداً وشريفاً في قومه فعندما

(١) العلي: أهل الفسطاط، ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) اليعقوبي: البلدان، ص ١٦٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٠.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥١.

(٥) اليعقوبي: البلدان، ص ١٦٩.

(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٧. البري: القبائل العربية، ص ٢٣٣.

حدث سوء تفاهم بين الملامس بن جذيمة عريف قبيلة حضرموت في مصر ومسلمة بن مخلد الأنصاري، فاعتزم الانتقال بقبيلته إلى فلسطين دون الرجوع إليها^(١).

اتبع الخليفة عمر بن الخطاب سياسته الإدارية تجاه ولاية مصر أي عمرو بن العاص، حيث اتبع معه سياسة المحاسبة، عندما علم بزيادة أموال عمرو أرسل إليه محمد بن مسلمة ومعه كتاب: "أما بعد فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبتم الحرام وأكلتم الحرام وأورثتهم الحرام وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري ليقاسمك مالك فأحضر مالك وإلا سلام"^(٢).

وبالتالي عاقب الخليفة عمر ولاته مهما بلغت مكانة أحدهم أو درجته، ومهما كانت شخصيته ومنزلته ولو كان من كبار الصحابة، كما أنه اتبع هذا الإجراء بإجراء إداري آخر حيث كتب: "من كان له مظلمة عند أحد من الولاة فليقم"^(٣).

لم يقم إلا واحد من الرعية فقال يا أمير المؤمنين عاملك ضربني مائة سوط فقال عمر تضربه مائة سوط؟ فاستقد، وهنا حاول عمرو بن العاص أن يمنع ذلك حتى لا تكون سنة يؤخذ بها من بعده فقال عمر: ألا أُقيدُ منه وقد رأيت رسول الله يقيد نفسه ثم فاستقد منه"^(٤).

أما إدارة القضاء في مصر: ولما تولى الخليفة عمر الخلافة كان الإسلام قد ازداد وانتشر، واختلط العرب بغيرهم من الأمم، فدعت الحاجة إلى نظام تشريعي لفض المشاكل التي قد تنشأ بين العرب الفاتحين وسكان البلاد المفتوحة، أو بين العرب أنفسهم، أو السكان الأصليين أنفسهم، ففضى بتعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في فض هذه المشاكل طبقاً لأحكام القرآن والسنة والقياس، فولى الخليفة عمر عثمان بن قيس بن أبي العاص على مصر^(٥). وكان الخليفة قد

(١) البري: القبائل العربية، ص ٢٣٣.

(٢) العدوي: النظم الإسلامية، ص ٢٠٧.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ١٢٩.

(٤) أبو يوسف: الخراج، ص ١٢٩.

(٥) الشنقيطي (أحمد بن خضر): ولاية القضاء، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: د. أبو الحمد أحمد موسى، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ١٣٩٧هـ، ص ١٩.

وضع دستوراً للقضاء يسيرون عليه في تنفيذ الأحكام وما كتبه يعد أساس علم المرافعات في القضاء^(١).

فقد عين عمر بن الخطاب كعب بن ضبة العبسي قاضياً على مصر بعد تحريرها^(٢)، وكان سبب تعيينه هو خبرته في مجال القضاء لأنه كان حكماً قبل الإسلام^(٣)،

وكان الهدف من ذلك هو الاستفادة من خبرته وتجاربه وعلمه^(٤)، وعندما رفض أرغمه الخليفة عمر على القيام بمهامه إذ لا يجوز حسب إدارته أن يرفض طلبه بل عليه السمع والطاعة فبقي كعب في منصبه حتى أعفاه الخليفة من القضاء^(٥).

وبالتالي كان تعيين القضاة في مصر وعزلهم من اختصاص الخليفة عمر وليس من اختصاص الوالي، ولكن في مصر طبقت الشريعة الإسلامية على العرب المسلمين حيث أعطى الخليفة عمر للقضاة العرب حق الفصل في منازعات أهل مصر كلها في المسائل الجنائية، أما أهل الذمة ومسائلهم المدنية والدينية فقد تركت إلى أهل دينهم إلا إذا رغبوا أن يفصل بينهم أحد القضاة المسلمين^(٦).

(١) (الذهبي) شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٧٤٨هـ / ١٠٣٨م): تاريخ الإسلام، تحقيق: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ط ٢، ج ١، ص ٤٨٤ - ٤٨٦.

(٢) وكيع: أخبار القضاة، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٣) الكندي: الولاة، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٤) مشرفة (عطية مصطفى): القضاء في الإسلام، شركة الشرق الأوسط، مصر ١٩٦٦م، ط ٢، ص ١٣٩.

(٥) الكندي: الولاة، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٦) مشرفة: القضاء في الإسلام، ص ١٤٠. مارسيل: مصر منذ أن فتحها العرب إلى أن حكمها الفرنسيون، باريس ١٨٤٨م، ص ٢٠.

حاول الخليفة عمر قدر الإمكان إرساء أسس النظام القضائي، فجعل القاضي مستقلاً في أحكامه عن سلطة الوالي في مصر في حين أنه ترك الأمور كما هي في كل من الطائف ومكة واليمن والبحرين، فعلى خلاف مصر جمع السلطة القضائية وشؤون الوالي بيد العامل أو الوالي^(١).

وعلى الرغم من جعل القضاء مستقلاً عن الوالي إلا أنه جعل القاضي في مصر تابعاً له مباشرة، حيث كان يقوم بتعيينه بنفسه، فكتب إلى عمرو بن العاص في مصر أن يولي فلاناً القضاء عنده، كما كان يرسل القضاة ويراسلونه فيما إذا أشكل عليهم ويسألونه بعض الأحكام وتفسيراتها وكان يجيب بما يتخذونه وما يسلكونه من طريق^(٢).

ومن أجل مساعدة القضاة في أداء مهمتهم بشكل أفضل أوجد الخليفة عمر بعض الوظائف الإدارية التي شكلت مع القضاء دوراً مهماً في تحقيق العدالة، ومنها وظيفة العسس والشرطة، ووجه إلى ولاته في الأمصار وخاصة مصر بأن يوجدوا الشرطة، فهذا عمرو بن العاص كون جهازاً للشرطة تسلمها خارجة بن حذافة، وكان يعمل تحت يده مجموعة من الرجال بأيديهم السياط^(٣).

إن استحداث الخليفة عمر لمثل هذه الوظائف الإدارية ساعد على ضبط المجتمع، والتعرف على مشاكله وعلى احتياجات أفراد، ولا سيما أنه كان مجتمعاً بسيطاً خالياً من التعقيد، خاصة أن الفتح كان ما يزال في بدايته.

كما أن إدارة الوالي عمرو بن العاص لمصر وما شرعه بتوجيه من الخليفة أو بمبادرة منه قد ضمن له مجتمعاً تميز بالعدل نوعاً ما إذا ما قورن بالنظام الإداري والتشريعي الذي كان سائداً في مصر قبل الفتح.

(١) جاسم: التنظيمات الإدارية في عهد الخليفة عمرو، ص ٢٤٨.

(٢) الكندي: الولاة، ص ٢١٨. جاسم: التنظيمات، ص ٢٤٨.

(٣) الذهبي: تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٦١٨. فهد: عمرو بن العاص، ص ٧٠.

خاتمة

الخِلافةُ الرَّاشِدةُ، أو الخِلافةُ الرَّاشِديَّةُ، أو دولةُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، هي أولى دُولِ الخِلافةِ العربيةِ الإسلاميَّةِ التي قامت بعد انتقال نبي الإسلام مُحَمَّد بن عبد الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ضحى يوم الاثنين في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، المُوافق ٧ حزيران سنة ٦٣٢م في بيت زوجته عائشة بنت أبي بكر بالمدينة المنورة، وله من العمر ٦٣ سنة، وقد خلف ذلك وضعيَّة خاصَّة ذات ملامح مُتفردة ومُصيريَّة، حيث برز وبشكل مباشر مسألة الحفاظ على إنجازاته من إدارة وتشريع، وبالتالي مسألة خِلافته، وساهمت غيبته في إبراز الطابع الدُنيوي للأحداث، حيث أخذت المصالح الاجتماعيَّة للقبائل المُختلفة التي ما زالت ضمن الأطر العربية الإسلاميَّة، تُعبِّر عن نفسها بأشكالٍ مُباشرةٍ وصريحةٍ تتلاءم مُباشرةً مع محتواها.

توالى على حكم الخِلافةِ الرَّاشِديَّةِ أربعة خُلَفَاء من كبار الصحابة، وجميعهم من العشرة المُبشرين بالجنَّة، إلا أن التشريعات والإدارة التي أعقبت الفتوحات لبلاد الشام والعراق ومصر كانت في حقبة الخليفة أبي بكر الصديق والخليفة عمر بن الخطاب، حيث أخذت القبائل العربيَّة تتوطن في الأراضي المفتوحة وتعمل على نشر الإسلام بين أهلها، فأصابَت في ذلك نجاحاً كبيراً حيث اعتنقت الأغلبية الساحقة من أهالي تلك البلدان الإسلام خلال السنوات اللاحقة، وقد برز في تلك الحقبة أسماء عدد من القادة العسكريين الذين شغلوا منذ ذلك الحين مكانة مرموقة في عالم الفاتحين، ومنهم: خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وسعد بن أبي وقاص، وكان اتساع الدولة سبباً في جعل العرب المسلمين يقتبسون لأول مرة النظم الإداريَّة الموجودة على الأرض، فاتبعوا التنظيمات والتقسيمات الإداريَّة البيزنطيَّة والفارسيَّة وأبقوا على بعضها كما هو، وأدخلوا تعديلاتٍ وتشريعات على أخرى لتتناسب مع الدولة العربية الإسلاميَّة والظروف المُعاصرة.

ومن الأمور المسلم بها أن الحياة الإداريَّة والتشريعيَّة تشكل جانباً مهماً من جوانب الحضارة العربية الإسلاميَّة وعلى الرغم من ذلك فكلمة إدارة لم ترد في قاموس اللغة العربية على عكس التشريع، فالإدارة والتشريع في القبيلة العربية تأتي حسب الأعراف والعادات الاجتماعيَّة، ولتلبى حاجة بسيطة في تلك القبائل، ولم تتطور لنظام إداري وتشريعي واضح المعالم.

وفي عصر هذين الخليفين تطورت الحياة الإدارية والتشريعية في كل ولاية وجند لانتساب والحاجة المرجوة منها، وذلك بعد أن ظهرت ملامح هذه الإدارة في فترة الرسالة من خلال نظام النقباء الذي وضعه النبي (ﷺ) والذي أوجد لأول مرة التسلسل الهرمي في المسؤولية، وإقرار مبدأ التقويض والإنابة.

وضع الرسول (ﷺ) أسس الدولة وأركانها في المدينة المنورة، وجاء بعده الصديق فعمل جاهداً لتوطيد أركان الدولة العربية الإسلامية، فأدار وشرع في الجهاد ضد المرتدين، إلا أن مدة خلافته كانت قصيرة ولم يدخل في تطور إداري وتشريعي متميز، أما حقبة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فجاءت خلافته بعد أن اتسعت الفتوحات، وشملت حضارات وأوضاعاً لم تعرف من قبل، فكان لا بد من وضع أسس إدارية وتشريعية جديدة مستلهماً ذلك من الديانة العربية الإسلامية وبشكل يحقق للأمة مصالحها، ولينتقل التطور في نظامي الإدارة والتشريع في كل ولاية وجند من المسجد الذي اعتمده الرسول (ﷺ) إلى مقر الخليفة والوالي، فكانت الإدارة والتشريع ذات صبغة مركزية في الكثير من الأحيان وصبغة لا مركزية مراعاة لحسن إدارة الأمصار البعيدة، كما اتبعت دولة الخلافة الراشدة أسلوباً مميزاً في الإدارة والتشريع، فاعتمدت مبدأ التخطيط ورسم الأهداف وتقسيم العمل بين الصحابة، وتم وضع أسلوب الإدارة والتشريع الذي ينظم أمور الدولة المتوسعة في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.

فتوسع الدولة العربية الإسلامية بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، كان وفق خطة وضع أسسها (ﷺ)، وتم الاعتماد على العرب المسلمين من أهل الجزيرة كأداة أساسية في تحرير بلاد العرب في بلاد الشام والعراق والمغرب العربي، حيث اعتمد الخلفاء على أهل الثبات من العرب المسلمين أثناء حروب الردة، ثم سمح لجميع العرب بالمشاركة في الفتوح وإدارة البلاد المحررة.

تولى العرب المسلمين من سكان الجزيرة العربية الخلافة في دولة المدينة المركزية بعد انتقال الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى وحصر منصب الخلافة في قريش وفق طرق مختلفة تباينت وأسست لخلافات كبيرة كان لها أثرها البارز فيما بعد، كما تولى رجال قريش من الأنصار والمهاجرين الذين خرجوا إلى البلاد المحرر في عمليات الفتوح عمليات تنظيم الإدارة والتشريع،

إن كان ذلك في السياسة أو في المقاتلة، وكانوا جميعاً يسيرون بهدية الدولة المركزية في المدينة ويراعون توجيهاتها، ولاسيما أن أكثرهم من الصحابة والتابعين، ممن لهم صلات وثيقة بالرسول (ﷺ) ومعرفة واسعة بتوجهاته، وحس فطري في اختيار أنجع السبل في الإدارة والتشريع بهدف إرساء أسس الدولة العربية الإسلامية، ونشر النظام والاستقرار، وكانت عنايتهم الأولى موجهة للعرب الذين يقومون بتوسيع الدولة، وتأمين الاستقرار فيها، فوضعوا تنظيمات خاصة تلائم الأحوال السائدة في تلك الحقبة المبكرة، كما راعوا فيها حاجات المجتمع العربي وطبائع أفرادها والحس الفطري بما يناسبها، وتجلت هذه التنظيمات في الأجناد والأمصار التي أنشأوها لتكون قاعدة لاستقرار المقاتلة العرب، ومراكز لإدارة الأقاليم، وكان عدد هذه الاجناد والأمصار في البداية محدداً، وأغلبها في على اتصال بالجزيرة العربية وبأهلها.

اقتضت الأحوال القائمة في الدولة العربية الناشئة في البلاد المحررة في بلاد الشام والعراق ومصر، إقامة قواعد للمقاتلة العرب في مناطق بعيدة عن جزيرة العرب لتكون مستقراً، ونظراً لأن أهل هذه القواعد من العرب، فقد طبقت عليهم النظم التي أقيمت في الأمصار الأولى، وكانت هذه النظم بسيطة في تركيبها، وطيدة في أسسها.

وقد حرص ولاية الإدارة والتشريع على مراعاة النظم الإدارية القديمة، وقللوا من التدخل في تبديلها، فظلت قائمة أمداً لا بأس به، وتوافرت عنها معلومات واسعة بفضل ما كتب أو ما أشار إليه أهلها عندما ازدهرت الحركة الفكرية، والواقع إن هذه الأمصار احتفظت بمكانتها المتميزة وازدهارها قروناً طويلة، وكانت نظمها واضحة للقائمين على الدولة الذين عملوا على تثبيت مكانتها وتعميمها بمسمياتها وماهيتها، وفي هذا كان الإسهام الأكبر للعرب.

وقد امتازت الحقبة الراشدية الأولى بالفتوحات العربية الإسلامية الكبيرة، حيث شملت بلاد الشام والعراق ومصر، وقد أدى هذا الأمر إلى اتصال الإسلام بحضارة الروم البيزنطيين التي كانت سائدة في بلاد الشام ومصر، وبحضارة الفرس التي كانت سائدة في بلاد فارس والعراق، وتميزت هذه الحضارات بنظم وتقاليدها في شؤون الإدارة والمال والزراعة وأمور الحرب لم تكن معروفة عند

العرب، كما أن تطور النظم الحياتية وما يتعلق بها من حيث التشريع الإسلامي لإيجاد تنظيمات إدارية وتشريعية تنظم العلاقات الاجتماعية في الدولة العربية الإسلامية بعد فتوحاتها الواسعة.

ومن المفيد ذكره أن العرب المسلمين واجهوا هذه التطورات بتشريعات تناولت مختلف جوانب الحياة في سبيل إرساء قواعد الحق والعدالة للمجتمع، وقد بدأ الفقه بأخذ طريقه نحو التطور أيضاً فصدرت على أساس ذلك وعلى ضوء تعاليم الرسالة والتشريعات المختلفة سواء ما تعلق فيها بالحياة العملية، أو ما تعلق بالمسائل الدينية.

وقد فرضت الضرورات العملية استعمال الرأي في هذه الحقبة في مسائل معينة بالاعتماد على الاجتهاد بالرأي المستوحى من تعاليم القرآن والسنة النبوية، وما يحقق مصالح الناس ويتناسب مع أعرافها.

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه، كان أول من تولى الخلافة بعد انتقال الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، كما أقدم على مقاتلة من امتنعوا عن أداء الزكاة من المسلمين وفرقوا بين الصلاة والزكاة، وأتخذ بيتاً يحفظ فيه ما تبقى من أموال الدولة.

أما الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد توسع في الأخذ بالرأي، وبحث عن حكم المسائل في الكتاب بنصه الظاهر ومعناه الباطن، وفيما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد عرف عنه اتباع مشاورة كبار العلماء من الصحابة في الأخذ بالأحكام المهمة واتباع أمر القياس والمصلحة العامة لأمر المسلمين، فيأمر بنزع الملكية للمصلحة العامة، ويأبى الصلاة في الكنيسة كي لا يتخذها المسلمون مسجداً حرصاً على احترام العقيدة الدينية لغير المسلمين.

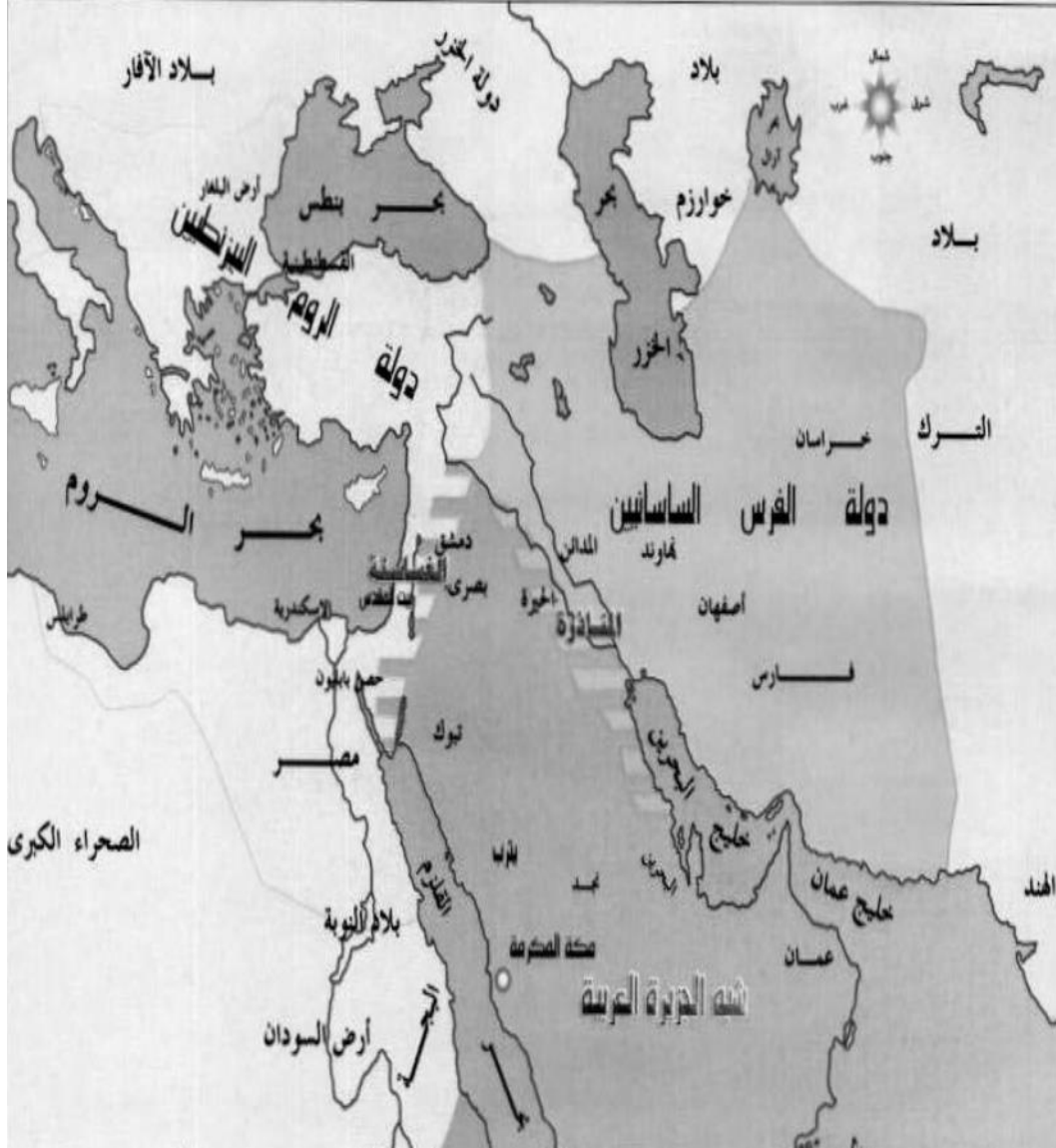
ويجتهد بالرأي في مسألة الغنيمة والفبيء، فقد كان العمل في عصر الرسول وحقبة الخليفة أبو بكر يجري على أساس تقسيم الغنيمة إلى أربعة أخماس للغانمين، والخمس الباقي يعود للدولة، أما الفبيء فكان يرجع كله للدولة ويوضع في ذمة المسلمين وتحقيق مصالحهم.

وبعد اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية كان من رأيه عدم تقسيم الأرض بين الغانمين وتركها في أيدي أصحابها وفرض الخراج عليها من أجل مصلحة المسلمين العامة، لأن هذا الأمر أصلح لإحيائها ودوام ريعها.

وقد اتسم التشريع الفقهي بالواقعية ولم يرقم على افتراض الوقائع والتخيل حيث بدأ الاجتهاد يحتل مكانة بارزة في مجال استنباط الأحكام الفقهية، أضف إلى ذلك ظهرت التنظيمات الإدارية والتشريعية العربية الإسلامية حيث بدأت تنشأ لسد الحاجات التي تظهر في المجتمع فتدفع الخلفاء والولاة إلى ابتداع الوسائل والأساليب لمعالجة هذه الأوضاع والحاجات الإدارية، مع مراعاة الأحوال السائدة عند بدء تطبيق هذه النظم ومدى نجاحها في تحقيق أغراضها.

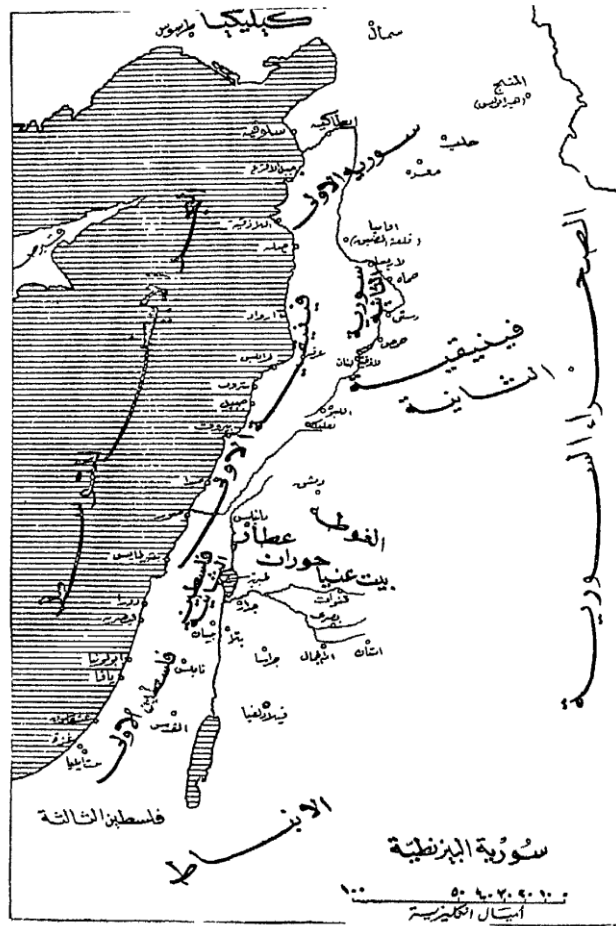
لذا يمكن القول إنه وُجد نظام إداري وتشريعي أدخل الناس في ظله -بدياناتهم المختلفة- بدائرة العدل ودون ضغط لتغيير دينهم ودون تفريق، بل الناس كلهم أمام القانون الإسلامي سواء، ولا تفاضل إلا بالتقوى، وظهرت في الحقبة أمة عربية إسلامية لا تجمعها الأعراف والأنساب ينضم إليها من يدين بمقوماتها، فأدى هذا إلى بروز قيادات إدارية وتشريعية من كل الأجناس، وتمتعوا بالمكانة العالمية، فالفتوح أعلنت وبشكل واضح عن ميلاد أمة جديدة استفادت من كل ما انتجته البشرية عبر القرون في قالب يجمع في بوتقته إدارة تشريعية لا تفصل بين الدين والدنيا بل تجمعهما بطريقة فريدة، ليؤسس لتراث إداري وتشريعي لا يمكن الاستغناء عنه فيما بعد.

- الخرائط



خريطة توضح الوضع السياسي قبيل الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام

أبو خليل (شوقي): أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٥م، ص ٤٣.



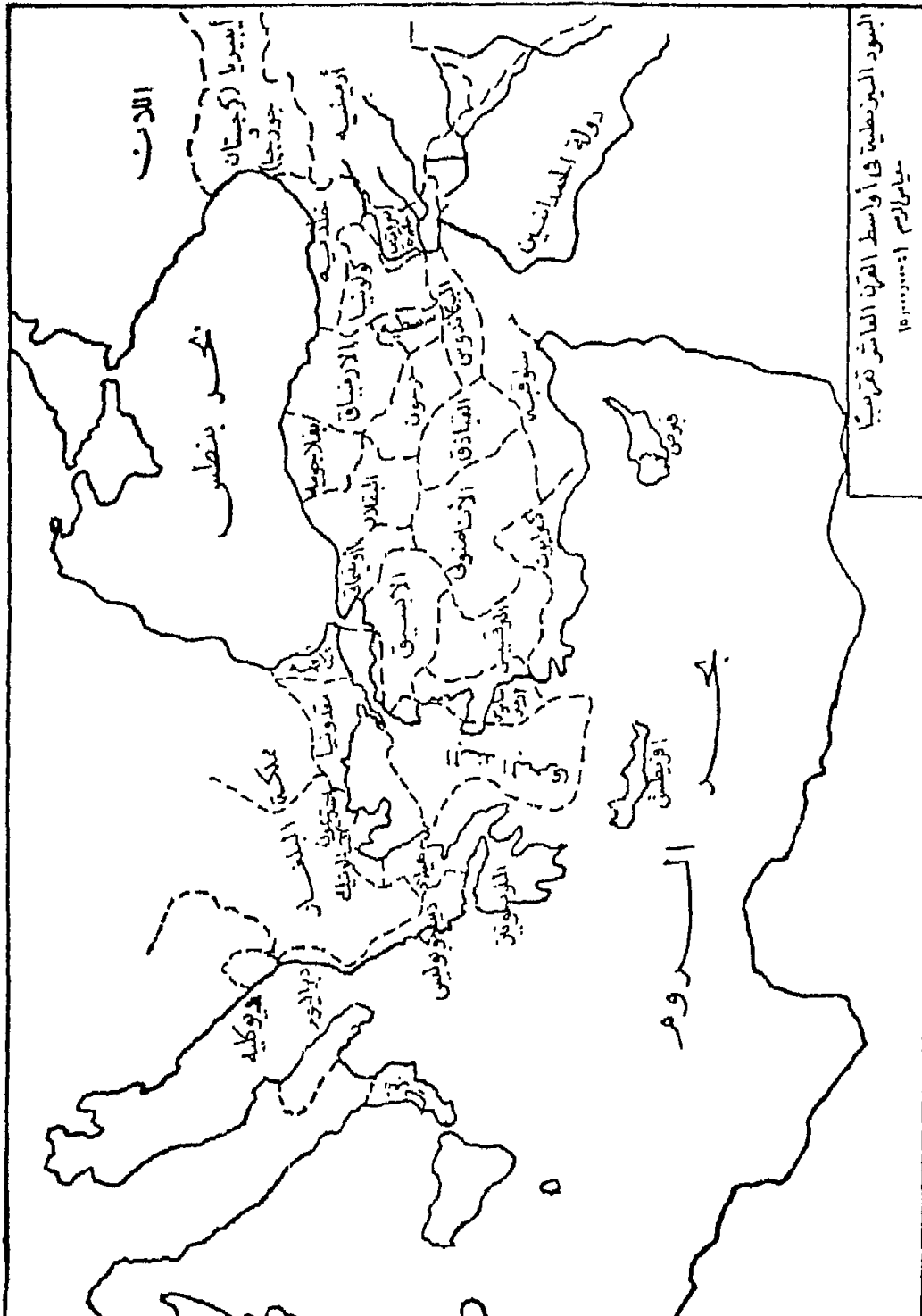
خريطة عن سورية البيزنطية

خماش: الشام في صدر الإسلام، ٤٢٧.

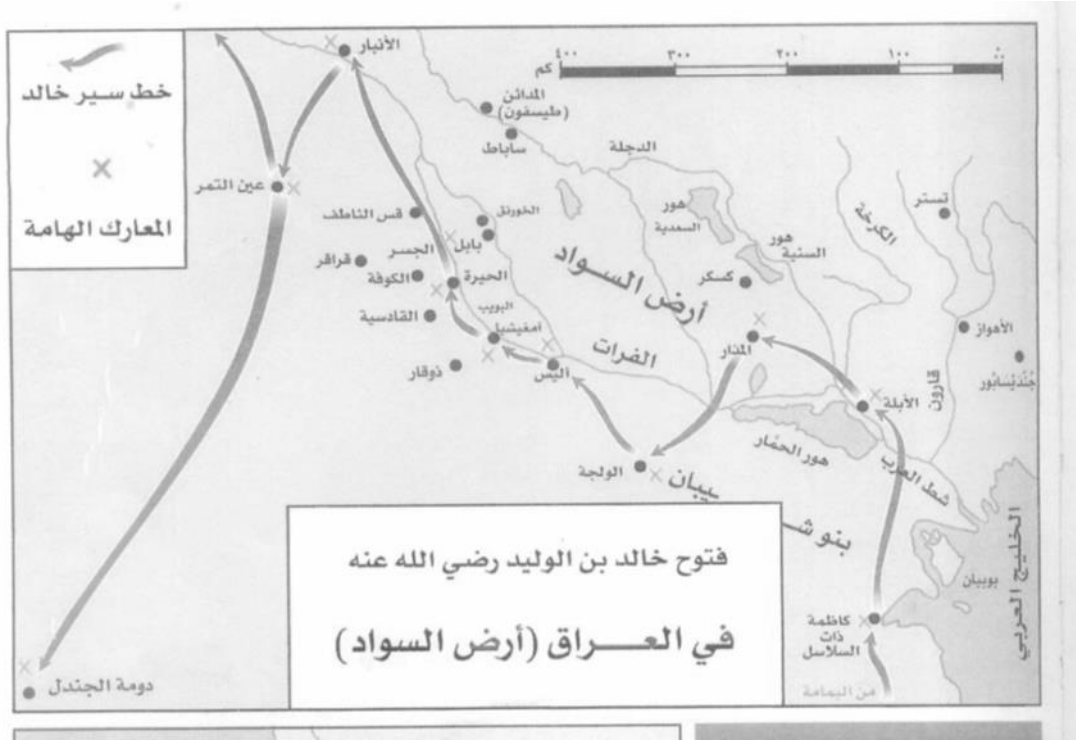


خريطة توضح بلاد الشام بعد الفتح

خماش: الشام في صدر الإسلام، ص ٤٢٨.

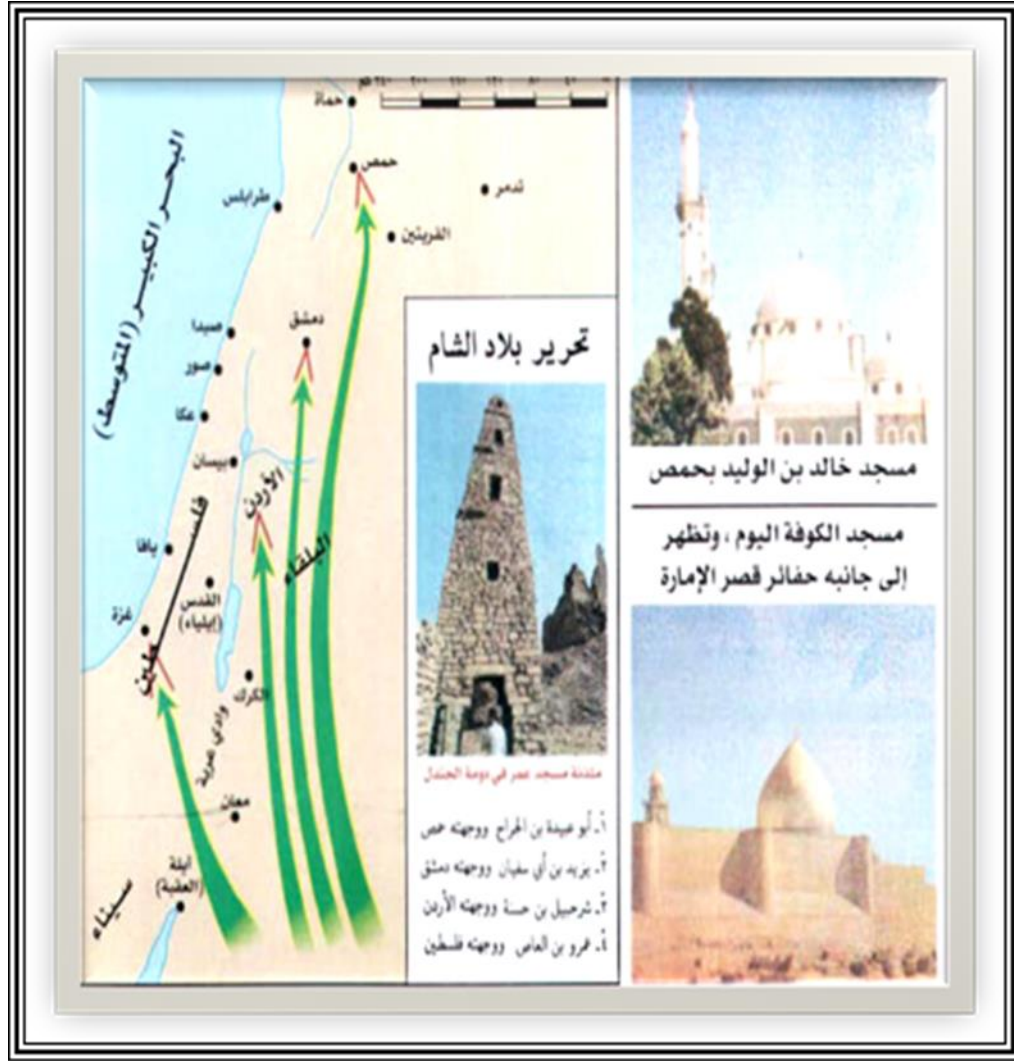


خماش: الشام في صدر الإسلام، ص ٤٣١.



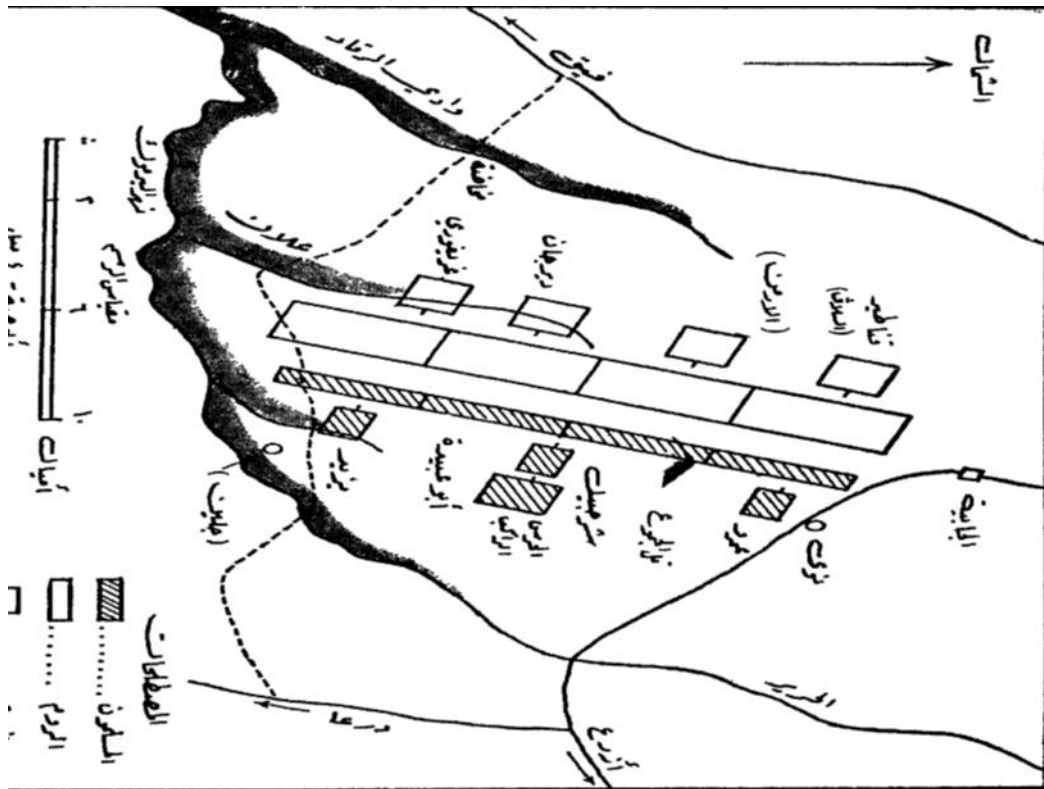
• خريطة توضح ما قام به خالد بن الوليد من فتوح في العراق

محمد فرج (أببارك): تطور نظام ملكية الأراضي في الإسلام، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، اشراف: د. يحيى محمد إبراهيم، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٧م، ص ٢٨٦م.



خريطة توضح وجهة قادة جيوش الفتح نحو بلاد الشام

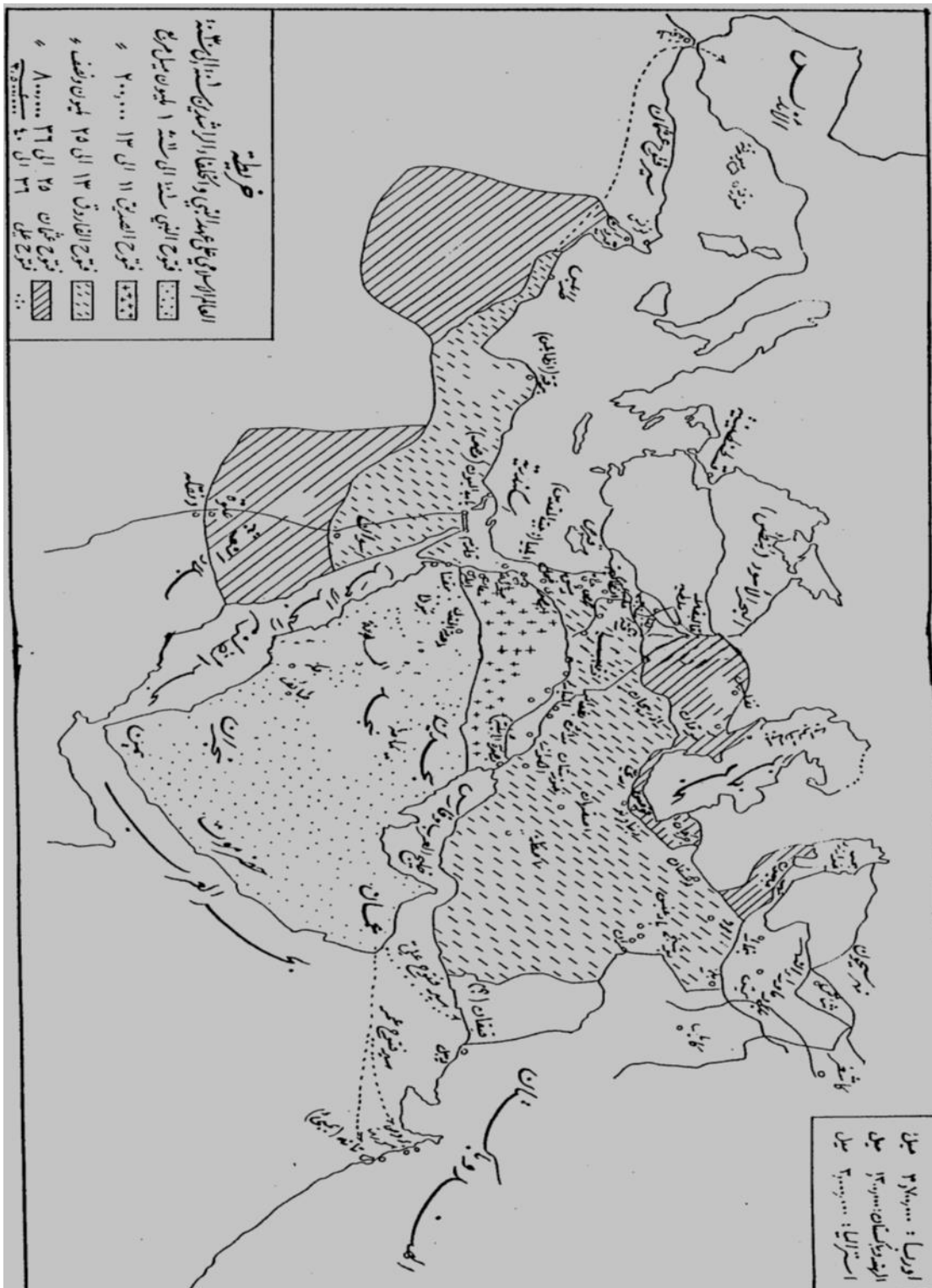
الشنينور (إبراهيم علي): الفتح العربي الإسلامي لجنوب بلاد الشام من الناحية العسكرية، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١١م، ص ٢٤٢.



صورة توضح تراتيب القتال في معركة اليرموك

أ. أكرم: سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة: العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة،

١٩٩٤م.



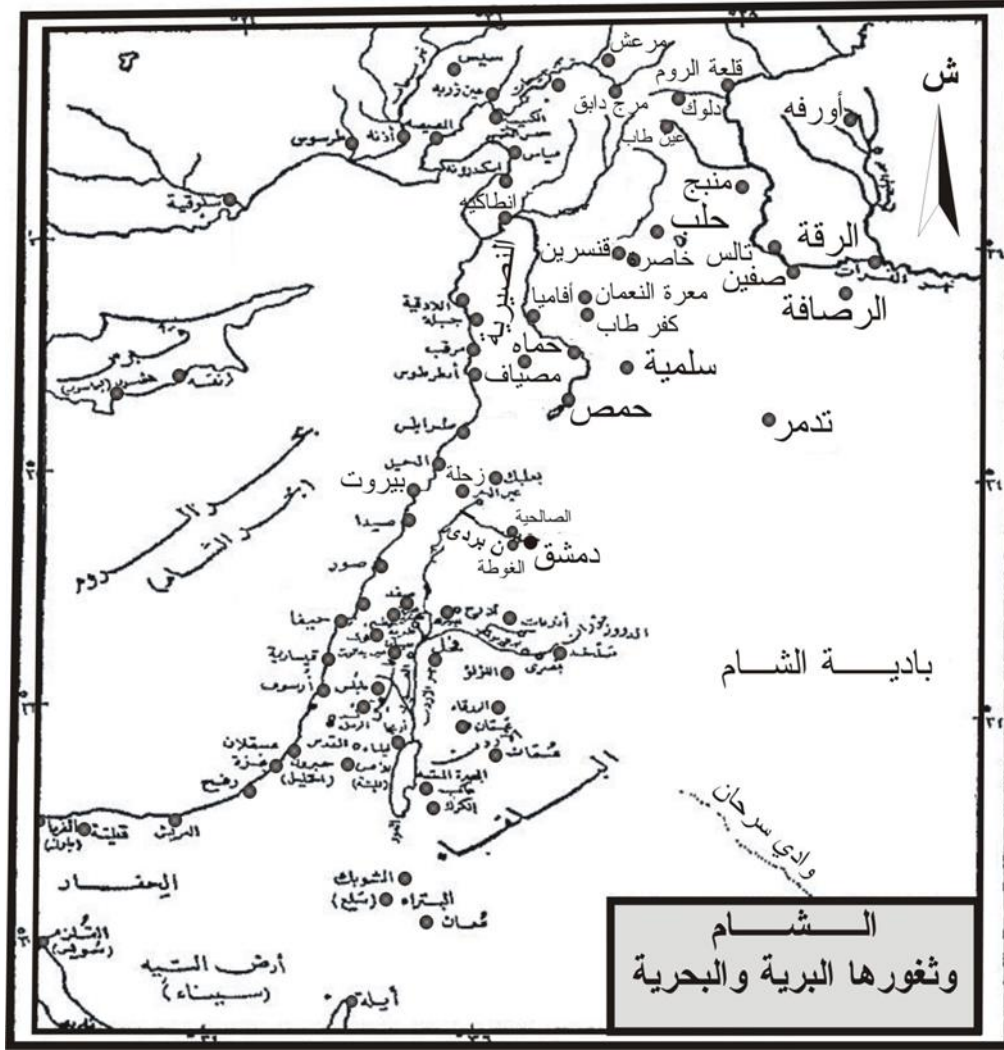
مصور يوضح توسع العالم الإسلامي في عهد النبي والخلفاء الراشدي.

العمرى (عبد العزيز ابراهيم): الفتوحات الإسلامية عبر العصور، ٤٣٤.



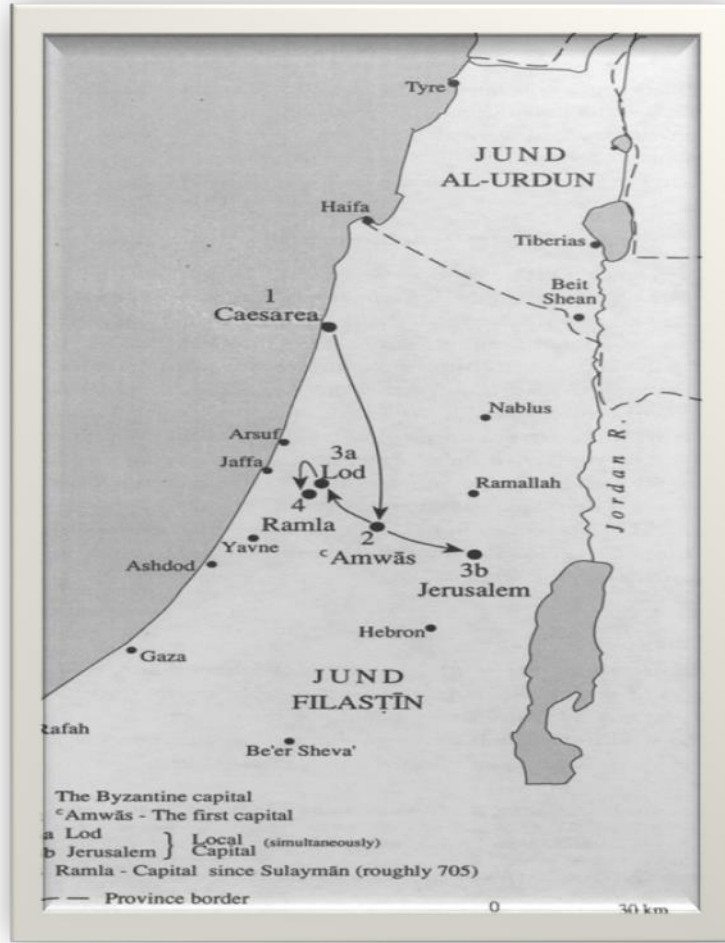
خريطة توضيحية : توضّح خطّ سير الفتوح على خط الساحل ، ومن قام بفتح المدن الواقعة على هذا الشريط، وفي أيّ عام تمّ فتحها.

انظر: التدمري (عمر عبد السلام): لبنان من الفتح حتّى سقوط الخلافة الأمويّة، ص ٢٥٣.



خريطة توضيحية: توضح أهم العواصم والثور البرية والبحرية في العصر الأموي، والتي لقيت اهتماماً كبيراً من قبل العرب من أجل الوقوف في وجه أعدائها.

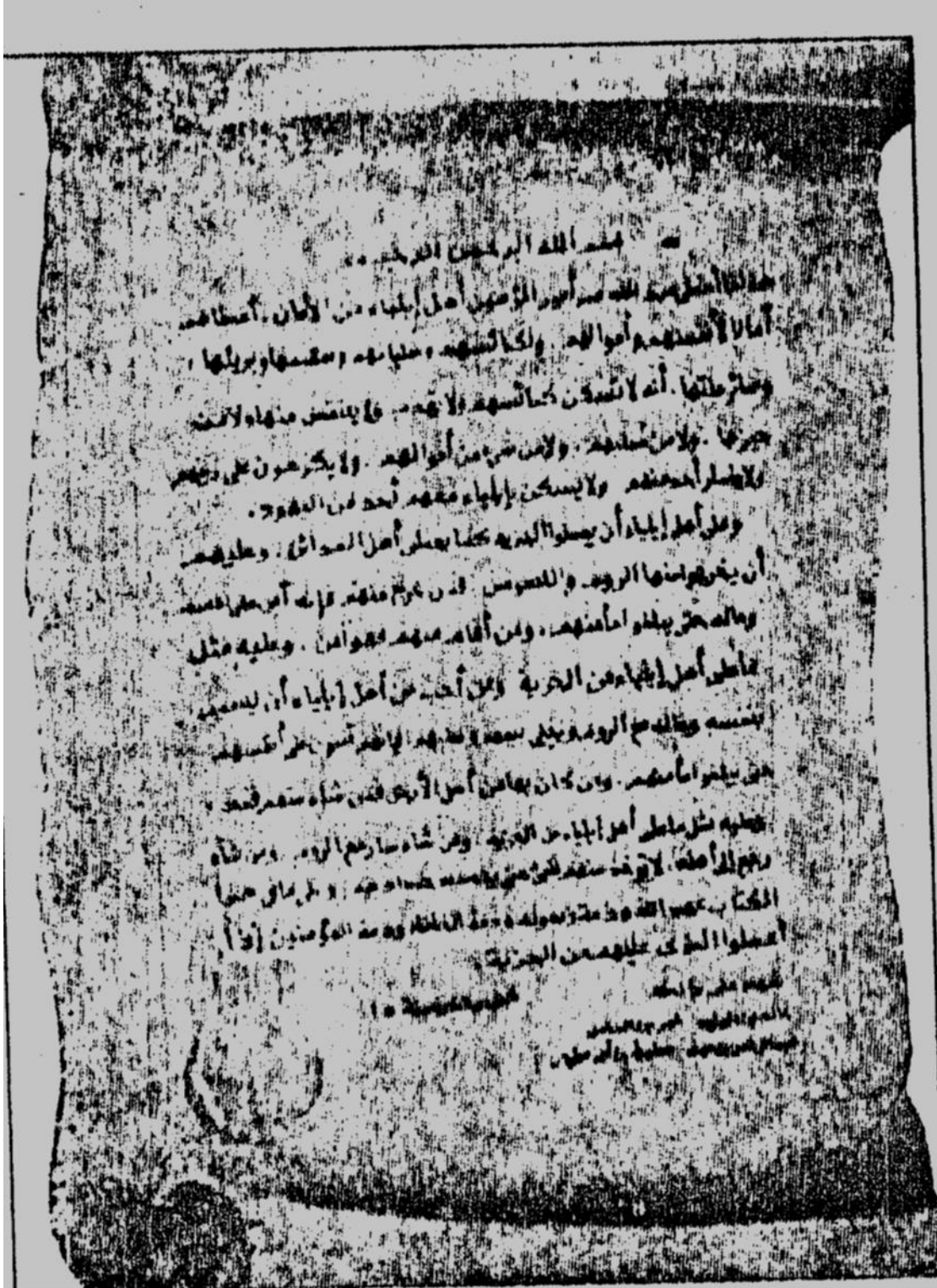
خماش: الشام في صدر الإسلام، ص ٤٢٩.



خريطة توضح أهم المدن التابعة لجند فلسطين (رفح، غزة، أشدود ،يافا، أرسوف، الرملة، القدس، وغيرها).

Nimrod, Luz The Construction of an Islamic City in Palestine. The Case of Umayyad al-Alma, P.32.

الملاحق:



نص الوثيقة

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم.
- ٢ - هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان أعطاهم
- ٣ - امانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها .
- ٤ - وسائر ملتها . لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من .
- ٥ - حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم .
- ٦ - ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .
- ٧ - وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم .
- ٨ - أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه .
- ٩ - وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل .
- ١٠ - ما عهلى أهل ايلياء من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير .
- ١١ - بنفسه وما له مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم .
- ١٢ - حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد .
- ١٣ - وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء .
- ١٤ - رجع الى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحمد حمادهم وعلى ما فى هذا .
- ١٥ - الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا .
- ١٦ - اعطوا الذى عليهم من الجزية .
- ١٧ - شهد على ذلك كتب وحضر سنة ١٥
- ١٨ - خالد بن الوليد عمرو بن العاص .
- ١٩ - عبدالرحمن بن عوف معاوية بن أبى سفيان .
- ٢٠ - عمر بن الخطاب

مخطوطة العهدة العمرية ، وصورة توضح أهم بنود فتح القدس وهي عبارة عن وثيقة وقعها الخليفة عمر مع سكان القدس،

الزيان (رمضان اسحاق): روايات العهدة العمرية، دراسة توثيقية، مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٤، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٦م، ص ١٦٩ - ٢٠٣

خالد بن الوليد: ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو سليمان المخزومي، ويقال له سيف الله، وأمه عصماء، وهي لبابة الصغرى، بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث، وكان من أولاده عبد الرحمن، كان عظيم القدر في أهل الشام، شهد مع معاوية صفين، وقد أسلم خالد يوم الأحزاب، وقيل هاجر بعد الحديبية هو وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة، فقال الرسول حين رآهم "رمتكم مكة بأفلاذ كبدها"، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، وشهد معه فتح مكة، كما كان في مقدمة الرسول يوم حُنين، وحضر مؤتة، فلما قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، مال المسلمون إلى خالد بن الوليد، فانحاز بهم، فغيرهم المسلمون حين رجعوا المدينة بالفرار، فشكوا ذلك الرسول فقال: "بل أنتم الكرّارون".

واستعمله أبو بكر الصديق على قتال مسيلمة وأهل الردة بنجد، ثم وجهه إلى العراق ثم إلى الشام وأمره على أمراء الشام، فلما ولي عمر عزله وولى أبا عبيدة، وشهد فتح حلب وقنسرين، وولى قنسرين في أيام عمر بن الخطاب.

وفي عهد عمر بن الخطاب استعمل أبا عبيدة بن الجراح على الشام وعزله، فصار في جيش الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح وأحد مقدميه، ثم انتقل إلى حمص حيث عاش لأقل من أربع سنوات حتى وفاته ودفنه بها.

ابن بكار (الزبير ت ٢٥٦هـ /): جمهرة نسب قریش وأخبارها، مطبوعات مجلة العرب، الرياض، السعودية، ج ٢، ص ٧١٦، ٧١٨. ابن العديم: بغية الطلب، ج ٧، ص ٣١٢٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ١٦، ص ٢١٦، ٢٦٩.

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي (40ق هـ 584م - 18هـ 639م) صحابي وقائد مسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، لقَّبهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ بِأَمِينِ الْأُمَّةِ، أسلم أبو عبيدة في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وشهد مع النبي محمد غزوة بدر والمشاهد كلها، وكان من الذين ثبتوا في ميدان المعركة عندما بُوغت المسلمون بهجوم المشركين يوم أُحُد. وفي عهد

أبي بكر الصديق، كان أبو عبيدة أحد القادة الأربعة الذين عيّنهم أبو بكر لفتح بلاد الشام، ثم أمر أبو بكر خالداً بن الوليد أن يسير من العراق إلى الشام لقيادة الجيوش الإسلامية فيها، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة عزّل خالداً بن الوليد، واستعمل أبا عبيدة، توفي أبو عبيدة بسبب طاعون عمواس في غور الأردن ودُفن فيه.

ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٤٣٥-٤٤٦.

يزيد بن أبي سفيان: ابن حرب بن أمية الأموي، ويقال له يزيد الخير، أمه زينب بنت نوفل الكنانية، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وشهد حنيناً، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم فيما قبل مائة بعير وأربعين أوقية، وكان جليل القدر شريفاً سيّداً فاضلاً، وهو أحد أمراء الأجناد الأربعة الذين عقد لهم أبو بكر الصديق وسيرهم لغزو الشام، فلما فتحت دمشق أمره عمر على دمشق، وتوفي في طاعون عمواس.

الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٨٠.

أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، وأسلم قبل فتح مكة، ولما استخلف أبو بكر الصديق ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا وعرة وجبيل وبيروت. ولما استخلف عمر بن الخطاب جعله والياً على الأردن، ثم ولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد (أخيه) ثم ولاه عثمان بن عفان الديار الشامية كلها وجعل ولاية أمصارها تابعين له. وبعد حادثة مقتل عثمان أصبح علي بن أبي طالب الخليفة فنشب خلاف بينه وبين معاوية حول التصرف الواجب عمله بعد مقتل الخليفة عثمان إلى أن اغتال ابن ملجم الخارجي علياً فتولى ابنه الحسن بن علي الخلافة ثم تنازل عنها لمعاوية عام 41هـ / ٦٦١م وفق عهد بينهما، فأسس معاوية الدولة الأموية واتخذ دمشق عاصمةً له.

ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٥٩، ص ٣٣-٢٤٠. المنجد (صلاح الدين): معجم بني أمية، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠م، ص ١٦٧-١٧٤.

ترجمة لكل من خالد بن الوليد، أبو عبيدة بن الجراح، يزيد بن أبي سفيان، معاوية بن أبي سفيان

اسم الولاية	اسم الوالي	نبذة
مكة	عتاب بن أسيد	أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي على مكة لما سار إلى حنين، واستمر. وقيل: إنما استعمله بعد أن رجع من غزوة الطائف، وحجَّ بالناس سنة الفتح، وأقرَّه أبو بكر على مكة إلى أن مات، ومات في السنة التي مات فيها أبو بكر.
الطائف	عثمان بن أبي العاص	صحابي قدم على النبي مع وفد ثقيف، واستعمله النبي على الطائف، فلم يزل عليها حياة النبي وخلافة أبي بكر وسنتين من خلافة عمر، ثم عزله عمر وولاه سنة خمس عشرة على عمان والبحرين، وسار إلى عُمان، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين، وسار هو إلى تَوَجَّ ففتحها ومصرها، وقتل ملكها شهرک سنة ٢١ هـ، مات بالبصرة في خلافة معاوية سنة إحدى وخمسين.
البحرين	العلاء بن الحضرمي	صحابي من سادة المهاجرين، ولاه النبي على البحرين، ثم وليها لأبي بكر وعمر، وقيل: إن عمر بعثه على إمرة البصرة، فمات قبل أن يصل إليها، توفي سنة ٢١ هـ.
عُمان	حذيفة بن محصن البارقي	صحابي بعثه الرسول محمد إلى أهل عمان واليًّا عليهم، شهد الفتوحات الإسلامية فشهد القادسية وفتوحات الفرس وكان من المفاوضين الذين بعثهم سعد بن أبي وقاص إلى رستم قائد الفرس، أمره أبو بكر الصديق في حرب أهل الردة، وكان قائد الحملة التي أرسلها أبو بكر إلى دبا لما ارتد أهلها. عينه أبو بكر واليًّا على عمان، وبعد وفاة أبي بكر، ولاه عمر بن الخطاب على اليمامة.
اليمامة	سمرة بن عمرو بن قرط العنبري	استعمله خالد بن الوليد على اليمامة بعد فُتْحها بأمر من أبي بكر الصديق.

اليمن	المهاجر بن أبي أمية	استعمله النبي على صدقات كندة والصدف، غير أنه لم يخرج من المدينة إلا بعد وفاة رسول الله، وذلك لمرض ألم به، فكتب إلى "زياد بن ليبيد" ليقوم له على عمله (وكان زياد عامل رسول الله على السكاسك والسكون في اليمن)، فلما برأ المهاجر كانت حروب الردة قد استشرت في أهل اليمن، فكان ممن عقد لهم أبو بكر لوأناً تحت قيادته في حروب الردة لقتال الأسود العنسي باليمن، وبعد أن أنجز مهمته كتب إليه أبو بكر الصديق يخبره بين إمارة اليمن أو حضرموت فاختار اليمن.
نجران	جرير بن عبد الله البجلي	من أعيان الصحابة، قدم مسلماً من اليمن، وجاهد مع النبي، واستعمله النبي على نجران واستمر في عهد أبي بكر، ثم شارك في فتح العراق وسكن الكوفة، اعتزل الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وتوفي سنة ٥١ هـ.

جدول بأسماء الولاة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق من عمل الباحثة اعتماداً على الطبري:
تاريخ الرسل والملوك، ابن عساكر: تاريخ دمشق.

اسم الولاية	اسم الوالي	نبذة
مكة	محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس	صحابي ولّاه عمر بن الخطاب مَكَّةَ في أول ولايته، ثم عزله، وقُتِلَ في موقعة الجمل، ولم تذكر الأخبار مدة ولايته.
	قنفذ بن عمير بن جدعان التميمي	صحابي ولّاه عمر بن الخطاب مَكَّةَ في أول ولايته، ثم عزله، ولم تذكر الأخبار مدة ولايته.
	نافع بن عبد الحارث الخزاعي	استعمله عمر بن الخطاب على مَكَّةَ وفيهم سادة قريش، فخرج نافع إلى عُمر واستخلف مولاه عبد الرحمن بن أبزى، فقال له عمر: استخلفت على آل الله مولاك فعزله، وولّى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. وكان من كبار الصحابة وفضلائهم. وقد قيل: إنّ نافع بن عبد الحارث أسلم يوم فتح مكة، وأقام بمكة، ولم يهاجر، تشير بعض الروايات إلى أن عمر بن الخطاب استعمله على مَكَّةَ مرة أخرى، حيث جاء أن عمر لما مات كان نافع والي علي مكة.
الطائف	عثمان بن أبي العاص بن بشر	استمر عثمان واليًا على الطائف في خلافة عمر لمدة سنتين، ثم استأذن عمر أن يذهب للجهاد فأذن له عمر.
	سفيان بن عبد الله الثقفي	صحابي قدم على النبي مع وفد ثقيف، كان عاملاً لعمر بن الخطاب على الطائف، استعمله عليه إذ عزل عثمان بن أبي العاص عنها، ونقل عثمان إلى البحرين.
البحرين	العلاء بن الحضرمي	استمر واليًا على البحرين في بداية عهد عمر حتى عام ١٤ هـ على أرجح الأقوال، ثم بعثه عمر على إمرة البصرة، فمات قبل أن يصل إليها، توفي سنة ٢١ هـ. وقيل إن

سبب عزله أنه غزا بلاد فارس عن طريق البحر، وكان عمر يكره ركوب البحر.		
ولاه عمر سنة خمس عشرة على عمان والبحرين، وسار إلى عُمان، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين، ثم احتاج إليه في قيادة بعض الجيوش في نواحي البصرة، فترك الولاية، ثم تولاه مرة أخرى في أواخر خلافة عمر بعد أبي هريرة، وظل والياً على البحرين حتى توفي عمر.	عثمان بن أبي العاص بن بشر	
له صحبة. وقد ولاه عمر بن الخطاب البحرين قبل قدامة.	عياش بن أبي ثور	
صحابي هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وأحدًا، استعمله عمر على البحرين، عزله عمر وأقام عليه الحد لما شرب الخمر متأولاً، وقيل إنه شرب من قرية لم يعلم ما فيها، إلا أن عمر أصر على إرضائه بعد ذلك وكان يقول: «أتاني آتٍ في منامي، فقال لي: سالمٌ قدامة، فإنه أخوك».	قدامة بن مطعون	
ولاه عمر البحرين بعد عزل قدامة، ثم استدعاه عمر ليحقق معه في مصدر أمواله، فقدم أبو هريرة إلى المدينة بعشرة آلاف درهم، ودافع أبو هريرة عن نفسه وبين مصدر الأموال فوجدها عمر كما قال، وأراد عمر أن يستعمله مرة أخرى فرفض أبو هريرة.	أبو هريرة	
صحابي من فرسان قريش وأبطالها في الجاهلية، أسلم سنة ٨ هـ. قاد غزوة ذات السلاسل، وولي عُمان لفترة، وكان فاتح قنسرين وحلب ومنبج وأنطاكية، ثم ولي فلسطين. وقد كان فاتح مصر، وأصبح واليها بعد فتحها.	عمرو بن العاص	مصر
أسلم يوم فتح مكة، شهد حنينًا وغزوة	يعلى بن أمية	اليمن صنعاء

		الطائف وغزوة تبوك. استعمل أبو بكر الصديق يعلّى بن أمية على بلاد حُلوان في الردّة، ثم عمل لعمر على بعض اليمن، شهد موقعة الجمل في جيش عائشة بنت أبي بكر، وأعان الزبير بأربعمئة ألف، وحمل سبعين رجلاً من قريش، ثم كان من أصحاب علي بن أبي طالب، وشهد معه وقعة صفين وقُتل بها.
اليمن الجند	عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي	ولاه عمر الجند ومخالفها، فلم يزل والياً عليها حتى قتل عمر.
ولايات الشام	أبو عبيدة بن الجراح	ولاه عمر بن الخطاب ولاية أجناد الشام بعد عزل خالد بن الوليد، وتوفي أبو عبيدة في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ.
	يزيد بن أبي سفيان	ولاه عمر بن الخطاب ولاية أجناد الشام بعد موت أبي عبيدة بن الجراح، وأمره بفتح قيسارية، وتعد فترته قصيرة، حيث توفي في سنة ١٨ هـ.
	معاوية بن أبي سفيان	ولاه عمر بن الخطاب ما كان يتولاه أخوه يزيد، وكتب له كتاباً بذلك، كما قام عمر بتعيين بعض الأمراء في الشام، وجعل ولايتهم من قبل معاوية، وظل معاوية والياً على الشام حتى وفاة عمر.
حمص والجزيرة	عياض بن غنم	حين حضرت أبا عبيدة بن الجراح الوفاة استخلف عياض على حمص، فأقره عمر، وأمره بفتح الجزيرة، ففتحها سنة ١٨ هـ، وأصبح والياً على حمص والجزيرة وفتسرين، وتوفي عياض سنة ٢٠ هـ وعمره ٦٠ سنة.
	سعيد بن عامر الجمحي	ولاه عمر بن الخطاب على حمص بعد وفاة عياض بن غنم سنة ٢٠ هـ، ودامت ولايته عدة أشهر، حيث توفي في نفس السنة.
	عمير بن سعد	صحابي شهد بدرًا واحدًا وغزوة تبوك، اشترك في الفتح الإسلامي للشام، وولاه عمر بن

		الخطاب على حمص والجزيرة ومناطق أخرى، وأُختلف في سنة وفاته فقيل: في عهد عمر، وقيل: في عهد معاوية.
الأردن	شرحبيل بن حسنة	صحابي من مهاجرة الحبشة، ولاء عمر على ربع من أرباع الشام، وافتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما عدا طبرية؛ فإن أهلها صالحوه، وذلك بأمر أبي عبيدة بن الجراح. عزله عمر عن ولاية الأردن، فقال له شرحبيل: «يا أمير المؤمنين، أعجزتُ أم خنتُ؟ قال: لم تعجز ولم تخن، قال: فلم عزلتني؟ قال: تخرجت أن أوْمرك وأنا أجد أكفاً منك. قال: فاعذرنِي يا أمير المؤمنين في الناس، قال: سأفعل، ولو علمت غير ذلك لم أفعل، فقام عمر فعذره»، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ.
	معاوية بن أبي سفيان	تولى معاوية الأردن بعد عزل شرحبيل بن حسنة، واستقرت ولاية الأردن لمعاوية، ثم أصبح والياً على الشام عمومًا.
ولايات العراق وبلاد فارس		
ولاية أجناد العراق	أبو عبيد بن مسعود الثقفي	ولاه عمر بن الخطاب على أجناد العراق بعد عزل المثنى بن حارثة الشيباني، كانت فترته قصيرة حوالي بضعة أشهر، حيث استشهد في معركة الجسر.
	سعد بن أبي وقاص	تولى سعد بن أبي وقاص قيادة جيوش العراق، وانتصر في معركة القادسية، وفتح المدائن، وبدأ تنظيم الولايات يتخذ شكلاً معيناً، فظهرت ولايات مثل البصرة والكوفة وغيرهما.
البصرة	شريح بن عامر	صحابي استخلفه خالد بن الوليد على الجزية بالبصرة حين سار إلى الشام، وولاه عمر بن الخطاب نواحي البصرة قبل إنشائها، وقتل في أحد المعارك في نواحي الأهواز.

	عتبة بن غزوان	ولاه عمر على البصرة سنة ١٤ هـ وأمره ببنائها، فابتدأها بالقصب، وكان في عهد مجموعة من الفتوحات، وطلب من عمر أن يعفيه ولكن عمر رفض، ومات في سنة ١٧ هـ.
	المغيرة بن شعبة	ولاه عمر البصرة بعد وفاة عتبة، وعزله عمر سنة ١٧ هـ بعد التهمة الموجهة إليه بالزنا، وقد قام عمر بالتحقيق وثبتت براءة المغيرة، وقام عمر بجلد الشهود الثلاثة، وولاه عمر في أماكن أخرى فيما بعد.
	أبو موسى الأشعري	أشهر ولاة البصرة، قام بتمضير المدينة وبنى فيها دار الإمارة بالطين، [٥٧] وفتحت في عهده العديد من المناطق في بلاد فارس، وفتحت الأهواز.
الكوفة	سعد بن أبي وقاص	كان سعد بن أبي وقاص أول ولاة الكوفة، حيث قام بإنشائها بأمر من عمر سنة ١٧ هـ، وقام عمر بعزله بعد شكاوى بعض عوام الناس.
	عمار بن ياسر	بعث عمر بن الخطاب عمار بن ياسر أميراً على الكوفة، وأرسل معه عبد الله بن مسعود وزيراً على بيت المال، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض، وقام عمر بعزله بعد شكاوى من أهل الكوفة أيضاً.
	المغيرة بن شعبة	تولى المغيرة بن شعبة الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر، وظل والياً عليها حتى وفاة عمر.
	سلمان الفارسي	كان سلمان يرفض الولاية، لولا إصرار عمر بن الخطاب فقبل، وكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء، ثم أعفاه عمر.
المدائن	حذيفة بن اليمان	كان حذيفة أول الولاة على أذربيجان، ثم نقله عمر إلى ولاية المدائن بعد استعفاء سلمان الفارسي.
أذربيجان	حذيفة بن اليمان	كان حذيفة أول الولاة على أذربيجان، ثم نقله

عمر إلى ولاية المدائن بعد استعفاء سلمان الفارسي.		
تولى أنريجان بعد حذيفة بن اليمان، وظل واليًا عليها حتى وفاة عمر.	عتبة بن فرقد السلمي	

قائمة بأسماء ولاية عمر بن الخطاب

من عمل الباحثة اعتماداً على الطبري : تاريخ الرسل والملوك. ابن عساكر: تاريخ دمشق.

اسم الموظف	الوظيفة	المكان	الفترة الزمنية
ميناس Menace	حاكم	المنطقة الشمالية في مصر	ولاية عمرو بن العاص من ٢٠هـ - ٢٤هـ
أشعيا بن شماس	عامل	الإسكندرية	ولاية عمرو بن العاص من ٢٠هـ - ٢٤هـ
شلودة	حاكم	الريف/ مصر	ولاية عمرو بن العاص من ٢٠هـ - ٢٤هـ
فيلو خينوس	حاكم	أركاديا (الفيوم) مصر	ولاية عمرو بن العاص من ٢٠هـ - ٢٤هـ

ملحق بأسماء الكتاب والولاية في عهد عمر بن الخطاب.

القمصات (عزت قاسم): جباية الضرائب في صدر الإسلام، (رسالة مقدمه لنيل درجة الماجستير، اشراف: د. فالح حسين، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م)، ص ٢٣٧.

قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر:

- ١- ابن ابراهيم الخَيْرِيتِي (محمود بن إسماعيل ت ٨٤٣هـ / ٤٤٠م): الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.
- ٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧م، ط ١.
- ٣- _____: أسد الغابة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٩م.
- ٤- ابن آدم القرشي (أبو زكريا بن آدم بن سليمان ت ٢٠٣هـ / ٨١٩م): الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٤هـ، ط ٢.
- ٥- الأزدي (محمد عبد الله ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م): تاريخ فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٠م.
- ٦- ابن الأزرقي (محمد بن علي بن محمد الأصبجي ت ٨٩٦هـ / ٤٩١م): بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط ١.
- ٧- ابن إسماعيل الكاندهلوي (محمد يوسف بن محمد إلياس ت ١٣٤٨هـ / ٩٣٠م): حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٩م، ط ١.
- ٨- الأصبهاني (أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن موسى ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م): فضائل الخلفاء الأربعة، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ١٩٩٧م، ط ١.
- ٩- الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت.

- ١٠- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م): الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، د.ت، ط ٢.
- ١١- ابن اعثم الكوفي (أبو محمد أحمد بن أعثم ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م): الفتوح، دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد، الدكن ١٩٧٥م.
- ١٢- الأعظمي (علي ظريف): مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- ١٣- ابن أنس (مالك بن أنس ت ١٧٩هـ / ٧٩٦م): المدونة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م.
- ١٤- ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م): نزهة الأمام، ترجمة وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٥م.
- ١٥- ابن بدران (عبد القادر الدمشقي ١٣٤٦هـ / ٩٢٧م): تهذيب تاريخ دمشق، المكتبة العربية، دمشق ١٩٣٦م، ط ١.
- ١٦- البستي (ابن حبان بن أحمد ٣٥٤هـ / ٩٦٥م): صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م، ط ٢.
- ١٧- البكري (حسين بن محمد بن الحسن الديار ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م): تاريخ الخميس، دار صادر، بيروت.
- ١٨- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): معجم ما استعجم، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ.
- ١٩- البلاذري (أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): أنساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، ط ١.
- ٢٠- _____: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨م.

- ٢١- البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م): السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ط ٢.
- ٢٢- _____: المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ط ٢.
- ٢٣- ابن تيمية الحراني (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م): المستدرک علی مجموع فتاوي شيخ الإسلام، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٢٤- الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م): ثمار القلوب، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٥- الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ، ط ٢.
- ٢٦- _____: البيان والتبيين، مكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.
- ٢٧- ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، ط ١.
- ٢٨- _____: سيرة عمر بن الخطاب، المطبعة المصرية الأزهرية، د.ت.
- ٢٩- ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م): المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتز، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٣٠- ابن حبيش (أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م): الغزوات، تحقيق: الاستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، لبنان ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ط ١.

- ٣١- ابن حجر العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن ربيع ت ٨٥٢هـ/ ٤٢٢م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ط ١.
- ٣٢- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢م، ط ١.
- ٣٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م، ط ٢.
- ٣٤- _____: المقدمة، دار العودة، بيروت ١٩٨١م.
- ٣٥- ابن خياط (أبو عمرو بن الخياط الشيباني ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م): تاريخ خليفة، دار القلم، دمشق ١٣٩٧هـ، ط ٢، ١٣٩٧هـ.
- ٣٦- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م): الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م، ط ١.
- ٣٧- ابن دقمان (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق ١٣٠٩هـ.
- ٣٨- الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود، ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث، القاهرة ١٩٦٠م.
- ٣٩- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٧٤٨هـ/ ١٠٣٨م): تاريخ الإسلام، تحقيق: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ط ٢.
- ٤٠- ابن رجب الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ت ٧٩٥هـ/ ١٣٨٦م): جامع العلوم والحكمة، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
- ٤١- _____: الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

- ٤٢- ابن رشد الحفيد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ت ٥٩٥هـ / ١١٩٩م):
بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٤م.
- ٤٣- الرازي (منصور بن الحسين ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): نشر الدر في المحاضرات، تحقيق:
خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م، ط ١.
- ٤٤- الزبيدي (زين الدين ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م): التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح،
مؤسسة الرسالة، دمشق ٢٠٠٩م، ط ١.
- ٤٥- أبو زرعة (عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م): تاريخ أبي زرعه
الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق.
- ٤٦- ابن زنجوية (أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني ت ٢٥١هـ /
٨٦٥م): الأموال، تحقيق: شاعر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،
السعودية ١٩٨٦م، ط ١.
- ٤٧- ساويرس (ابن المقفع): سير بطارقة الإسكندرية تحقيق: Chr.F.Seyboly، نشر أوتو
هاراسوفيتس، ليلسالا، ١٩٤٠م.
- ٤٨- ابن سعد (محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس،
دار صادر، بيروت ١٩٨٦م، ط ١.
- ٤٩- ابن سلام (أبو عبيد القاسم ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م): الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس،
دار الفكر، بيروت.
- ٥٠- _____: غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي،
بيروت ١٣٩٦هـ، ط ١.
- ٥١- السمهودي (نور الدين أبو الحسن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): وفاء الوفاء بأخبار دار
المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ، ط ١.

- ٥٢- السيوطي (جلال الدين ت ٩١١هـ/١٥٠٦م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م، ط ١.
- ٥٣- _____: حسن المحاضرة، تحقيق: محمد ابو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر ١٩٦٧م، ط ١.
- ٥٤- ابن شداد (محمد بن علي بن إبراهيم ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلام الخطيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبّارة، ط ١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي، ط ١، دمشق ١٩٩٦م.
- ٥٥- ابن أبي شيبة (ابو بكر ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م): مصنف بن أبي شبة، تحقيق: كمال يوسف الحوي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ، ط ١.
- ٥٦- الصنعاني (أبو بكر عبد الرازق بن همام ت ٢١١هـ): مصنف عبد الرازق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند ١٤٠٣هـ، ط ٢.
- ٥٧- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م): أدب الكتاب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ، ط ١.
- ٥٨- الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت ١٣٨٧هـ، ط ٢.
- ٥٩- _____: التفسير، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠م.
- ٦٠- الطرطوشي (أبو الوليد الفهري ت ٥٢٠هـ/١٢٦م): سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر ١٨٧٢م.
- ٦١- الطوسي (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ/١١١١م): أحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

- ٦٢- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) : الاستيعاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م، ط ١.
- ٦٣- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن ٢٥٧هـ / ٨٧٠م) : فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.
- ٦٤- _____ : فتوح مصر وإفريقيا، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، ط ١.
- ٦٥- ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدين بن عبد ربه بن حبيب ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) : العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ، ط ١.
- ٦٦- ابن العديم (كمال الدين ابن العديم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) : بغية لطلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر.
- ٦٧- أبي العز الحنفي (علي بن علاء الدمشقي ت ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م) : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية ١٤١٨هـ، ط ١.
- ٦٨- ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن ت ٥٧١هـ / ١١٧٥) : تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٥ م.
- ٦٩- _____ : تهذيب تاريخ ابن عساكر، ترتيب عبد القادر بدران، دار السيرة، بيروت ١٩٧٩م، ط ٢.
- ٧٠- العسكري (أبو هلال الحسن ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م) : الأوائل، دار البشير، طنطا ١٤٠٨هـ، ط ١.
- ٧١- العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق من الورقة (٥١٨) إلى الورقة (٥٩٥) - معركة أجنادين - وفتح بيت المقدس -وقعة قيسارية-وقعة نهر سير، ١٧-

١٩هـ/٦٣٨-٦٤٠م، تحقيق:رنه محمد طاهر الشيخ، إشراف شكران خربوطلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق ٢٠١٠-٢٠١١م.

٧٢- أبي الفداء(عماد الدين بن اسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط١.

٧٣- ابن الفقيه(أحمد بن محمد ت ٢٨٩هـ/ ٩٠١م): مختصر كتاب البلدان، نشر دي غوية، ليدن ١٨٨٥هـ.

٧٤- أبو الفضل النيسابوري(أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمع الامثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

٧٥- ابن القيم الجوزية(محمد بن أبي بكر بن سعد بن شمس الدين ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م): الطرق الحكمية، مكتبة دار البيان، د.ت.

٧٦- _____: أحكام اهل الذمة، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام ١٩٩٧م، ط١.

٧٧- ابن قتيبة الدينوري(أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.

٧٨- _____: المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة ١٩٩٢مو ط٢.

٧٩- القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م): تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٤م، ط٢.

٨٠- القلقشندي(أحمد بن علي بن أحمد الفزاري ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ٨١- _____ : مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ١٩٨٥م، ط٢.
- ٨٢- ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار الفكر، ١٩٨٦م.
- ٨٣- الكندي (محمد بن يوسف بن يعقوب ت بعد ٣٥٥هـ / ٩٦٦م): الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م.
- ٨٤- ابن مأكولا (علي بن هبة الله بن أبي نصر ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م): الاكمال، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١م، ط١.
- ٨٥- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م): الاحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة.
- ٨٦- مجهول: ديوان خليفة رسول الله أبي بكر الصديق، تحقيق: عمر الطباع، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م.
- ٨٧- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٤م.
- ٨٨- مسكوية (أبو علي أحمد بن محمد يعقوب ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران ٢٠٠٠م، ط٢.
- ٨٩- مصطفى (إبراهيم) وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت.
- ٩٠- المقدسي (المطهر بن طاهر المقدسي ت ٣٥٥هـ / ٩٦٦م): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

- ٩١ - المقدسي البشاري (محمد بن أحمد بن أبي بكرت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٦م.
- ٩٢ - المقرئزي (تقي الدين ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): تاريخ الأقباط-القول الإبريزي للعلامة المقرئزي-، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د.ت.
- ٩٣ - _____: تاريخ الأقباط- القول الأبريزي للعلامة المقرئزي- ، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د.ت.
- ٩٤ - _____: النقود الإسلامية: تحقيق: محمد السيد علي بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٧م، ط ٥.
- ٩٥ - ابن منظور (جمال الدين ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق ١٩٨٤م، ط ١.
- ٩٦ - _____: لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ، ط ٣.
- ٩٧ - ابن موسى الكلاعي (أبو الربيع سليمان بن موسى ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م): الاكتفاء، عالم الكتب، بيروت ١٤١٧هـ، ط ١.
- ٩٨ - النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) : السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠١م، ط ١.
- ٩٩ - النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣هـ، ط ١.
- ١٠٠ - الواقدي (محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م): فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ط ١.

- ١٠١- _____: كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م، ط ١.
- ١٠٢- وكيع(أبو بكر محمد بن خلف الضبي البغدادي ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م): أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٧م، ط ١.
- ١٠٣- ابن هشام:(جمال الدين ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر ١٩٥٥م.
- ١٠٤- الهيثمي: مجمع الزوائد، القاهرة ١٣٥٣هـ.
- ١٠٥- ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م، ط ٢.
- ١٠٦- _____: الحموي(ياقوت): معجم الأدباء، نشر مرجليوث، القاهرة د.ت.
- ١٠٧- اليعقوبي(أحمد بن يعقوب): البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ، ط ١.
- ١٠٨- _____: تاريخ اليعقوبي، تعليق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، ط ٤، النجف ١٩٧٤م.
- ١٠٩- أبو يوسف البسوي(يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ت ٢٧٧هـ/ ٨٩١م): المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م، ط ٢.
- ١١٠- أبو يوسف(يعقوب بن إبراهيم بن حبه الأنصاري ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

- قائمة المراجع العربية:

- ١- الانباري(عبد الرازق علي): النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي، مطبعة النعمان، النجف ١٩٧٧م.
- ٢- الباقر (محمد): حياة الإمام الحسين، مطبعة الآداب، النجف ١٩٧٤م، ط ١.
- ٣- البري(عبد الله خورشيد): القبائل العربية في مصر، دار الكاتب العربي، د.م، ١٩٦٧.
- ٤- بطاينة (محمد ضيف الله): القضاء في الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٣٢، بغداد ١٩٨٧م.
- ٥- بلتاجي(محمد): منهج عمر بن الخطاب في التشريع، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.
- ٦- ببيضون (إبراهيم): من دولة عمر الى دولة عبدالملك، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩١م، ط ٢.
- ٧- (البياتي) عبد الجبار الستار: التنظيم الإداري للولايات في عصر الراشدين، مجلة كلية الآداب، العدد الرابع.
- ٨- جابر بل فيران: مادة سياجبة ، دائرة المعارف الإسلامية .
- ٩- جعيط (هشام): الكوفة- نشأة المدينة الإسلامية-، جماعة الدراسات العربية، الكويت ١٩٨٦م، ط ١.
- ١٠- الجنابي(خالد جاسم): تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٦م، ط ٢.
- ١١- الجنحاني(الحبيب): الحياة الزراعية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين-وقائع النظم الإسلامية، مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض ١٩٨٧م.

- ١٢- جودة (جمال محمد داؤد محمد): العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، الأردن ١٩٧٩م.
- ١٣- حتي (فيليب): تاريخ العرب المطول، دار الكشف، بيروت ١٩٦٥م، ط ٤.
- ١٤- حسن (ابراهيم حسن): تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦م، ط ١٤.
- ١٥- حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، والخلافة الراشدة، ١٩٦٩م، ط ٣.
- ١٦- خربوطلي (علي): تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، القاهرة ١٩٥٩م.
- ١٧- خطاب (محمود شيت): عمر بن الخطاب، الفاروق القائد، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦م، ط ٢.
- ١٨- الخطيب (عبد الكريم): عمر بن الخطاب الوثيقة الخالدة للدين الخالد، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ط ١.
- ١٩- أبو خليل (شوقي): في التاريخ الاسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٦م.
- ٢٠- _____: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٥م.
- ٢١- خليل (محسن): في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢م.
- ٢٢- الدباغ (مصطفى مراد): بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع ١٩٩١م.
- ٢٣- الدوري (عبد العزيز): مقدمة في صدر الإسلام، بيروت ١٩٦١م.
- ٢٤- _____: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، ١٩٨٠، ط ٣.
- ٢٥- الراوي (اسماعيل): تاريخ الدولة العربية، بغداد ١٩٧٦م.

- ٢٦- رزق الله (مهدي): الثابتون على الاسلام أيام فتنة الردة، دار طيبة، الرياض ١٤٢٠هـ، ط٢.
- ٢٧- رمضان (هويدا عبد العظيم): المجتمع في مصر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ٢٨- الزيان (رمضان اسحاق): روايات العهدة العمرية، دراسة توثيقية، مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٤، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٦م.
- ٢٩- زيدان (جرجي): تاريخ التمدن، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٣٠- السويد (ياسين): التكتيك العسكري الإسلامي، مجلة قضايا عربية، بيروت ١٩٨٣م، عدد ٢.
- ٣١- معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م.
- ٣٢- شاكرا (محمود): التاريخ الاسلامي، المكتب الإسلامي، ط٤، ٢٠٠٠م.
- ٣٣- الشجاع (عبد الرحمن): دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٩م.
- ٣٤- شراب (محمد حسن): المدينة النبوية فجر الإسلام، الدار الشامية، بيروت ١٩٩٤م، ط١.
- ٣٥- شعبان (محمد عبد الحي محمد): صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للتوزيع والنشر، بيروت ١٩٨٣م.
- ٣٦- شلبي (أحمد): السياسة في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٣م.
- ٣٧- شلبي (محمود): حياة عمرو بن العاص، دار الجيل، بيروت ١٩٩٧م، ط١.
- ٣٨- الشيال (جمال الدين): تكوين الشعب المصري منذ الفتح، مجلة الثقافة، مج ٨، ع ٣٣٣، السنة السابعة.

- ٣٩- الصالح(صبحي): النظم الإسلامية، منشورات الشريف الرضي، ١٤١٧هـ.
- ٤٠- صالح (محمد قاسم): العسكرية الإسلامية في العصر الراشدي، مكتبة المهتدين، السعودية ١٩٨٩م، ط١.
- ٤١- الصَّلَابِي (علي محمد): الانشراحُ وَرَفْعُ الضِّيقِ فِي سِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ شَخْصِيَّتِهِ وَعَصْرِهِ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ٤٢- _____: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين، مكتبة الصحابة، الإمارات ٢٠٠٤م.
- ٤٣- _____: السيرة النبوية-عرضُ وقائعٍ وَتَحْلِيلُ أَحْدَاثٍ-، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠٠٨م.
- ٤٤- طرخان(إبراهيم علي): النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٧م.
- ٤٥- طقوش(محمد سهيل): تاريخ الخلفاء الراشدين-الفتوحات والإنجازات السياسية-، دار النفائس، ٢٠١١م، ط٢.
- ٤٦- الطماوي(سليمان محمد): عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة، دار الفكر العربي، مصر ١٩٦٩م.
- ٤٧- الطنطاوي(علي): أبو بكر الصديق، دار المنارة، جدة ١٩٨٦م، ط٣.
- ٤٨- _____: أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ط٨.
- ٤٩- عبد الحميد(صبحي): معارك العرب الحاسمة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

- ٥٠- عبد الله الحميدي(عبد العزيز): الخلفاء الراشدون مواقف وعبر، دار الدعوة، الاسكندرية ٢٠٠٥م.
- ٥١- أبو عُبَيْة(طه عبد المقصود عبد الحميد): موجز عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة د.ت.
- ٥٢- عثمان(فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري- الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ط ١.
- ٥٣- العسلي(بسام): فن الحرب، دار الفكر، دمشق ١٩٧٤م، ط ١.
- ٥٤- العقاد(محمود): عبقرية عمر رضي الله عنه، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩٤٨م، ط ٥.
- ٥٥- علي (أحمد اسماعيل): تاريخ بلاد الشام، جوهرة الشام، دمشق ١٩٩٤م، ط ٣.
- ٥٦- العلي(صالح): التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١٩٥٣م.
- ٥٧- _____: أهل الفسطاط، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- ٥٨- العلي (صالح)، وآخرون: العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣م.
- ٥٩- علي(محمد كرد): الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٣٤م.
- ٦٠- عمارة (محمد): معالم المنهج الإسلامي، دار السلام للتوزيع والنشر.
- ٦١- العمري(إبراهيم): الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م، ط ١.
- ٦٢- العمري(أكرم بن ضياء): عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٩م.

- ٦٣- غوانمة(يوسف): معركة اليرموك، دار هشام للنشر والتوزيع.
- ٦٤- فالتر هنتس: المكايل والأوزان الإسلامية، دار روائع مجدلوي، ٢٠٠٣م.
- ٦٥- فروخ (عمر): العرب والاسلام، بيروت ١٩٨١م.
- ٦٦- فهد(بدر محمد): الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي، وقائع النظم الإسلامية، مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض ١٩٨٧م.
- ٦٧- فيصل(شكري): المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨م.
- ٦٨- كاشف(سيدة اسماعيل): مصر في فجر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧م.
- ٦٩- كمال (أحمد عادل): الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت.
- ٧٠- _____: القادسية، دار النفائس، بيروت، د.ت،
- ٧١- _____: الطريق إلى دمشق، دار النفائس، بيروت.
- ٧٢- كلود(كاهن): تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ١٩٧٢م.
- ٧٣- لوبون(غوستاف): حضارة العرب، القاهرة ١٩٥٣م.
- ٧٤- ماجد(عبد المنعم): تاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، القاهرة ١٩٦٧م.
- ٧٥- مارسيل: مصر منذ أن فتحها العرب إلى أن حكمها الفرنسيون، باريس ١٨٤٨م.
- ٧٦- المازندراني(موسى الحسيني): تاريخ النقود الإسلامية، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ١٩٨٨م.
- ٧٧- ماسنيون(لويس): خطط الكوفة وشرح خريطتها، النجف ١٩٧٩م.

- ٧٨- المباركفوري (صفي الرحمن ت ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م): الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط ١، ص ٢٧٧. يوسف: الدولة.
- ٧٩- محمد صقر (شحاتة): دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية، د.ت، ج ٢.
- ٨٠- محمود عبد الله (خالد)، عيد سعيد (عبد الله): عقوبات الولاة عند الخليفة عمر، مجلة تكريت، مج ١٩، العدد ٤.
- ٨١- محمود (عبد القادر عبد الله) وآخرون: الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٩م.
- ٨٢- محمود السامرائي (عبد الجبار): معارك خالد بن الوليد ضد الفرس، الدار العربية للموسوعات، بيروت د.ت.
- ٨٣- مشرفة (عطية مصطفى): القضاء في الإسلام، شركة الشرق الأوسط، مصر ١٩٦٦م، ط ٢.
- ٨٤- المطيري (حاكم): تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٩م، ط ١.
- ٨٥- المنجد (صلاح الدين): معجم بني أمية، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠م.
- ٨٦- مؤنس (حسين): تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣، ط ٢.
- ٨٧- ناجي (عبد الجبار): دراسات في تاريخ المدن العربية، مطبعة جامعة البصرة، البصرة ١٩٨٦م.
- ٨٨- النجار (عبد الوهاب): الخلفاء الراشدون، دار التراث، القاهرة، د.ت.

٨٩- الندوي (تقي الدين بن بدر الدين): سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٩٠- نظام (شيخ): الفتاوى الهندية، دار الفكر، ١٩٩١م.

٩١- الهوني (فرج): النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام حكومة الرسول في المدينة حتى نهاية الدولة الأموية، الشركة العامة للنشر والتوزيع، بنغازي ١٩٧٦م.

٩٢- هيكل (محمد حسنين): الفاروق عمر بن الخطاب، د.ت، دار المعارف، ط ١٠.

٩٣- الياس (عبد الوهاب خضر): نظام العطاء الإسلامي دراسة في نشأته وتطوره من ١٥-٢١٨هـ، جامعة الموصل ١٩٨٥م.

٩٤- يوسف (وائل محمد): الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، المكتب المصري الحديث، القاهرة، د.ت.

- قائمة المراجع العربية:

١- أ. أكرم: سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة: العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

٢- بتلر (الفرد): فتح العرب لمصر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد بك، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١.

٣- بيليايف (أ، ي): العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة: انيس فرحة، محمود زايد، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣م، ط ١.

٤- جروهمان (أدولف): أوراق البردي العربي، دار الكتب المصرية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ج ٢.

٥- حسيني (علي): الإدارة العربية، ترجمة: إبراهيم العدوي، طبعة القاهرة ١٩٥٨م.

- ٦- دينيت (دانييل): الجزية والاسلام، ترجمة، فوزي فهمي جاد الله، دار مكتبة الحياة بالتعاون مع مؤسسة فرانكليين، بيروت ١٩٦٠م.
- ٧- غلوب (الجنرال): امبراطورية العرب، تعريب: خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٦م.
- ٨- فلهاوزن (بوليوس): تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، حسين مؤنس، لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، ط ٢.
- ٩- كريستين (آرثر): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة : يحيى لخشاب، دار النهضة العربية، بيروت.
- ١٠- لويس (برنارد): العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه أمين فارس، محمد يوسف زيدان، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٥م.
- ١١- النيوقي (يوحنا): تاريخ مصر، ترجمة عمر صابر أحمد عبد الجليل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٠م.
- ١٢- هاملتون (جب): دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩م، ط ٣.
- ١٣- هل (دونالد): الحضارة العربية، ترجمة: إبراهيم العدوي، مراجعة: حسين مؤنس، مكتبة الأنجلو الأمريكية، القاهرة ١٩٥٦م.
- ١٤- ول ديورانت (ويليام ت ١٩٨١ م): قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.

- قائمة الرسائل العلمية:

- ١- أبو حمدي (حمدي أحمد): الإدارة العامة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: د. محمد الذليبات، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦م.
- ٢- جاسم (باسل طه): التنظيمات الإدارية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: هاشم يحيى الملاح، جامعة الموصل ١٩٧١م.
- ٣- سليمان كمال (سليمان بن صالح): الإدارة العسكرية، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف: د. إبراهيم نجيب عوض، جامعة أم القرى، السعودية.
- ٤- الشنقيطي (أحمد بن خضر): ولاية القضاء، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: د. أبو الحمد أحمد موسى، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ١٣٩٧هـ.
- ٥- (القصاصات) عزت قاسم: جباية الضرائب في صدر الإسلام، رسالة مقدمه لنيل درجة الماجستير، إشراف: د. فالح حسين، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠م).
- ٦- محمود الغفري (أشرف رفيق): أثر الحضارتين الفارسية والبيزنطية على التراتيب الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة ٢٠٠٥م.
- ٧- نصر الله (محمد علي): تطور نظام ملكية الأرض في السودان، رسالة ماجستير، بغداد ١٩٧٤م.

٨- النعيمي(نزار محمد قادر): الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية منذ تأسيسها وحتى سقوط بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٤م.

- قائمة الدوريات والمجلات:

١- بدر(أحمد): التنظيم العسكري عند العرب المسلمين، مجلة دراسات تاريخية، دمشق ١٩٨١م، عدد ٤.

٢- الدوري(عبد العزيز): الاسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، مجلة المستقبل العربي بيروت ١٩٨١م، عدد ٢٤.

٣- الزيان (رمضان اسحاق): روايات العهدة العمرية، دراسة توثيقية، مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٤، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٦م.

٤- طه(عبد الواحد ذنون): إدارة بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب، مجلة آداب الرافدين، موصل، ١٩٨٦م، العدد ١٦.

٥- عبد العزيز الدوري: في التنظيم الاقتصادي في صدر الإسلام، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت ١٩٨١م.

٦- العبيدي(عبد الجبار): إدارة الأمصار ودور المثقفين فيها' مجلة المؤرخ العربي، بغداد ١٩٨١م، عدد (١٧).

٧- العلي(صالح أحمد): القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين، مجلة دراسات تاريخية، الأردن ١٩٨٧م، مجلد ٤١، عدد ٤.

٨- _____: منطقة الحيرة، مجلة كلية الآداب، بغداد، عدد ٢٥، ١٩٦٢م.

قائمة المراجع الأجنبية:

- 1- Bill, der islam, 1413, vol3.
- 2- C. Chahen,L,Islam des origines au l empire ottoman(Histoire Universelle1((4)),paris,bosdas,1970).
- 3- Chronicum Annonymus ad, anmm Christi 1234, pertinens XIV.

Abstract

The Arab Islamic state expanded after the death of the Prophet peace be upon him, and the Arabs of the people of the island are the main tool in the expansion, were among the caliphs, leaders and senior management, and policy and fighter, and were all Muslims walking in a gift and take his guidance, and most of the companions and followers, Close links to the Prophet and a broad knowledge of his orientations, and instinctive in choosing the most effective ways to order and stability.

Their attention was first directed to the Arabs who are expanding the state and ensuring stability in it. They set up special arrangements for the Arabs in accordance with the conditions prevailing at that early time. They took into consideration the needs of the Arab society and its members, and the natural sense of what suits them. , And centers for the administration of the regions, and the number of these areas at the beginning of the specific, all on the outskirts of the island and related to the people, and then required the establishment of bases for Arab fighters in areas far from the Arabian Peninsula, and since the people of these bases of the Arabs, Which were established in the first places, and these systems were simple in the composition, and solid in the foundations, and was keen to take care of matters and the lack of intervention in the change, remained long standing, and provided extensive information thanks to what he wrote or what the people referred to when the intellectual movement flourished, In fact, these sites retained their distinguished status and prosperity for centuries. Their systems were clear to the state's masters, who worked to consolidate their status and spread them by their names and meanings. This was the greatest contribution of the Arabs.

This study was characterized by the era of the succession of Abu Bakr, may Allah be pleased with him and Omar ibn al-Khattab, with the great Islamic conquests, which included the Levant, Iraq

and Egypt, which led to the connection of Islam to the Roman culture that prevailed in Egypt and Syria. And the Persians, which was prevalent in Persia and Iraq, and these civilizations were characterized by systems and traditions in the affairs of management, finance and agriculture. And the war was not known to the Arabs, so it was necessary to find some new rulers to regulate social relations in the Arab Islamic state after its wide conquests.

It is worth mentioning that Muslims have faced these developments with legislations dealing with various life in order to establish the rules of truth and justice for society. The jurisprudence started to take its path towards development.

Practical necessities have forced the use of opinion at this stage in certain matters, based on Ijtihad's opinion inspired by the teachings of the Qur'an and the Sunnah of the Prophet, and what serves the interests of the people and commensurate with their customs.

Abu Bakr al-Siddiq (may Allah be pleased with him) was the first to take over the caliphate after the death of the Prophet. He offered to fight those who abstained from performing zakat from the Muslims. They differed between prayer and zakat and took a house to keep what remained of public funds.

And Omar bin al-Khattab may Allah be pleased with him expands on the adoption of opinion, and looking for the rule of the matter in the book in the text of the apparent and the meaning of the subcontractor, while narrated from the Prophet peace be upon him, has been known to follow the order of consultation of senior scholars of the Sahaba in the introduction of important provisions and follow the order of measurement and public interest. For Muslims, to order the expropriation of property for the public interest, and refuses to pray in the church so that Muslims do not take a mosque in order to respect the religious faith of non-Muslims.

The work in the era of the Prophet and the reign of Abu Bakr is based on the division of the spoil to four fifths of the ghanim, and the remaining five goes back to the state, but the whole was attributed to the state and placed in the hands of the Muslims and the realization of their interests.

And after the expansion of the territory of the Arab Islamic state, it was his opinion not to divide the land between the Ghanemin and left in the hands of owners and impose abscesses on them and stop this land for the benefit of the general Muslims, because this is more viable and lasting revenue.

In addition, the administrative and legislative regulations are established to meet the needs that appear in society, prompting the rulers to devise means and methods to address these conditions and administrative needs, taking into consideration the prevailing conditions When applying these systems and their success in achieving their objectives.

So it can be said that he found a system of income of the people under the different religions are governed by justice and without pressure to change their religion and without segregation of race or color, but all people, but the Islamic law either, and not differentiated except piety, and emerged a nation does not collect the norms and genealogy joined by those who condemn its merits, And it has led to the emergence of leaders of all ethnic races, as it had a global standing in the middle of this nation, and there was nothing to change or change the status in the nation, has announced the opening of the birth A new revolution took all that mankind has produced through Centuries in the form of this religion and in its crucifixion, and then through it extended the entire human heritage to the next generations.

Damascus university
Faculty of Arts and Humanities
Department of History

Legislative and administrative life in the Rashidi period between

"11–13AH"

A study in the history of Arabs and Islam

supervision

Professor: Shukran Kharbotli

Preparation

Rajaa Ali Enjam

(1438 AH / 2017 AD)